دكتور
عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني

مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه

«ردود على حملات التشكيك في الإسلام»

مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة تليفون: ٣٩١٧٤٧٠
فاكس: ٣٩٠٣٧٤٦

الطبعـة الثانية
الطبعة الأولى لمكتبة وهبة

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

هذا الكتاب الذى بين يديك، مضى على طبعته الأولى – الآن – خمس وعشرون سنة. وكانت دواعى صدوره لأول مرة فى ذلك الوقت ثلاث وثائق تراها بكل وضوح فى مقدمة طبعته الأولى عام ١٩٨٠م.

ثم لم نفكر فى طبعه مرة ثانية مع نفاد كل نسخة من طبعته الأولى بعد نفادها فى وقت قصير. تلك الوثائق الثلاث كانت تتحدث عن شئون غير إسلامية، لكنها تعرضت لما فيه مساس بالإسلام، يحمل بين طياته إساءات بالغة إليه، وبخاصة القرآن الكريم، ثم الرسول الخاتم ﷺ.

وهذا هو ما دفعنا آنذاك لإصدار كتابنا هذا فى طبعته الأولى، حيث أوضحنا براءة الإسلام كتابا ورسولاً وقيما ومبادئ، مما كانت تلك «الوثائق الثلاث» قد حاولت – بلا جدوى – إلصاقها بالإسلام.

أما دواعى هذا الطبعة الثانية فأكثر من أن تحصى، وبخاصة بعد كوارث سبتمبر عام ٢٠٠١ م المعروفة.

فبعد هذه الكوارث انكسر «سد يأجوج ومأجوج» على الإسلام، بمساعدة وسائل البث العالمية الحديثة من مسموعة، ومسموعة مرئية ومقروءة وانتشار هذه الوسائل فى كل مكان وكل بيت.

هذه الوسائل تجاوزت ما كان منشوراً فى تلك «الوثائق الثلاث» بمراحل فى الكيف والكم والحماقة وإتخذت من الإسلام بكل ما يتعلق به من حقائق غرضاً لسهام طائشة تطلق عليه على مدى الأربع والعشرين ساعة، ويهدفون منها كما قالوا هم من قبل إلى واحدة من ثلاث غايات:

الأولى: القضاء على الإسلام كليةً إن أمكن ذلك.

الثانية: تشكيك الأجيال الشابة فى صحة الإسلام، أو تكريه الإسلام فى نظر أتباعه وبخاصة الشباب.

الثالثة: هى تحجيم الإسلام والحيلولة بينه وبين الانتشار، وبخاصة فى الغرب، ليعيش الإسلام محصوراً فى حيز ضيق حتى لا يقضى على ما عداه من مذاهب وأيديولجيات.

لذلك فقد خصوم الإسلام عقولهم، وراحوا يكيلون له التهم جزافا وبلا أدنى ضوابط. والذى يتابع ما تبثه وسائل الإعلام الحديثة من مواقع «النت» وبعض الفضائيات وغيرها التى تبث إرسالها من بعض عواصم الغرب، ثم يزن هذا بموازين واعية يدرك أن ما يقال عن الإسلام من كل هذه «المنافذ» أنه لو كان فى الوجود شىء أدخل فى مفهوم «الانعدام» من الوهم لكان ما يقولونه عن الإسلام الآن. وأقسم على ذلك بالله قسمًا لاحنث فيه.

وكان الإسلام فى هذا المجال هو المعتدى عليه دائمًا، بل هو «المجنى عليه» ظلمًا وعدوانا، لأنه يقف من غيره موقف المسالمة. والتودد بغية الوصول إلى كلمة سواء. فإذا تعذر ذلك ترك لكل مخالف حرية الاعتقاد وحرية إقامة الشعائر على أن يحترم كلٌّ الآخر، ويعمل كلٌّ على شاكلته لكنه – بهذه التجاوزات– لم يجد احترامًا متبادلاً بل طعونًا سخيفة مع إيماننا بكل الرسالات وتصديقنا لكل ما أنزله الله على رسله، فالقرآن يقول لمحمد ﷺ: «قل آمنت بما أنزل الله من كتاب، وأمرت لأعدل بينكم».

* * *

ونضع بين أيدى القراء نماذج خطيرة من المستجدات التى حدثت خلال السنوات الثلاث التالية لكوارث سبتمبر عام ٢٠٠١م.

● هل القرآن معصوم «وهو كتاب من ٢٤٧ صفحة قيل فى مقدمته أنه طبع فى النمسا، فى دار نشر تسمى «نور الحياة» ووزع عشوائيا فى مصر بأعداد تعد بالآلاف، يوزع مجاناً.

يحتوى هذا الكتاب على أكثر من مائتى طعن فى القرآن ورسوله ومبادئ وقيم الإسلام.

ومؤلفه أسم حركى «عبدالله عبدالفادى» هو عمل جماعى لا فردى.

● الإتقـان فى تحـريف القـرآن « بُـث فى شـهـر رمضـان الماضى على أحـد مـواقع « النت » يتكون من ١١٢ صفحة. يهدف هذا الكتاب إلى مقولة كثيراً ما قيلت أن القرآن ليس وحيًا من عند الله؟

وهذا الكتاب مجموعة أكاذيب لم يصح ولن يصح منها شىء. وهذا مثال منها:

« جاء على بن أبى طالب إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنهما) بعد وفاة عثمان بن عفان. وقال لعمر: إن عندى نسخة غير محرفة من القرآن غير مصحف عثمان. هل أتى بها إليك؟

فقال عمر: لا حاجة لنا بك ولا بقرآنك. القرآن هو ما جمعه عثمان.

ولأول وهلة يظهر لك أن هذا الكلام مكذوب لا أساس له.

لأن عمر – رضى الله عنه توفى قبل وفاة عثمان لا بعده؟

ولأن عثمان جمع القرآن بعد وفاة عمر ولم يجمعه فى حياة عمر؟

فكيف يأتى على – رضى الله عنه إلى عمر بعد موته ويقول له هذا الكلام الذى لا يقوله عاقل؟

وهكذا كل ما ورد فى كتاب « الاتقان فى تحريف القرآن » هو من هذا الهذيان.

● « الفرقان الحق » وهو الكتاب الذى صدر فى أمريكا ويبلغ ٣٦٠ صفحة. ادعى فيه مؤلفوه، ومنهم يهود، أنه وحى أنزله الله عليهم بعد كوارث سبتمبر عام٢٠٠١م.

هذا الكتاب فيه نقض لكل ما ورد فى القرآن من عقائد وتشريع وعبادات وأخلاق. وكله افتراء سخيف على الإسلام من أوله إلى آخره.

فهو يعتبر المسلمين مشركين يعبدون تسعة وتسعين إلاها هكذا، يقصدون بالآلهة التسعة والتسعين أسماء الله الحسنى.

ومما قالوه فى هذا الشأن أن الله أنزل عليهم – فى ما أنزل – الهذيان الآتى:

« أن الذين ضلوا من عبادنا (يعنى المسلمين) قد أشركوا بنا شركة عظيمة. حسبونا تسعة وتسعين إلاها. أسماء وصفات للانس والجن ما أنزلنا بها من سلطان ».

هذا هو « الفرقان الجديد »، لأمريكا، أو البهتان الجديد كما ينبغى أن يوصف.

وما أكثر ما في هذا الغثيان من غرائب وأباطيل.

● وثيقة أخرى بالصوت والصورة، تتهجم على الإسلام، وتتهكم في أساليب سخيفة من ذلك أنهم أتفقوا على عدم تسمية القرآن بـ« القرآن » وإنما يتحدثون عنه بينهم باسم « كتاب الآخرين »؟!

وفي ذلك سخرية بالقرآن وبالمسلمين في آن واحد، هذا قليل من كثير من المستجدات التي طمت وغمت الآن.

على أن لدينا إضافة جديرة بالذكر في خاتمة هذه المقدمة هي:

أن إحدى الوثائق الثلاث، التي ستعرفها في مقدمة الطبعة الأولى، كنا قد رددنا عليها منذ ربع قرن حين صدور الطبعة الأولى منها. وهي الآن في الطبعة السادسة. وتوزع نسخ منها على الشباب المسلم مجانًا في بعض المجتمعات الطلابية ويقوم بتوزيعها عليهم أشخاص مجهولون. وثمنها لو بيعت لا يقل عن عشرين جنيها. هذا وغيره حملنا على إخراج الطبعة الثانية من كتابنا « مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه » حماية لشبابنا من الفتن، وإعمالا بحق الرد على كل ما يمس الدين، والله من وراء القصد.

د. عبد العظيم المطعني

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فى أول ديسمبر سنة ١٩٧٠ نشرت مجلة الهلال المصرية فى عددها الثانى عشر مقالا للأنبا شنودة بابا الإسكندرية الثالث وبطريرك الكرازة المرقسية . وكان عنوان المقال :

القرآن والمسيحية

● **وقال فى مقدمته :**

« موضوع واسع كهذا كتبت فيه مجلدات عديدة، ولم توفه حقه بعد، لست أستطيع أن أدعى بأننى سألم بأطرافه المترامية فى صفحات قليلة كهذه، وإنما سأعرض لبعض النقاط المحدودة وألقى عليها ضوءاً بسيطًا نراها من خلاله، ونترك التفاصيل لبحوث خاصة؟! » .

وقد تناول فى المقال مجموعة من القضايا الدينية والفكرية، بعضها لا نختلف معه حولها . وبعضها لا نملك مجاراته عليه لاختلافها مع عقيدة المسلم اختلافا عميقًا . ومجرد التسليم بها معناه أن المسلم يتهم مصادر العقيدة الإسلامية، وفى مقدمتها القرآن الحكيم، بالكذب . وهذا هو الكفر الصراح؟!

على أن أغرب ما فى هذا المقال أن الكاتب يستشهد على صحة ما يقول مما هو مخالف لعقيدة المسلم بآيات من القرآن الكريم، ونصوص من السنة الشريفة، كما يستشهد بأقوال مفسرى القرآن الكريم فكيف يستقيم هذا، وعقيدة عامة النصارى، فضلاً عن عقيدة آبائهم وكهنتهم – لا تؤمن برسالة الإسلام كتابا ورسولا؟!

وليت الأمر يقف عند مجرد الاستشهاد، وإذن لهان الخطب، ولكن الكاتب يلوى معانى النصوص ليا كريها، ويقسرها قسرا على المراد؟!

وأمر ثالث نلحظه فى هذا المقال، وهو أن الكاتب بحث عن النصوص الإسلامية قرآنًا وسنة وأقوال مفسرين التى يمكن من حيث الظاهر، تطويعها وحملها على مراده، فاعتمدها واستشهد بها وترك ما عداها من النصوص التى تتعلق بنفس الأفكار

والعقائد التى أوردها فلم يقم لها شأنا، سعيا وراء إيهام القراء بأن ما يقرره هو صحيح تؤيده مصادر العقيدة فى الإسلام. وهذا خطأ منهجى جسيم. إذ كان يجب لو أراد البحث عن الحقيقة المجردة - أن يورد كل النصوص المتعلقة بالفكرة المدروسة، منتهياً إلى ما تنتهى إليه من «حقائق» مهما كان مؤداها. أما وقد فعل ما فعل. فإن النتائج التى أوردها ليست ذات قيمة، لخروجه على المنهج العلمى السليم فى البحث والاستنتاج؟!

فإذا كان هدف الكاتب من ذلك المقال هم بنو عقيدته فإنه لم يخلص لهم النص لاخفائه الحقيقة عنهم. وان استهدف غيرهم فإن عور المنهج المتخذ فى ذلك المقال لا يخفى على أحد من ذلك «الغير» صحيح أنه قد يترك لدى بعضهم، وخاصة الشباب - ظلالاً باهته من التشكيك، ومن أجل هذا وضعنا هذه «المواجهة» حماية لعقيدتهم. وصونا للحق أن يضاع.

وأمر رابع نلحظه فى منهج المقال. وهو أن الكاتب يقوم أحيانًا ببتر النصوص فيذكر ما يوافقه. ويهمل ما يخالفه. فقد يأخذ جزءاً من آية، ويترك جزءاً آخر، لأن الذى أخذه يمكن حمله من حيث الظاهر أيضًا على تأييد مدعاه. وأما الجزء المتروك فإنه يهدم - لو ذكره - ما بناه . ولذلك ترك.

وقد أثار البابا فى مقاله القضايا الآتية، واستشهد على صحتها بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين. وتلك القضايا هى:

١- أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل . بل هو دعا إلى الإيمان بهما والعمل بمقتضاهما ؟!

٢- أن التوراة والإنجيل لم يقع بهما تحريف. والقرآن يشهد بذلك ويحكم على من يعتقد خلاف ذلك بأنه كافر خاسر؟!

٣- إن معجزات السيد المسيح، وخاصة الخلق وعلم الغيب، فوق مستوى البشر - جميعا - لأنها - أى معجزات عيسى عليه السلام - من عمل الله نفسه..؟! ولذلك فإن عيسى قد احتل - فى القرآن - منزلة رفيعة لم يتمتع بها أحد سواه من البشر. ولو كانوا رسلا لله ؟!

٤- أن النصارى - مع اعتقادهم فى الثالوث - موحدون لا مشركون ويذكر لتأييد هذا الادعاء حشدا هائلا من آيات القرآن الكريم . واضعا لها فى غير موضعها. مريدا منها ما ليس فيها ؟!

هذا ، وقد وعد الكاتب فى مقاله ذاك فى ذلك الحين[١] بصدور بحوث خاصة تقوم بمهمة التفصيل والبسط لهذه القضايا التى أوجز هو القول فيها نظرا لطبيعة ضيق المساحة فى مجلة الهلال التى نشرت ذلك المقال ؟

فما الذى حدث بعد ذلك الوعد ؟!

استحالة تحريف الكتاب المقدس . . . ؟ !

إن الذى حدث . هو واحد من تلك « البحوث الخاصة » التى وعد بها البابا من منذ ثمانى سنوات . أنه كتاب ظهر بعنوان : استحالة تحريف الكتاب المقدس . أصدرته كنيسة الشهيدة القديسة دميانة بالهرم . ومادة الكتاب - كما جاء فى مقدمة طبعته - هى ثمرة الدراسات التى ألقيت بكنيسة الشهيدة القديسة دميانة بشارع الهرم ردا على تساؤلات شباب الكنيسة فى هذا الموضوع[٢] وقام بتحرير مادة الكتاب « مهندس وهيب عزيز خليل » وأسهم فى إخراجه كل من : البابا شنودة والأنبا دوماديوس أسقف الجيزة . وراجع الكتاب الايبودياكون الدكتور إبراهيم سدراك .

وقد نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب فى أقل من شهر كما جاء فى مقدمته . وقام بكتابة مقدمتى الطبعتين الأولى والثانية القس مرقس حبيب .

وتاريخ صدور الطبعتين هو كالآتى :

الطبعة الأولى	الطبعة الثانية
أول توت سنة ١٦٩٤ ق	أول توت سنة ١٦٩٥ ق
١١ سبتمبر سنة ١٩٧٧م	١١ سبتمبر سنة ١٩٧٨

أى أن تاريخ صدورهما متحد (يوم معين من شهر معين) وأى (أخرى) أن الفارق بين صدور الطبعتين هو عام واحد (!) .

ويقع الكتاب فى طبعته الثانية « المزيدة المنقحة » فى ست وثلاثين وثلاثمائة صفحة من القطع المتوسط . ويشتمل على ستة أبواب ، وهى مع الترتيب[٣] :

١- جولة فى ربوع الكتاب المقدس — من ص ١٥ إلى ص ٣٠

٢- دحض الدعوى بتحريف الكتاب المقدس — من ص ٣٠ إلى ص ٥٧

---

(١) أول ديسمبر سنة ١٩٧٠ — (٢) مقدمة الطبعة الثانية (ص ٨) .

(٣) وقد تعددت اللقطات الزنكغرافية فى الكتاب لصفحات من الصحف السيارة وبعض المؤلفات الخاصة .

٣– شهادة الإسلام لصحة الكتاب المقدس من ص ٥٨ إلى ص ٢٨٣
٤– الكتاب المقدس والعلم الحديث من ص٢٨٤ إلى ص ٢٩٥
٥– شهادة الحفريات لصحة الكتاب المقدس من ص ٢٩٦ إلى ص ٣٠٨
٦– شهادة كبار الشخصيات العالمية للكتاب المقدس من ص ٣٠٩ إلى ص ٣٢٥

ولن يهمنا من هذا كله سوى البابين الثانى والثالث إذ يكاد الكتاب كله أن يكون محصوراً فيهما، فقد استبد الحديث فيهما بقدر كبير من صفحاته (٢٥٣) صفحة من المجموع الكلى وهو (٣٣٦) صفحة والباقى وهو (٧٢) صفحة موزعة على الأربعة الأبواب الأخرى أى أن متوسط الباب الواحد منها هو (١٨) صفحة فحسب. وهذا معناه أن مادة هذا الكتاب هى مادة إسلامية.

وهذا هو الذى حملنا على مناقشة ما ورد فى كتاب « الاستحالة » لأن مخرجيه قد سطوا على مئات الآيات القرآنية تصرفوا فيها بالحذف وقسروها قسرا على مرادهم، كما اعتدوا على معانى النصوص القرآنية وفسروها تفسيرا خاضعاً للهوى.

وفضلا عن هذا فإن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد استحدثوا نوعا من التهجم على الإسلام ومبادئه ورسوله، فقاموا بعمل جداول بين خصائص الإسلام متمثلة فى النصوص القرآنية، وبين المعتقدات النصرانية وقارنوا بينها مقارنة ظالمة، رأينا من أوجب الواجبات أن نواجهها مواجهة موضوعية الفكر بالفكر. والحجة بالحجة. وإلا فإن السكوت فى مثل هذه المواقف قد يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه.

ولن نثير فى هذه المواجهة إلا ما أثاروه هم من قضايا، ولن نتعدى حدود الخصومة المثارة على أيديهم. فلسنا – فى هذه المواجهة – مهاجمين، بل مدافعون. والدفاع – دائماً – واجب مقدس لا ينكره شرع ولا عرف.

وقد قرأت منذ سنين طويلة موعظة لا بأس من ذكرها هنا. لأن المقام يقتضيها.

وخلاصتها أن نوحا عليه السلام كان يسير يوما فى طريق جبل خال من المارة، فأبصر أسدا نائماً على قارعة الطريق، فوكزه برجله فصحا الأسد وأحدث فى نوح – عليه السلام – جرحا. فقال نوح: يا رب أسدك عقرنى؟ وإذا به يسمع صوتا يقول: يا نوح أنت بدأته والبادئ أظلم ...؟!

وقبل أن نبدأ فى المناقشة نعرض على القارىء قصة وثيقة أخرى سارت فى نفس الطريق الذى سارت فيه الوثيقتان الأوليان. ظهرت فى أوائل صيف ١٩٧٨ بعنوان ...

* * *

أى الاثنين أقدر .. عيسى أم محمد .. ؟!

ولما كانت هذه الوثيقة غير منسوبة لأحد، بل قيل أنها وافدة من داكار عن طريق البريد الإعلامى. فإنها أسفرت عن وجه قبيح فى التهجم على رسول الإسلام، ورمته بكل نقيصة وحذرت المسلمين من الإيمان به، والاعتماد عليه فى الخلاص من الذنوب، وأظهرته فى مظهر المدعى الأفاك الذى ادعى النبوة وزعم أن الوحى نزل عليه؟!

ويقولون أنه لو كان صادقا لقام بمعجزات .. كيف وأنه لم يأت بمعجزات قط. ولكن بعض المسلمين يؤمنون بأنه صاحب معجزات بيد أن الأذكياء من المسلمين يعتقدون أن المعجزات التى قد رددها البعض عن « محمد » ﷺ – إنما هى نوع من التفكير الخرافى لم يقم عليه دليل.

ويقولون أن « محمدا » ﷺ مولود من بشرين أب وأم ولما كان البشر – جميعًا – آثمين. فإنه ورث عن أبويه الطبيعة الآثمة. فعاش شهوانيا تزوج عدة مرات. وتسبب فى قتل الكثير من أصحابه.

ويقولون: أنه مذنب مجرم آثم، فكيف يخلص آثم مثله أن المخلص الوحيد للناس من آثامهم وذنوبهم هو عيسى فعلى المسلمين أن يلتفوا حوله لينقذهم من ذنوبهم.

والمضحك – حقًا – أن هذه الوثيقة مع اتهامها لرسول الإسلام ﷺ بأنه مدعى نبوة لم ينزل عليه وحى. مع هذا كله فإنها تستشهد بآيات من القرآن الحكيم لتستدل بها على:

أولا: أن رسول الإسلام لم يقم قط بمعجزات ...؟!

ثانيا: أفضلية عيسى عليه السلام على محمد ﷺ. بل على سائر الأنبياء والمرسلين. أن أساس التدليل، وأساس المقارنة فى هذه الوثيقة كانت آيات القرآن. بها ذموا من ذموا، ومدحوا من مدحوا.

وبها نفوا ما نفوا، وأثبتوا ما أثبتوا مع أنهم يدعون أن محمداً ﷺ مدعى نبوة ولم ينزل عليه وحى من السماء.

فكان الحرى بهم أن لا يعتمدوا على القرآن فى إثبات مدعياتهم. وإلا فإن استشهادهم به دليل على ضعف ما لديهم من براهين، أو قل انعدامها البتة.

فها هم قد دخلوا المعركة بسلاح عدوهم. ولو كان لديهم سلاح خاص بهم - يضمنون به النصر - لاستعملوه، ولكننا نقول لهؤلاء ولهؤلاء أن أصحاب هذا السلاح قادرون على استرداده ممن استلبه. وهم أقدر على «استعماله» وإحراز النصر به. لأنه سلاح لم تسبق له هزيمة قط. أن المسلمين قد ينهزمون عسكريا، ولكن الإسلام لن يهزم «فكريا» بل هو قادر على مواجهة كل النظم والايديولجيات، لأن الإسلام ليس - دائماً - هو المسلمين.

● **منهجنا فى هذه المواجهة :**

ونوضح للقارىء - ابتداء - الأصول المنهجية التى ندير عليها شأن هذه المواجهة وهى:

١- نصوص القرآن الحكيم والمصادر الإسلامية الأخرى. ولا يقلل فى هذا كون من نحاورهم مختلفين معنا فى العقيدة .. فهم قد بدأوا فى الاستدلال وكفونا مؤنة المخاطرة.

٢- نصوص الكتاب المقدس بعهديه وهذا أمر مسلم. بيد أن الذى أحب أن يستشعره القارئ، وهو يطالع هذا الكتاب أننا حين نذكر نصا من نصوص الكتاب المقدس بعهديه لا نقصد أكثر من الاحتجاج به على قوم هم به يؤمنون مع ما لنا من تحفظات سنعفى أنفسنا من ذكرها إلا عند الضرورة.

٣- واقعنا وواقعهم. فإن الواقع ظل المبدأ وبه يكون وسوف نتخذ من هذا الواقع - سواء لدينا أو لديهم - مبدأ للحوار فى بعض القضايا والمواقف - كما سنرى - وليس فى كل موقف من هذه المواجهة.

٤- العقل . وهو قاسم مشترك بين طرفى كل نزاع، عندما يكون موضوع النزاع واحدا من العقليات. ولا ريب أن بعض القضايا المثارة فى تلك الوثائق الثلاث يدخل فى مجال العقل من أوسع الأبواب.

والله نسأل أن يجمعنا على الهدى. وأن يجنبنا مزالق الهلاك والردى. إنه سميع مجيب.

المؤلف
د. عبد العظيم المطعنى
عفا الله عنه

القسم الأول

وثيقة البابا المنشورة بمجلة الهلال

عرض ونقد

قلنا أن البابا قد أثار عدة قضايا فى مقاله المشار إليه فى مقدمة هذه المواجهة. وأنه جعل المعول عليه فى الاستشهاد هو القرآن الكريم ولما كانت تلك القضايا تختلف مع ما يعتقده المسلم. فإن إقامة الدليل عليها من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن العظيم، تعنى فيما تعنى واحدا من أمرين:

أحدهما : أما أن القرآن – دستور الإسلام – يدعو إلى الشىء وضده ويجعلهما فى درجة واحدة من الصحة والاعتقاد.

وثانيهما : أن كثيرا من العقائد التى يؤمن بها المسلم من أوثق مصادر الإسلام تصبح «باطلة» ما دام المخالف قد أقام الدليل من القرآن نفسه على صحة ما هو مؤمن به مما يخالف العقائد الإسلامية.

وكلا الأمرين خطأ وخطر ينبغى التصدى لهما الحجة بالحجة، والبرهان بمثله والذى يهمنا مما ذكره البابا عدة أمور:

أولاً : ادعاؤه صحة إيمان النصارى مع إنكارهم للإيمان بالإسلام؟!

ثانيًا : ادعاؤه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف. وأن من يؤمن بأنهما محرفان فهو كافر خاسر؟!

ثالثًا : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل. وأن القرآن يدعو إلى العمل بهما، فإن لم يعملوا بهما فهم ليسوا على شىء ....؟!

رابعًا : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة رفيعة فى القرآن ترفعه فوق مستوى البشرى. ولم يتمتع بها أحد غيره...؟!

خامسًا : ادعاؤه أن عقيدة «التثليث» التى يؤمن بها النصارى، لا تختلف عن عقيدة «التوحيد» عند المسلمين ؟!

ولولا أن البابا قد استشهد على هذه «العقائد» من القرآن الحكيم لما كلفنا أنفسنا كتابة سطر واحد فى الرد عليها. فالناس أحرار فيما يعتقدون. وإنما اضطررنا لمواجهتها هنا دفاعا عن عقائدنا وردا لاعتبار النصوص الإسلامية التى استكرهت على غير المراد منها استكراها غير محمود. والسكوت على هذا الاستكراه يوحى لشبابنا أن ما يدعيه مخالفو الإسلام صحيح وهذه هى الكارثة التى لا تبقى ولا تذر.

من أجل هذا. وهذا وحده، نضع هذه المواجهة للدفع وليس للهجوم والله يهدينا إلى سواء السبيل، ولنبدأ عملنا مستهدين بالله ربنا ورب كل شىء.

*   *   *

القضية الأولى : ادعاؤه صحة إيمان النصارى مع نكران الإسلام ...؟!

ذهب البابا فى مقاله إلى القول بصحة إيمان النصرانى مع نكرانه للإيمان برسالة محمد ﷺ، واستشهد على صدق مدعاه بكثير من النصوص القرآنية، وها نحن أولاء نوردها نصا نصا ونرد لها اعتبارها مزيلين عنها كل زيف أو غموض. موضحين خلوها تماما مما حملها عليه البابا فى مقاله المذكور.

ومن تلك النصوص قوله تعالى :

﴿ ...مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران : ١١٣ - ١١٤] فى هذه الآية الحكيمة ثناء من الله على أمة من أهل الكتاب، وصفها الله بالقيام وهو الاستقامة على الدين فى بعض الآراء، ثم بتلاوة آيات الله فى الليل والناس نيام وبالسجود، والإيمان بالله واليوم الآخر، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والمسارعة فى الخيرات، وكونهم من الصالحين.

وقد أغرت هذه الصفات «البابا شنودة» فانتزعها انتزاعا من كل الملابسات وحملها على أنها أوصاف للنصارى جاء بها صريح القرآن !

ثم مهد لهذا الادعاء فحذف من الآية الأولى صدرها، وهو «ليسوا سواء» موهما قارئه أن أصل الآية هكذا **﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ...﴾** ولولا أنه خشى افتضاح أمره لحذف كلمة «من» لتكون الآية هكذا **﴿أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ...﴾** لأن «من» هذه لها دلالة قوية فى دحض مدعاه كما سيجيء.

وهذا الادعاء الذى ادعاه «البابا» مردود من كل الوجوه. وذلك لأن لهاتين الآيتين ارتباطا وثيقًا بالآيات التى سبقتها، وننقل للقارىء نسق الآيات كاملا ليشترك معنا فى فهم بطلان ما ادعاه البابا، وإليك ذلك النسق الحكيم :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن

يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ ، ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ... ﴾ هذا هو نسق الآيات الحكيم . فقد سبق على هاتين الآيتين اللتين استشهد بهما البابا ثلاث آيات هي [١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، من آل عمران] . استهلت الآية الأولى منهما بقوله تعالى مخاطبًا أصحاب محمد ﷺ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ثم بين خصائص هذه الأمة وهي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله ثم أردف على هذا قوله تعالى :

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ثم بين في الآية رقم (١١٢) سوء حال أهل الكتاب، وقبح جرائمهم، فأوضح أن الذلة قد لازمتهم، والمسكنة قد شملتهم بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياءه بغير حق، وعصيانهم لله، واعتدائهم على حرماته.

هذه أحكام عامة جرت على أهل الكتاب. فهذا شأنهم، والمراد منهم هنا هم اليهود خاصة؟ لأنهم كانوا يعايشون المسلمين في المدينة. وسورة آل عمران نفسها مدنية.

بيد أن هناك جماعة منهم قد أسلموا وأطاعوا الله ورسوله وهم على ما ذكر المفسرون:

« اخرج أبو اسحق والطبراني، والبيهقي، وغيرهم عن ابن عباس قال: لما أسلم عبدالله بن سلام، وثعلبة بن شعبة، وأسيد بن شعبة، وأسيد بن عبيد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا، ورغبوا في الإسلام. قالت أحبار يهود، وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد وتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم ورغبوا في غيره فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ فالأمة التي يصفها القرآن هنا هم من أسلم منهم وحسن إسلامه وليس المراد وصف أهل الكتاب عامة[١] .

---

(١) تفسير روح المعاني الألوسي (جـ٤ ص ٣٢) والفخر الرازي (جـ٨ ص ١٨٧) والكشاف للزمخشري (جـ١ ص ٤٥٦) والقرطبي (جـ٤ ص ١٧٥) والنسفي (جـ١ ص ١٧٦) وأسباب النزول للواحدي (ص ٦٨) .

وقد نقل الواحدى فى أسباب النزول اشتراك مقاتل مع ابن عباس فى هذه الرواية.

وعلى هذا فإن الآية قد أخرجت من أسلموا من اليهود، والنصارى من تلك الأوصاف العامة التى هى شأن أهل الكتاب. وبينت أن أهل الكتاب ليسوا كلهم مستوين. فمن بقى منهم على كفره بمحمد ﷺ فحاله هو ما تحدثت عنه الآية المتقدمة «ضربت عليهم الذلة..» ومن أسلم منهم فحاله هو ما تحدثت عنه الآيتان: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ... ﴾ و ﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ وهما اللبنتان أراد البابا تسخيرهما لصدق مدعاه ...؟!

وسياق الآيات نفسه يبين إلى أى حد بلغ استخفاف «البابا» بحرمة النص والتهجم المكشوف عليه. ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ﴾ فكيف يستقيم أن ينفى عنهم الإيمان وهم على حالهم من نكران رسالة محمد ﷺ، ثم يعود فيثبت لهم ذلك الإيمان المنفى عنهم وهم باقون على نكرانهم لم يتحولو عنه؟!

هذه واحد. والثانية:

إن قوله تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾ فكلمة «من» تفيد «البعضية» ولا تفيد «العموم» وتلك البعضية تحققت بالذين خرجوا من عقيدة اليهود، والنصارى بأسلامهم وإيمانهم برسل الله جميعًا ولم يفرقوا بين أحد منهم، وتلك هى عقيدة المسلمين.

هذه هى الثانية، والثالثة:

أن فاصلة الآية الكريمة جاءت على هذا السياق «وهم يسجدون» فهل فى صلاة اليهود والنصارى سجود كما هو فى صلاة المسلمين؟!

أن هذه الدلائل جميعًا تؤكد بوضوح لدى المسلم وغير المسلم أن الآيتين اللتين استشهد بهما «البابا» على صدق مدعاه بعيدتان كل البعد عما أراده منهما فبقيت دعواه وهما من الأوهام.

ويستشهد «البابا» بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [البقرة: ١٢١].

وهدف «البابا» من ذكر هذه الآية - كما أفصح عنه كتاب «استحالة تحريف

الكتاب المقدس » كما سيأتى – هو أن المراد من الكتاب هو الكتاب المقدس وعلى هذا فإن المراد من « الذين آتيناهم الكتاب » هم النصارى. فهم يتلونه حق تلاوته، ويؤمنون به، ومن لم يؤمن به سليما غير محرف، وهم المسلمون، فهم الخاسرون الكافرون؟!

فقد ورد فى كتاب : « الاستحالة » ما يأتى تعليقًا على هذه الآية الكريمة: « كما يؤكد القرآن ما سبقت الإشارة إليه من أن الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس يكونون **خاسرون** (هكذا برفع المنصوب!) فكيف يكونون خاسرين إذا كان الكتاب المقدس محرفًا »[1].

هذه هى دعواهم فهل لها وجه من الصحة ؟!

جاء فى التفسير الكبير للإمام الفخر الرازى ما يأتى:

« المراد بالذين آتيناهم الكتاب » من هم؟ فيه قولان:

القول الأول: أنهم المؤمنون الذين آتاهم الله القرآن. واحتجوا عليه من وجوه (أحدها) أن قوله « يتلونه حق تلاوته » حث وترغيب فى تلاوة هذا الكتاب، ومدح على تلك التلاوة، والكتاب الذى هذا شأنه هو **القرآن لا التوراة** ولا **الإنجيل**، فإن قراءتهما غير جائزة (وثانيها) أن قوله تعالى: ﴿ **أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** ﴾ يدل على أن الإيمان مقصور عليهم، ولو كان المراد أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لما كان كذلك؛ – لإن الإيمان ليس مقصوراً عليهم – (وثالثها) قوله: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ والكتاب الذى يليق به هذا الوصف هو القرآن.

القول الثانى : أن المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا بالرسول من اليهود. والدليل عليه تقدم ذكرهم... فلما ذم طريقتهم – يقصد وصفهم فى قوله تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ – وحكى سوء افعالهم أتبع ذلك بمدح من ترك طريقتهم بل تأمل التوراة وترك تحريفها وعرف منها صحة نبوة محمد عليه السلام[2].

ونقل القرطبى فى تفسيره الرأيين، عزا الأول إلى قتادة القائل بأن الذين أتيناهم الكتاب هم أصحاب الرسول عليه السلام، وعزا الثانى إلى ابن زيد القائل بأنهم هم الذين أسلموا من اليهود[3].

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس (ص ٦٣) ط ثانية .

(٢) تفسير الرازى (جـ ٤ ص ٣٢).

(٣) تفسير القرطبى (جـ٢ ص ٩٥) وانظر معه تفسير النسفى (جـ١ ص٧٢).

ويقول الإمام الزمخشرى فى كشافه :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ هم مؤمنو أهل الكتاب ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ﴾ لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله ﷺ ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ بكتابهم دون المحرفين « ومن يكفر به، من المحرفين » ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ حيث اشتروا الضلالة بالهدى »[١].

وعلى هذا فإن المراد من « الكتاب » عند الزمخشرى هو التوراة والإنجيل حالة كونهما مصونين من التحريف مشتملين على البشارة برسول الله - محمد - ﷺ ، والإيمان بالتوراة والإنجيل بهذا الشرط متضمن للإيمان بمحمد ﷺ وكل الرسل.

أما الإمام الألوسى فيرى - مثل غيره - أن المراد بالذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنو أهل الكتاب من اليهود والنصارى استثناء لهم ممن بقي على الكفر منهم المشار إليهم بقوله تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ ..

ويجوز في الوقت نفسه أن يكون المراد منهم هم أصحاب رسول الله ﷺ وهذا الرأى يتردد كثيراً عند المفسرين، كما جوز أن يكون المراد هم جميع الأنبياء والرسل وهذا الرأى انفرد به الإمام الألوسى فيما أعلم.

أما المرا من الكتاب عنده فهو الكتاب المنزل على موسى « التوراة » والمنزل على عيسى عليهما السلام « الإنجيل » على الرأى الأول، وعلى الرأى الثانى المراد منه القرآن وعلى الرأى الثالث المراد منه جميع الكتب المنزلة[٢].

وبناء على كل ما تقدم فليس للبابا أية حجة يفيد منها فى هذه الآية، وذلك لأن :

أولاً - إذا كان المقصود منها أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والمقصود من الكتاب فيها التوارة والإنجيل فإن شرط امتداحهما كون الكتاب مصونا من التحريف وباقيا كما أنزله الله، وكونهم مؤمنين به على تلك الصفة، وهى تقتضى ضرورة الإيمان برسول الله - محمد - ﷺ، وإيمانهم بهما (التوراة والإنجيل) مجردا عن تلك الصفة لا اعتبار له.

ثانياً - وإذا كان المراد من الكتاب القرآن الكريم، والمراد من الذين أوتوه هم أصحاب محمد ﷺ فما أبعد الآية عما أراده منها البابا؟!

---

(١) الكشاف (جـ١ ص ٣٠٨) .

(٢) روح المعانى للإمام الألوسى (ط ١ ص ٣٧٢ وما بعدها) .

ثالثًا – وحتى لو كان المراد من الذين أوتوا الكتاب هم الرسل جميعًا، وهو رأى بعيد كما نص على ذلك الألوسى نفسه، فالآية أوغل فى البعد من مقصود البابا وهذا أمر لا يحتاج إلى توضيح. فبقيت دعواه معراة من كل دليل أو حتى شبه دليل.

ثم يقول البابا بعد ذلك « بل أكثر من هذا وضع القرآن النصارى فى مركز الافتاء فى الدين؟! ثم يستشهد على هذه الدعوى بآيتين من القرآن الكريم، **إحداهما** قوله تعالى :

﴿ **فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ** ﴾ [يونس : ٩٤].

وقد استهدف البابا من سوق هذه الآية أن يقول: أن اليهود والنصارى كانوا « معلمين » لرسول الإسلام، وقد أفصح كتاب « الاستحالة » أن هذه الآية تدل على أن النصارى بكتابهم « المقدس » كانوا مصدرا للوحى وللرسالات والشرائع السماوية(١)؟!

وليس الأمر كما توهم البابا وأتباعه، ولكى لا يكون عند القارىء ريب فى دفع هذا التهجم على هذا النص الحكيم ننقل ما قاله المفسرون فى توجيه هذه الآية ثم نتبعه بدليل آخر يدفع هذه الشبهة دفعا فلا يبقى لها على أثر حتى عند متوهميها ومتولى كبرها. والدليل الذى سوف نسوقه أمام القارىء مستمد من القرآن نفسه.

ولنبدأ – الآن بما قاله المفسرون :

فالإمام القرطبى يذهب إلى أن الخطاب فى الآية للنبى والمراد غيره، وينقل عن أبى عمرو محمد بن عبدالواحد أنه قال: سمعت الإمامين ثعلبا والمبرد يقولان: « فإن كنت فى شك » أى قل يا محمد للكافر فإن كنت فى شك .. فاسأل الذين يقرأون الكتاب ... » والمراد بالكافر – هنا – عبدة الأوثان. وهذا الرأى يبدو عليه أثر الضعف فى الواقع؟ كما ذهب إلى القول بأن الخطاب فى ظاهره وباطنه للنبى عليه السلام، والمعنى عليه: لو كنت يلحقك شك فيما أخبرناك فاسأل .. وفسر الشك بضيق الصدر من عناء الدعوة والمسئول عنه هو – كما يرى القرطبى: ما لقيه الرسل السابقون من عناء قابلوه بالصبر؟ كما ينقل رأيا آخر هو أقرب إلى الاعتقاد مؤداه: أن الفاء مع حروف الشرط لا تثبت الفعل ولا توجيه . ثم قال والدليل عليه ما روى عنه ﷺ أنه قال لما نزلت هذه الآية « والله لا أشك »(٢).

---

(١) انظر (ص ٦٠) منه .

(٢) تفسير القرطبى (جـ٨ ص ٣٨٢) .

وهذا الذى رواه أخيراً ورد عند بعض المفسرين مع زيادة « ولا اسأل بل أشهد أنه الحق »(١).

أما الإمام الفخر الرازى فيفيض فى توجيه الآية على طريقته فى التحليل المسهب وها نحن أولاء نعرض ما قاله فى إيجاز وتصرف غير مخل.

قال: وفى الآية مسائل:

المسألة الثانية(٢): اختلف المفسرون فى أن المخاطب بهذا الخطاب من هو؟ فقيل النبى عليه السلام، وقيل غيره. أما من قال بالأول فاختلفوا على وجوه:

الوجه الأول: أن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام فى الظاهر والمراد غيره، كقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ** ﴾ وقوله: ﴿ **لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ** ﴾ ويحتج الرازى لهذا الوجه بقوله تعالى فى آخر السورة: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ...** ﴾ فبين أن المذكور فى الآية الأولى على سبيل الرمز، هم المذكورون فى هذه الآية على سبيل التصريح.

وينفى الإمام الرازى أن يكون الشك حاصلا بالفعل للرسول عليه السلام فيقول: « ولو كان النبى شاكا فى نبوة نفسه فكيف يزول ذلك الشك بأخبار أهل الكتاب عن نبوته مع أنهم فى الأكثر كفار...، وقد تقرر أن ما فى أيديهم من التوراة والإنجيل فالكل مصحف محرف، فثبت أن الحق هو أن هذا الخطاب وإن كان فى الظاهر مع الرسول ﷺ إلا أن المراد هو الأمة، ومثل هذا معتاد » ثم يقول موجها الآية على رأى من قال أن المخاطب غير الرسول فى الحقيقة دون الظاهر:

وأما الوجه الثانى: فتقريره أن الناس فى زمانه كانوا ثلاثة أقسام: المصدقون به، والمكذبون له، والمتوقفون فى أمره الشاكون فيه، فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال: إن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى على لسان محمد فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته... ثم حذره - أى الشاك - أن يكون

---

(١) الكشاف (جـ ص ٢٥٣) والنفى (جـ ٢ ص ١٧٦) وروح المعنى للألوسى (جـ ١١ ص ١٩٠).

(٢) أهملنا المسألة الأولى لأنها بحث لغوى فى معنى الشك لا ضرورة له هنا.

من الفريق المكذب بالنبوة فقال: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (١).

وعلى كلا الرأيين فإن الآية تخلو مما يريده البابا وشيعته. وسيأتي توضيح آخر لهذا المعنى.

ويقول الإمام النسفي: «لما قدم ذكر بني إسرائيل .. ووصفهم بأن العلم قد جاءهم(٢) لأن أمر رسول الله ﷺ مكتوب في التوراة والإنجيل، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ يبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك - فرضا وتقديرا - فسل علماء أهل الكتاب فالمراد وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل إلى رسول الله ﷺ لا وصف رسول الله بالشك فيه»(٣).

وإلى مثل هذا الرأى يذهب الإمام الألوسى. فالخطاب - عنده - للرسول عليه السلام لفظا وقصدا. ولكن الشك فرضي تقديرى - كما يقول الإمام النسفى - والمقصود من هذه الآية التعريض بأهل الكتاب وتوبيخهم على ترك الإيمان، لأن ما بأيديهم من كتب تشهد بصحة نبوته - ﷺ - ولكنهم من حقدهم على صاحب الرسالة كتموا ما لديهم من شهادة الحق. يقول الألوسى بعد بيان هذا: «وليس الغرض إمكان وقوع الشك له ﷺ أصلا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حين جاءته هذه الآية على ما أخرج عبدالرزاق وابن جرير عن قتادة «لا أشك ولا أسأل»(٤) هذه خلاصة أمينة وافية لآراء خمسة من كبار المفسرين، وكلها - كما ترى - بعيدة كل البعد عما أراد البابا وأشياعه حمل الآية عليه. على أننا أهملنا رأى من يقول منهم بأن المراد من «الذين يقرأون الكتاب من قبلك» هم من آمن وأسلم منهم، لأننا رأينا في روح المعاني للألوسى(٥) نقداً وجيها يدفع هذا الرأى وهو أن سورة يونس التي تضمنت هذه الآية مكية النزول، وعبدالله بن سلام ومن أسلم معه من اليهود إنما كان إسلامهم بالمدينة فلا وجه لحمل الآية عليهم، وهذا نقد صائب كما ترى.

---

(١) التفسير الكبير للرازى (جـ١٧ ص ١٦٠).

(٢) يقصد قوله تعالى قبل آية الشك «فما اختلفوا حتى جاءهم العلم».

(٣) تفسير النسفى (٢ ص ١٧٦).

(٤) تفسير الألوسى (جـ١١ ص ١٩٠).

(٥) ليس في الألوسى هذا التفصيل وإنما الذى جاء فيه لمحة عابرة إلى هذا المعنى.

أما الدليل الذى كنا قد وعدنا به – وقد كنت أظن قبلا أن أحدا لم يهتد إليه، ثم سررت أيما سرور حين رأيت الإمام الألوسى ينص عليه فى تفسيره فحاصله:

أن فى القرآن الكريم نصوصا كثيرة خوطب بها ﷺ تفيد فى ظاهرها أنه لو حدث منه أمر – شرط – أو استقر لديه، لترتب عليه أمر آخر – مشروط – منه هو نفسه، أو من الله. والواقع أن الله يعلم أن ذلك الأمر – الشرط – لن يقع منه ﷺ أو يستقر لديه. فالمشروط – كذلك لن يقع.

وقد أشار الألوسى إلى الشق الأول من هذا النهج ببعض آية، ونحن نذكرها بتمامها ليكون المراد أبين. وهى قوله تعالى:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥].

أننا نعلم أن الرسول عليه السلام كان شديد الحرص على إيمان قومه، يحزنه إعراضهم لأنه يعلم لهم من الخير ما لا يعلمون. فأراد الله أن يسرى عن رسوله ويخفف عنه وطأة صدورهم فقال له: إن كان إعراضهم قد ثقل عليك لأنك حريص على هداهم – وهذا الثقل حاصل عنده ﷺ – فرتب الله عليه شرطا وجزاء وهو يعلم أن كليهما لا سبيل إليه، فقال لرسوله إن استطعت أن تتخذ سربا فى الأرض غائصاً فيها إلى الأعماق، أو استطعت أن تتخذ لك سلما تصعد على درجة إلى أعلى الآفاق بحثا عن آية تأتيهم بها من قبلك ليؤمنوا الإيمان الذى تحرص عليه منهم فافعل[1] فالله يعلم أن محمدا لا يستطيع من تلقاء نفسه أن يتخذ النفق أو السلم. فالشرط ممتنع وكذلك الجزاء.

والسر البيانى لهذا الأسلوب – والله أعلم – أن يعلم الله رسوله أنه لو بذل فى سبيل إيمانهم كل ما يستطيع وفوق ما يستطيع فلن يؤمنوا. فعلام تحزن – إذن – والإتيان بالآيات وعدمه عند هؤلاء سواء؟

ونظير هذا قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦].

(١) يلاحظ أن جزاء الشرط فى الآية محذوف لظهوره من سياق الكلام وقد قدره القرطبى بقوله «فافعل» وعنه نقلناها أنظر تفسيره (جـ ٦ ص ٤١٧).

ومثل آية الأنعام فى انتفاء الشرط والجزاء قوله تعالى:

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ[1] مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١٢٠].

فاتباع أهواء اليهود والنصارى من قبل الرسول عليه السلام ممتنع، وكذلك امتنع - تبعا له - تخلى الله عن رسوله، فقد كان له - دائماً - منه ولى ونصير.

والسر البيانى - فيما أرى - هو شناعة هذا الاتباع وأن الله يتخلى عمن يفعله ولو كان رسولاً.

وهذا منهج معروف فى التقويم والتربية حتى أن الرسول عليه السلام قد لجأ إليه فى بعض المواقف حين توسط لديه بعض أصحابه فى العفو فى امرأة من شريفات القوم سرقت وهم عليه السلام بقطع يدها. قال للوسيط : والذى نفس محمد بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطع محمد يدها».

فبين للناس جلال الحق الذى يؤمن به واستواء الناس أمامه فى إقراره وتنفيذه حتى يقطع مطمع كل طامع فى مثله، وهو عليه السلام لا يتوقع أن فاطمة تسرق، فلا يقطع يدها؟ ولكنه الاصرار على جلال الحق وإنفاذه ولو وقع المحال.

أما الشق الثانى من المنهج المشار إليه، وهو أن يستقر لدى الرسول أمر، ثم يترتب عليه أمر آخر، وكلاهما منفيان فقد استشهد عليه الإمام الألوسى بقوله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف : ٨١].

وللمفسرين فى توجيه هذه الآية مذاهب، نقتصر ما يدخل فى منهجنا منها وهو أن المعنى : قل يا محمد لهؤلاء الذين يدعون أن لله ولدا ، لو ثبت أنه له ولد فأنا أول من يعبد ولده لأنى أعلم منكم بما يجب لله من تعظيم، ولكن لم يثبت أن لله ولدا، فأنا أعبد الله موحدا له عن الشريك، ومنزها له عن الولد والصاحبة[2] وللإمام الزمخشرى فى توجيه الآية كلام قيم نورده بنصه قال بعد أن ذكر الآية:

---

(١) هذا جواب القسم لخلوه من الفاء ساد مسد جواب الشرط لقول مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت.

(٢) فى هذه الصياغة تصرف غير مخل، انظر - إن شئت - تفسير القرطبى (جـ ١٦ ص١٢٠).

﴿ قُلْ إن كَانَ للرَّحْمَنِ وَلَدٌ ﴾ وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه، وحجة واضحة تدلون بها « فأنا أول » من يعظم ذلك الولد، وأسبقكم إلى طاعته، والانقياد له، كما يعظم الرجل ولد الملك العظيم أبيه.

ثم يقول:

« وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض هو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه، وأن لا يترك الناطق به شبهة إلا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه فى باب التوحيد. وذلك لأنه علق العبادة بكينونة الولد، وهى محال فى نفسها، فكان المعلق بها محالا مثلها. فهو فى صورة إثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على أبلغ الوجوده وأقواها ».

ثم يقول: ونحو ههذ الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له: أما والله لأبدلنك نارا تلظى. (قال سعيد) لو عرفت أن هذا لك ما عبدت إلها غيرك »[1]؟! يتهكم به.

وحاصل كلام الزمخشرى هو أن كينونة ثبوت الولد، وحصول العبادة المرتبة عليها جاءتا فى صورة الاثبات لفظا. مرادا به النفى معنى. وهذا ما يسمى بالتوصل إلى نفى الأمر عن طريق اثباته، وهو من أبلغ أساليب النفى وأقواها يفحم بها الخصم فلا يبقى لديه ما يقول.

ويقوى هذا المعنى ما نصل عليه فى شروح التلخيص[2] من أن الأصل فى أن الشرطية أن يكون شرطها وجزاؤها فعلين مستقبلين، فان كانا ماضيين أو كان الجزاء جملة أسمية خرج المعنى إلى التعريض بغير المخاطب. وطبقوا — أى شراح التلخيص ... هذه النظرية على قوله تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ لأن أن الأصل فيها الدخول على الممكن، ووقوع الشرك من النبى عليه السلام محال شرعا وواقعا فنزل منزلة المحال العقلى، فإذا علم عليه السلام عدمه الشرك من نفسه علم أن المراد بهذا الوعيد هو غيره ممن يجوز منه وقوع الشرك.

والآية التى استشهد بها البابا فعل الشرط فيها ماض « فإن كنت » وجزاؤه أمر، « فأسأل » والأصل فيهما أن يكونا مضارعين. ووقوع الشك منه عليه السلام محال، لأنه لو شك هل هو رسول أم غير رسول لبطلت الشريعة بالكلية — كما يقول الفخر

---

(١) انظر الكشاف (جـ٣ ص ٤٩٧).   (٢) (جـ٣ ص ٦١ وما بعدها).

الرازى[1] – وليس أهل الكتاب بأوثق عند الله حتى يزيلوا شكا لو وقع منه على هذا فإن المراد من الآية الكريمة هى التعريض بأهل الكتاب، وحثهم على أن يظهروا ما كتموا من العلم بصحة نبوته، وتسجيل عليهم فى حالة استمرارهم على الكتمان بقباحة صنيعهم وإصرارهم على الكفر، مع فضح أمرهم عند الناس واظهار كفرهم بما فى أيديهم من التوراة، والإنجيل، حيث أنهم يؤمنون ببعضهما وهو ما وافق هواهم، ويكفرون ببعضهما الآخر، وهو ما لم يوافق هواهم، ومنه الاقرار بوحدانية الله ورسالة محمد ﷺ.

ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٤٥ – ١٤٦].

والفريق الذى يكتم الحق منهم هو من ظل على كفره. فهل بعد ذلك يقال. أو يصدق إذا قبل أن أهل الكتاب جعلهم القرآن فى مركز الافتاء والمشورة الدينية، أو كان ما بقى معهم من التوراة والإنجيل بعد تحريفهما، مصدر للوحى وأصل للشرائع السماوية؟! ما أوهن هذا القول وما أبعده عن الصواب حتى عند قائليه؟!

أما الآية الثالثة التى استشهد بها البابا فهى قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء : ٧].

وسياق الآيات – هنا – يفيد أن الخطاب فى الأصل لمشركى مكة، حيث حكى عنهم القرآن الأمين قولهم: ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣].

اعتقدوا أن الرسالة لا تجامع البشرية، وانكروا رسالته ﷺ بناء على هذا الاعتقاد الخاطىء، فرد عليهم القرآن الحكيم قائلاً: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ ﴾ أى هم ليسوا ملائكة وإنما بشر مثلكم.

---

(١) الموضع السابق من تفسيره.

ثم قال : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ وفى تفسير أهل الذكر رأيان أقواهما أنهم أهل التوراة والإنجيل، وثانيهما أنهم أهل القرآن وروى هذا عن على رضى الله عنه .

وأيا كان المسئول فإن السائل هم كفار مكة، وكثيرا ما كانوا يسألون أهل الكتاب فى أمر الرسالة والرسول ﷺ ، فأحالهم الله عليهم ليسألوهم هل ما تجدونه فى توراتكم وإنجيلكم فى شأن رسل الله أهم من الملائكة أم من البشر؟!

فالسائل كافر – حتى وقت السؤال – والمسئول مثله ما لم يسلم . إذن ينتفى ما توهم البابا وشيعته، فليس السائل هو النبى ﷺ ، ولا هو أحد من المسلمين .

ولا يخامرنا أدنى شك فى أن اليهود والنصارى المعاصرين لعصر النزول كانوا يعلمون حقيقة التوراة والإنجيل على نفس الوجه الذى أوحاهما الله به فلو صدقوا فى إجابتهم السائل لدفعتهم الحجة بصدق القرآن وهذا ما لم يفعله الكثير منهم إلا من عصمه الله فآمن .

على أننا على استعداد أن نسلم للبابا بصحة استشهاده بهذه الآية ولا ننازعه فى شىء مما أراده، ولكن بشرط أن يلتزم هو وشيعته بكل النتائج التى تترتب على هذا .

فالسؤال الذى طلب القرآن أن يوجه إلى أهل الذكر هو : هل رسل الله من الملائكة أم من البشر، من عهد آدم إلى عيسى عليهم السلام . السائل يعتقد أنهم من الملائكة . وهذا خطأ مطلوب تصحيحه . والمصحح هم أهل الكتاب؟ فماذا يكون جوابهم إذن؟ أيقولون أنهم ملائكة، فيقعون فى نفس الخطأ المطلوب تصحيحه؟ وإذن فليسوا هم بأهل للإفتاء؟ أم يقولون أنهم بشر وهو المطلوب؟

وأيا كانت الإجابة فالبابا وشيعته قد خسروا الجولة . لأنهم يعتقدون بألوهية عيسى عليه السلام . والإجابة سواء كانت بالملائكية أو البشرية تنفى – فى وضوح – ألوهية عيسى السلام . فهو **إما ملك**، وهو احتمال بعيد لاستبعاد الإجابة به – كما تقدم – لأنها لا تصحح الخطأ المسئول من شأنه . **وإما بشر** وهذا هو المطلوب . ويوم يسلم البابا وشيعته بهذا – ليسلم له استشهاده بالآية – فقد ضاقت شقة الخلاف بيننا والأمل فى الوفاق يكون أكبر . أما إذا رفض، فنحن – وهذا من حقنا بل من واجبنا – نرفض صحة استشهاده ، فليس له فى الآية أى دليل؟!

وإلى هنا نكتفى فى مناقشة القضية الأولى، وملحقاتها - التى أثارها البابا ولننتقل الآن إلى القضية الثانية، وهى :

● **القضية الثانية : ادعاؤه سلامة التوراة والإنجيل من التحريف ؟!**

وهذه القضية لا تهمنا - كذلك - ألا من حيث أن البابا ، وشيعته قد اعتدوا اعتداء صارخا على نصوص القرآن الحكيم، واتخذوا منها دليلا على صحة مدعاهم فيها. اتخذوا من هذه النصوص « مقدمات مسلمة » فى نظرهم، ثم راحوا يستخرجون منها النتيجة حسب تصورهم ليجعلوها - مسلمة - كذلك فلا ينازعهم فيها أحد. وها نحن أولاء نستعرض تلك النصوص فنرد لها اعتبارها، ونستردها هى ممن « استلبوها » عنوة وبغير حق. متوصلين منها إلى بطلان ما ادعوه فى غير تجن أو مماحكة، كما صنعوا هم. وإليك أقوالهم فى توجيه نصوص القرآن :

يقول البابا :

« يرى القرآن أن الإنجيل كتاب مقدس سماوى منزل من الله » وهذا الشق لا نختلف معه فيه مع تحفظ يعلمه كل مسلم، والآن فانظر إلى ما قاله بعد هذا : « ... يجب قراءته على المسيحى والمسلم وكل من آمن بالله »؟! وهنا نقول للبابا : قف فالقرآن ليس فيه ذرة مما قلت اللهم إلا وجوب الإيمان به ولكن بحسب ما أنزله الله فى حينه، أما وجوب قراءته على من ذكرت فنرجوك أن تعلن أسفك على ادعائه وإلا فدلنا على الموضع الذى هو فى القرآن يحتم هذا الوجوب، والذى علمته أنت ولم يعلمه أحد سواك؟

ثم يذكر البابا قوله تعالى :

﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ٣ - ٤].

وقوله تعالى :

﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾

[المائدة : ٤٦ – ٤٨] . ويقف البابا عند هذا الحد من الآيات، ويأبى أن يذكر بقية الآية الأخيرة وهى : ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة، ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾ .

ثم يعلق البابا على هذه النصوص فيقول:

« وكون القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب فهذا يعنى صحة التوراة والإنجيل وسلامتهما من التحريف . وإلا فإنه يستحيل على المسلم أن يؤمن بأن القرآن نزل مصدقا لكتاب محرف »؟ ثم يقول:

« وكذلك لو كان التوراة والإنجيل لحقهما التحريف ما كان يأمر قائلاً « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه . . » بل ما كان يصدر – أيضًا – ذلك الأمر ﴿ **قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليكم من ربكم** ﴾ انتهى كلامه .

والذى حمل البابا على هذا الكلام أمور: **أحدها** أن القرآن وردت فيه هذه العبارة ﴿ **مصدقا لما بين يديه** ﴾ كثيرا، ووردت فى الآيات التى ذكرها البابا أربع مرات .

وثانيها: أن القرآن امتدح كلا من التوراة والإنجيل فى مواضع متعددة ومنها ما ذكره البابا .

وثالثها: الأمر بأن يحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه .

ورابعها: قوله تعالى: ﴿ **لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل** ﴾ .

فتمسك البابا بهذه « العموميات » وراح يستولد ما شاء منها من النتائج كما رأينا .

(وقفة مع هذه الآيات) . .

والآن، فلنقف مع هذه الآيات وقفة فاحصة لنتبين من خلالها أهى كما أراد منها البابا، أم أنها تدل دلالات أخرى عليه، وليست له، قال الإمام الرازى فى معنى « مصدقا لما بين يديه » أنه مصدق لكتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولما أخبروا به عن الله عز وجل . .

ويبين رضى الله عنه السر البيانى لهذا الوصف فيقول: « أنه تعالى دل بذلك على صحة القرآن، لأنه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب، لأنه كان –

يعنى النبى عليه السلام – اميا لم يختلط بأحد من العلماء .. ولا قرأ على أحد شيئًا ... لأن المباحث الإلهية لا تختلف فى ذلك فهو مصدق لها فى الأخبار الواردة فى التوراة والإنجيل»[١].

والمباحث الإلهية التى اتحدت فى الحديث عنها كل الكتب السماوية هل هى الآن فى التوراة والإنجيل كما هى فى القرآن؟ البابا يعلم أن البون شاسع جدا بين القرآن، وبين الكتاب المقدس. فهل هو ما يزال يصر على موقفه من سلامة التوراة والإنجيل من التحريف مع هذا التفاوت؟!

أن العبارة القرآنية ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ سواء كان من الكتاب أو التوراة أو الإنجيل، فإنما هى حكاية حال ماضية مراعى فيها عصر النزول والسلامة. لا باعتبار ما هما عليه الآن وبعد عصر النزول.

ويقول الإمام الألوسى فى توجيه «وانزل التوراة، والإنجيل من قبل، هدى للناس».

«أى انزلهما – كذلك – لأجل هداية الناس الذين أنزلا عليهم إلى الحق الذى من جملته الإيمان به ﷺ، واتباعه حين يبعث لما اشتملتا عليه من البشارة به والحث على طاعته عليه الصلاة والسلام، والهداية بهما بعد نسخ أحكامهما بالقرآن إنما هى من هذا الوجه لا غير. والقول بأن يهتدى بهما أيضًا فيما عدا الشرائع المخصوصة من الأمور التى يصدقها القرآن ليس بشىء؟ لأن الهداية إذ ذاك بالقرآن المصدق لا بهما كما لا يخفى على المنصف»[٢].

وفحوى هذا الكلام، أن دور التوراة والإنجيل فى الهداية انتهى بنزول القرآن لأنه نسخهما. والجميع مدعوون للإيمان به. وحتى الأمور التى لم ينسخها القرآن من الترغيب فى الصدق والأمانة مثلا إنما المرجع فيها إلى القرآن لا إلى التوراة ولا إلى الإنجيل. تلك هى سنة الله فى إرسال الرسل، وهداية الناس.

أما آيات المائدة الثلاث، فقد خرجها العلماء بما لا يدع للبابا وأمثاله أدنى شبهة يتمسكون بها.

فقوله تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾ لا ينازع فيه أحد . فما جاءفى الإنجيل كان مصدقا لما جاء فى التوراة آنذاك،

---

(١) التفسير الكبير (جـ ٧ ص ١٦٢) . (٢) روح المعانى للألوسى (جـ ٣ ص ٧٧) .

إلا البعض الذى نسخه الإنجيل وكان مقررا فى التوراة تخفيفا على بنى إسرائيل وهذا هو ما حكاه القرآن الأمين عن عيسى السلام حيث جاء فيه على لسانه: ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ [آل عمران: ٥٠] (١).

والذى أحله لهم هو: أكل الشحوم، وكل ذى ظفر(٢). وكان محرما عليهم فى التوراة أما التحريف فقد حدث بعد ذلك.

وأما قوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ ففيه قراءتان فى الفعل «ليحكم» فقرأ الأعمش وحمزة بنصب الفعل لأن «اللام» عندهما لام كى. وعلى هذه القراءة يكون المعنى «آتيناه الإنجيل .. هدى وموعظة ولكى يحكم أهله بما أنزل الله فيه».

والقراءة الثانية لجمهور القراء. وهى بجزم الفعل «وليحكم» لأن اللام عندهم لام الأمر. والمعنى عليه «ليحكم أهل الإنجيل فى ذلك الوقت أما الآن فهو منسوخ. ذكر هذين الرأيين القرطبى فى تفسيره»(٣).

ويجيب الفخر الرازى على سؤال مهم أورده هو حاصله: فإن قيل كيف جاز أن يؤمروا بالحكم بما فى الإنجيل بعد نزول القرآن.

ثم قال، رضى الله عنه:

قلنا الجواب عنه من وجوه:

الأول: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه من الدلائل الدالة على نبوة محمد ﷺ وهو قول الأصم.

والثانى: ليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه «زجر لهم عن تحريفهما فى الإنجيل مثل ما فعله اليهود من إخفاء أحكام التوراة. فالمعنى بقوله: «وليحكم وليقرأ أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه على الوجه الذى أنزله الله فيه من غير تحريف ولا تبديل»(٤).

ومما تمسك به البابا فى مقاله، واشياعه فى كتاب «الاستحالة» قوله تعالى فى آيات المائدة المتقدمة:

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ وخدعتهم عبارة للزمخشرى فى الكشاف جاء فيها:

---

(١) آل عمران (٥٠) وقيل المعنى: ما حرمه علماء بنى إسرائيل من عند أنفسهم.
(٢) تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٩٧). (٣) انظر (حلى ٦ ص ٢٠٩).
(٤) التفسير الكبير للرازى (جـ ١٢ ص ١٠).

« ومهيمنا عليه » ورقيبا على سائر الكتب، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات »[1]

.. وعبارة الزمخشرى لا تعنى شهادة القرآن لسلامة التوراة والإنجيل من التحريف – كما هما عليه الآن – وإنما تعنى أن القرآن حكى ما أنزل الله فيهما من أصول العقائد والدعوة إلى التوحيد والبشارة بخاتم النبيين. وكيف يجوز على إمام محقق كالزمخشرى أن يقع فى هذا الخطأ الجسيم، وهو الذى قال بعد هذه العبارة بقليل عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ [المائدة: ٥١] « أى إنما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم فى الكفر »[2] ..؟!

ومن معانى هيمنة القرآن العظيم على ما سبقه من الكتب المنزلة أنه احتوى على جواهر معانيها وزاد عليها بما ليس فيها، وصحح كثيراً مما ألحقوه بها من تبديل وتغيير. وقد رأيت فى روح المعانى للألوسى ما يؤيد هذا المعنى ويقويه وكان مما قال: « قرر أصول شرائعها، وما يتأبد من فروعها ويعين أحكامها المنسوخة »[3].

ويذكر البابا قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً** ﴾ [النساء: ١٣٦].

ويقول معلقا عليها:

« وتلاحظ فى هذا النص أنه قال: كتبه ولم يقل كتابه، فيجب الإيمان بجميع الكتب الإلهية التى أرسلها هدى ونورا للمتقين »؟!

وتعليقا على هذا التعليق نقول:

أننا مؤمنون بجميع الكتب الإلهية، وبالرسل الذين أنزلت عليهم. فنحن جاهزون ومخضرمون فى هذا الميدان. فعلى أهل الكتاب « يهودا ونصارى » أن يكونوا مثلنا مؤمنين بكل الكتب والرسل.

وإذا كان البابا يؤمن بهذه الحقيقة التى يدعو إليها « الإيمان بجميع الكتب الإلهية » فلماذا لا يؤمن بالقرآن ليكون قدوة لمن سواه من النصارى أليس القرآن كتابا إلهيا مثل التوراة والإنجيل والزبور؟ إذن فيجب أن يؤمن به ليطابق القول العمل؟

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٦١٨).
(٢) الكشاف (جـ ١ ص ٦١٩) ؟!
(٣) روح المعانى (جـ ٦ ص ١٥٢).

أم يقول : إنه غير إلهي؟ ليقل ما شاء فنحن لا نكره أحدا في الدين وإنما الذي نقوله، وبملء أفواهنا:

إذا كنتم تعتقدون أن القرآن كتابا إلهيًا فيجب أن تؤمنوا به وتذعنوا له.

وإذا كنتم لا ترون أنه كتاب إلهي فنرجوكم، ونلح في الرجاء أن لا تستشهدوا به ولا تجروه على ألسنتكم، ولا تخطوه بأقلامكم، ولا تسطروه في منشوراتكم. وهذا أضعف الإيمان.

فنحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف ومما استشهد به البابا - كذلك - قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة : ٦٨].

وليس في هذه الآية حجة للبابا وشيعته، بل هي حجة عليهم إذ تفيد أنهم أخفوا التوراة والإنجيل المنزلين على رسوليهما موسى وعيسى عليهما السلام، واظهروا ما ارتضوه محرفا منهما، بعد أن عطلوا وحي الله الحق إليهم، ولهذا أمر الله رسوله محمدا ﷺ أن يقول لهم : « لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل » والإقامة لا تكون إلا للشيء المعوج، والاعوجاج الذي أصاب التوراة والإنجيل هو تحريفهم لهما وتعطيلهم لأحكامهما. فحثهم الله على لسان رسوله لإقامتهما، ولو أقاموهما - تماما - لما وسعهم إلا الإيمان به ﷺ.

ولكي يرى القارىء بنفسه شناعة التعدي على هذا النص أن البابا في مقاله لم يذكر بقية الآية وهي:

﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

ولعلك تدرك من مجرد قراءتك لهذه البقية « التي لم يذكرها البابا » من الآية السبب الذي حمله على إهمالها. وهو سبب واضح جداً؟! وقبل أن نترك « معركة التحريف » نضع أمام البابا سؤالين اثنين وإذا صدقنا في الإجابة. فسوف نسلم له بسلامة الكتاب المقدس من التحريف.

السؤال الأول : لقد أعلمنا القرآن الأمين أن لمحمد ﷺ وصحبه مثلين **أحدهما** في التوراة وهو : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفاررحماء بينهم، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا، سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .

وثانيهما : في الإنجيل وهو « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وأنت ترى أن التوراة والإنجيل لم يصبهما تحريف . فأرنا – أذن – هذين المثلين؟ أين موضع الأول في التوراة؟ وأين موضع الثاني في الإنجيل؟!

السؤال الثاني : وأعلمنا القرآن أن عيسى عليه السلام قد بشر في الإنجيل برسول يأتي من بعده اسمه أحمد . حيث حكى عنه القرآن الأمين : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف : ٦] .

وأنت تقول أن الإنجيل لم يحرف، فهيا – إذن – أرنا موضع هذه البشارة في **الإنجيل لكي نسلم لك أن الإنجيل لم يحرف؟ فهل أنت فاعل يا ترى؟!**

خطآن بارزان

فهيا حدد لنفسك موقفا : أرنا ما رجوناه أولا ترنا . فإذا أريتنا سلمنا لك – مبدئيا – بأن التوراة والإنجيل لم يحرفا، ولكن سيكون بيننا جولات من الحوار في قضايا أخرى . وإن لم ترنا لعدم وجود « مطلبنا العزيز لديكم » فلا تنتظر من القرآن أن يشهد بسلامة مصادر هي نفسها تشهد – بغير حق – بعدم سلامته وإذا أصررت على أن القران ليس ملزما لك .

إذن فليس من حقك أن تستشهد به على صحة مدعاك . فاما أن تلتزم به كله، وأما أن تهمله كله . ونذكرك – في حالة رفض الالتزام الكلي بأن مقالك اشتمل على خطأين كبيرين، أحدهما خطأ **عقدي** حيث استشهدت بنصوص لا تؤمن أنت بها، **وثانيهما** خطأ **منهجي**، وهو أنك فرقت بين نصوص يجمعها وصف واحد من القوة والتوثيق، فقبلت بعضها ورفضت بعضها، قبلت ما تصورت أنه يفيدك في صدق مدعاك . ورفضت ما تأكدت أنه يبطل مدعاك ؟!

مع أن قواعد مناهج البحث العلمى السليم نحترم كل الوثائق المتحدة الدرجة والتى تعالج ظاهرة واحدة. تبحثها جميعها وتنتهى من بحثها ودراستها والمقابلة بينها إلى الحقائق التى « تعطيها » لا التى يتصيدها الهوى...؟!

ولو كانت النصوص التى أهملتها من القرآن، وهى تتحدث عن نفس الظواهر التى قد أثرتها فى مقالك – تختلف عن طبيعة النصوص التى اعتمدتها، لعذرناك، ولما وجدنا كلمة نقد واحدة نقولها لك؟!

أما وإن النصوص التى أهملتها لا تختلف من حيث مصدرها، ودرجتها مثقال ذرة عن النصوص التى اعتمدتها، فإن المنصف، بل وغير المنصف سيردان عليك كل « نتائجك » التى انتهيت إليها، لبطلان المنهج الذى ارتضيته أنت بل أننا لنطمع فى موافقتك لنا أنت شخصيا فيما نقوله الآن؟ لأن عور ذلك النبح لا يخفى على كل ذى نظر.

القضية الثانية : ادعاؤه أن القرآن لم ينسخ لا التوراة ولا الإنجيل..؟!

يقول البابا فى مقاله المذكور: « ولم يذكر فى القرآن إطلاقًا إنه نسخ التوراة أو الإنجيل. بل على العكس ذكر أن المؤمنين ليسوا على شىء حتى يقيموا التوراة والإنجيل. (وتعميم الحكم هنا يفيد أن البابا قد فحص القرآن كله طبعا).

ثم يذكر قوله تعالى :

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ وإلى هنا يقف البابا ولم يذكر بقية الآية، وهى :

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة : ١٣٦].

ثم يذكر بعدها قوله تعالى : **﴿ ... لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾**.

ونلاحظ أنه حذف صدر الآية وهو **﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ ... ﴾** كما حذف عجزها وهو **﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾** [المائدة : ٦٨].

ولن نقف طويلا وراء هذا الحذف المتعمد، فسببه معروف. ففى حذف عجز آية البقرة ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ لم يجد البابا فيه ما يفيده، بل هو حجة عليه فعدم التفرقة بين الرسل أمر لم تسلم منه يهودية ولا نصرانية ، بله الإسلام لله.

أما حذف صدر آية المائدة ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ ... ﴾ فسبب حذفه عند البابا الايهام بأن الخطاب للجميع يهودا ونصارى ومسلمين، مع أن الآية خطاب موجه إلى أهل الكتاب وحدهم.

أما حذف عجز آية المائدة ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾.

فسبب حذفها واضح. ولو ذكرها البابا لهدمت عليه كل ما بناه فى مقاله. فهى كلمة حق، والحق له مرارة لاذعة فى بعض الأحيان؟!(١)

المهم فإن البابا بعد ذكره تلك النصوص، بعد بتر ما يجب ذكره منها - قال بالحرف الواحد :

« إن كل ما سبق ينفى بأسلوب قاطع الفكرة الخاطئة التى ظنها البعض وهى أن القرآن نسخ التوراة والإنجيل (!) من المحال أن يكون ناسخا لهما وفى نفس الوقت يدعو إلى الإيمان بهما، ويحذر من إهمال ذلك ».

أقوال العلماء فى آية البقرة :

يتحدث العلماء المسلمون عن آية البقرة التى استشهد بها البابا آنفا بما يزيل عنها كل لبس - فالإمام القرطبى يذكر قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ ثم يردف فيقول : « خرج البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه » قال : « كان أهل الكتاب - يعنى اليهود - يقرأون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها لأهل الإسلام بالعربية، فقال رسول الله ﷺ .. لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، ﴿ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ إلى آخر الآية.

ثم يقول : وروى ابن عباس: جاء نفر من اليهود إلى النبى ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الأنبياء . فنزت الآية. فلما جاء ذكر عيسى قالوا لا نؤمن به ولا بمن آمن به »؟!

---

(١) قد سبق الحديث عن هذه الآية آنفا .

ونقل عن الفراء قوله فى شرح قوله تعالى : ﴿ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِه ﴾ أى لا نؤمن ببعضهم ونكفر ببعضهم كما فعلت اليهود والنصارى »[1].

وقد أورد الفخر الرازى سؤالا مهمًّا قال فيه : فإن قيل : كيف يجوز الإيمان بإبراهيم وموسى وعيسى مع القول بأن شرائعهم منسوخة »؟! وهذا السؤال قد أومأ إليه البابا فيما نقلناه عنه آنفا، واتخذ منه حجة على عدم النسخ.

أما إجابة الرازى، وهو ممن استشهد بآرائهم البابا فى مقاله، وشيعته فى كتاب الاستحالة ، فقد قال رضى الله عنه :

« نحن نؤمن بأن كل واحدة من تلك الشرائع كان حقا فى زمانه فلا يلزم منا المناقضة »[2].

ونحن نضيف إلى ما ذكره هؤلاء الأئمة الأعلام ما نراه جديدا فى المسألة لم يذكره أحد فيما قرأت فنقول وبالله التوفيق:

أن هذه الآية : ﴿ قُولُوا آمَنَّا ﴾ لها ارتباط وثيق بالآية التى تقدمتها وهى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [البقرة : ١٣٥].

وهذه الآية بينت إلى أى مدى كان الاختلاف بين اليهود والنصارى وتعصب كل فريق منهم لدينه . فاليهود قالوا: كونوا هودا تهتدوا. أى حصروا الهداية فى ملتهم ورموا النصارى بالكفر والضلال .

والنصارى قالوا : بل كونوا نصارى تهتدوا. فحصروا الهداية فى ملتهم ورموا اليهود بالكفر والضلال .

ومصداق هذا قوله تعالى حاكيا عنهما : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة : ١١١].

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ [البقرة : ١١٣].

---

(١) تفسير القرطبى (جـ ٢ ص ١٤٠) وما بعدها، وراجع معه روح المعانى للألوسى (جـ١ ص ٣٩٥) والكشاف للزمخشرى (جـ ١ ص ٣١٥) .

(٢) التفسير الكبير للرازى (جـ ٤ ص ٨٢) .

كل فريق منهم يتعصب لدينه ويكفر بما عداه. وقد حمل القرآن الحكيم حملة قوية على هذا التعصب الممقوت، وحذر المسلمين أن يكونوا مثلهم. ووجههم الوجه الحق قائلا لهم: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾ والمتأمل فى هذه الآية يجد أن الإيمان الحق المقبول عند الله، إنما هو الإيمان التفصيلى بما فصله الله فى كتابه، وعدد منه فى آية البقرة هذه إبراهيم، وإسماعيل، واسحق، ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام. ثم الإيمان الإجمالي بما أخبر الله عنه وقد أشار إليه سبحانه فى آية البقرة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ سواء فى ذلك من قص علينا قصصهم واسماءهم كادريس، ويحيى واليسع، وما طوى ذكرهم فى علمه. ثم كانت فاصلة الآية ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ وهذه هى عقيدة المسلم التى يلقى الله عليها، ولن يكون إيمان إلا بهذا الإيمان الشامل الذى لا تفرقة فيه، بين رسول ورسول، وكتاب وكتاب؟

وقد تلا هذه الآية مباشرة قوله تعالى:

﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ – اى اليهود والنصارى – فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٣٧] فلماذا ترك البابا هذه الآية ..؟ لسنا فى حاجة إلى إجابة أبدا . فإنها معروفة ؟!

دليلان قاطعان :

وبقى لنا دليلان قاطعان على أن القرآن الحكيم قد نسخ كلا من التوراة والإنجيل، ودعا جميع الناس إلى الدخول فى الإسلام مع إيمانهم التاريخى بما سبق عليه من شرائع وديانات مهدت له وأسلمت القياد إليه.

أما أحد الدليلين فقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] .

وأما ثانى الدليلين فقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

فهل يروق لمنصف بعد هذا أن يدعى أن القرآن لم ينسخ ما قبله من شرائع وأديان ما عدا العقائد والأخلاق الفطرية كالصدق الوفاء.

وإذا ادعى البابا هذا، فهل يليق بمنصف مجاراته فى هذا الادعاء. إلا عناداً ومكابرة . . ؟! وليس معنى النسخ أن تلك الشرائع كانت باطلة فى زمانها . . استغفر الله . . فهذا لم يقل به القرآن، ولا اعتقده مسلم، بل أن النسخ – يعنى – وقف العمل بها فيما عدا « العقائد » أو كل « كليات الشرائع » التى قررتها جميعا. وفيما عدا ما أقره الإسلام من « الفضائل الخلقية » كالصدق والعفة، والانفاق فى سبيل الله. أما المعاملات والعقود، وضروب العبادات. فإن هذه كلها قد جاء الإسلام بما يصلح حياة البشرية كلها فى كل زمان ومكان. فليس الإسلام دعوة إلى « ملكوت الدنيا » فحسب كما هو فى التوراة، وليس الإسلام دعوة إلى « ملكوت الآخرة » فقط، كما هو فى الإنجيل وإنما الإسلام « دنيا ودين » معا. تراتيل محراب، ونظام اجتماعى، ودستور حرب وسلم، ومنهج إنتاج، وقواعد عقود ومبادلات. وتربية وازع وأخلاق . . إلخ. ولو أن البابا وقف عند هذه الآيات.

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ * فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

[الشورى : ١٣ – ١٥] .

أقول – لو أن البابا وقف عند هذه الآيات، وتأملها تأملاً مجرداً من كل هوى، وسأل نفسه لماذا كان التعبير بجانب القرآن هو « أوحينا إليك » وبجانب ما أنزله الله على إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام هو « وصينا » واستفتى اللغة عن الفرق بين الفعلين « أوحى ووصى » ثم عاش مع بقية الآيات وما تقرره من حقائق. ثم تأمل هذه العبارة **﴿ آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾** واستفتى اللغة مرة أخرى ما الذى تفيده « من » الجارة إذا دخلت على نكرة هى فى الأصل ليست مجرورة (مرفوعة الموضع أو منصوبته) كما فى هذه « العبارة . . . ولو . . . ولو . . ولو . . .

لو فعل هذا لعلم، بل لأقر بأن الإسلام لا يعادى دينا ولا يجافى حقا. وإنما يسمو بالحق، ويحترم كل رسالات السماء، ولكن فى حدود ما أقره خالق الكون وباعث الرسل، ومنزل الوحى. وهو فى ذلك كله «متبع» لا مبتدع، ولا أسير هوى؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٦٧] وقد بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه، ولقى ما لقى من جراء ذلك التبليغ ثم كانت الخاتمة التى تشهد له بأنه بلغ الرسالة الخاتمة، وأدى الأمانة الخالدة :

﴿ .. الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] .

اللهم قد بلغ .. اللهم فاشهد .. !

القضية الرابعة : ادعاؤه أن عيسى عليه السلام له منزلة فى القرآن غير بشرية؟! وبادئ ذى بدأ أشهد أن البابا قد أومأ إلى مقصوده «الدفين» ولم يفصح علانية. وإنما جعل عباراته «الذكية» تؤدى إلى المقصود لدى القارىء حتى لا يصدمه «طفرة» بغير ما يعتقد. لأن المجلة الناشرة «الهلال» يقرأها كل الناس مسلمون وغير مسلمين.

وقد قسم البابا حديثه عن عيسى عليه السلام «عبد الله ورسوله» خمسة أقسام:

(أ) أنه دعى كلمة الله وروح منه .

(ب) ولادته المعجزية (!) .

(جـ) معجزاته العجيبة .

(د) موته ورفعه إلى السماء .

(هـ) صفاته الأخرى.

ونحن لا نختلف معه رأيا أو عقيدة – فى هذه الأمور التى عددها وإنما الاختلاف يبلغ بيننا أقصى مداه حول ما استهدفه هو منها، وما أشعرت به «تعبيراته الذكية» والذى أفصح عنه كتاب «الاستحالة» كما سنرى فيما بعد أن شاء الله.

أما الآن فسوف نقتحم «مخابئه الكلامية» التى بثها فى مقاله مغلفا لها بآيات من القرآن الحكيم، وهى مما أراده منها براء ؟!

● **أولاً : كون عيسى عليه السلام كلمة من الله وروح منه :**

أورد البابا قول الله تعالى: ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٥]. وقوله تعالى :

﴿ **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ﴾ [النساء : ١٧١] واتبع هاتين الآيتين تعليقا نجتزىء منه قوله :

« وأيا كانت النتيجة فإن هذين اللقبين (يعنى : كلمة الله – روح منه) يدلان على مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره » ونحن نتحفظ على هذه العبارة الآن وسوف نعود إليها بعد قليل.

● **ثانيًا : ولادته المعجزية :**

يقول البابا : لم يقتصر الأمر على كنه المسيح أو طبيعته (!) من حيث هو كلمة الله وروح منه ألقاها إلى مريم (وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر)[١] وإنما الطريقة التى ولد بها والتى شرحها القرآن فى سورة مريم كانت طريقة عجيبة معجزية لم يولد بها أحد غيره من امرأة . زادها غرابة أنه يكلم الناس فى المهد [آل عمران : ٤٦] الأمر الذى لم يحدث لأحد من قبل ولا من بعد (!) .

أترك هذا التأمل للقارئ لتسبح فيه روحه [٢] ؟!

● **ثالثًا : معجزات المسيح العجيبة :**

قال البابا : « وأخص منها ما ورد فى القرآن – غير ابراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى – معجزتين (فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بمثلهما أحد من الأنبياء)[٣] وهما القدرة على الخلق، وعلى معرفة الغيب . وفى ذلك يقول القرآن على لسان المسيح ﴿ **أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

---

(١) ارجو من القارىء أن يتحفظ على هذه العبارة المحصورة بين علامتين (...) حتى نعود إليها.

(٢) ... رجاء التحفظ على هذه العبارة المخطوطة أيضًا.

(٣) وتحفظ – كذلك على هذه العبارة المحصورة !

ثم يقول: هنا يقف العقل لكى تتأمل الروح (لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته[1]؟!

● **رابعاً: موته ورفعه إلى السماء:**

يقول البابا شنودة: وقد أورد فى ذلك:

﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ..** ﴾ [آل عمران: ٥٥] ثم يقول: «والمسيحية تؤمن بموت عيسى وصعوده إلى السماء ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقى الأمر عجيبا».

خامساً: صفات المسيح الأخرى:

يقول البابا: «من الصفات التى ذكرها القرآن عن المسيح أنه «وجيها فى الدنيا والآخرة» وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علواً عجيباً».

وإلى هنا ينتهى حديث البابا عن عيسى عليه السلام (عبدالله ورسوله) وقبل أن نرد اعتبار النصوص القرآنية التى أقحمها لتكون دليلا على صدق مدعاه «الدفين» نسأل القارىء ما الذى استهدفه البابا شنودة من تعبيراته تلك «المخبأة» والتى رجونا أن يتحفظ عليها القارئ وهى:

«مركز رفيع للمسيح فى القرآن لم يتمتع به غيره».

«وهذا ما لم يوصف به أحد من البشر».

«أترك هذا لتأمل القارىء لتسبح فيه روحه» ...؟!

«فوق طاقة البشر جميعا لم يقم بها أحد من الأنبياء» ...؟!

«لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التى لم يعملها أحد والتى هى من عمل الله ذاته» ...؟! نحن بدورنا ندعو القارىء أن يتأمل هذه «العبارات المخبأة» ليصل إلى كشف ما تخبئه وتخفيه ...؟!

أن ما استهدفه البابا من كل هذا واضح وان لم يفصح هو عنه. أنه يريد أن يقول أن عيسى عليه السلام «عبدالله ورسوله» آله - رب - خالق.

هذا هو المعنى الذى سيطر على شعور الرجل وهو يكتب ما يكتب لمجلة يقرأها كل الناس!

---

(١) وتحفظ أيضاً على هذه العبارة المحصورة؟

واستند في هذا إلى أن القرآن اطلق على عيسى « كلمة الله – روح منه – وأن معجزاته هي « عمل آله » وكونه مولودا لغير أب ! كما ادعى أن عيسى عليه السلام له في القرآن مركز رفيع لم يتمتع به غيره من البشر سواء كانوا أنبياء أم من عامة الناس.

ونحن لا نحجر على أحد في عقيدته فالديان موجود وكل نفس لديه بما كسبت رهينة، ولكن الذي نرفضه كل الرفض أن يستخرج ذلك « الأحد » الباطل من الحق. فالحق دائما يؤدي إلى الحق، ولا يؤدي إلى باطل. ولو أنه جرد دعاواه تلك من الاستشهاد بآيات القرآن الحكيم لما حرك لنا ساكنا ولما سكن لنا متحركا، ولعزفنا عن كتابة سطر واحد نرد به عليه فيما يدعيه. نكرر هذا عشرات المرات. فتعال معي الآن إلى مفسّري القرآن الكريم نستفتهم.

● **معنى « كلمته »** :

يقول الإمام الألوسي في تفسيره : ومعنى كونه « كلمة » أنه حصل بكلمة « كن » من غير مادة معتادة . وإلى هذا ذهب الحسن وقتادة. وقال الغزالي قدس الله سره : لكل مولود سبب قريب وبعيد. فالأول المني (ماء الرجل) والثاني قول « كن » ولما دل الدليل على عدم القريب (يعني المني) في حق عيسى عليه السلام إضافة إلى البعيد، وهو قول كن إشارة إلى انتفاء القريب، وأوضحه بقوله : « **ألقاها إلى مريم** ».

وقيل معناه : بشارة الله تعالى التي بشر بها مريم على لسان الملائكة كما قال سبحانه :﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ [١].

وذهب الإمام الرازي مذهب الألوسي في تفسيره [٢].

● **ومعنى كلمة « وروح منه »**:

يقول الألوسي « وروح منه » .. سمي عليه السلام روحا. لأنه حدث عن نفخة جبريل عليه السلام في درع مريم بأمر منه سبحانه، وجاء تسمية النفخ في كلامهم – أي العرب – روحا، ومنه قول ذي الرمة في نار « وأحيها بروحك » (أي اشعل النار بنفخك).

أما الجار والمجرور « منه » فيقول في توجيهه : « ومن متعلقه بمحذوف وقع صفة لروح، وهي لابتداء الغاية – مجازا – لا تبعيضية كما زعمت النصارى »[٣].

---

(١) روح المعاني (جـ ٦ ص ٣٤).
(٢) التفسير الكبير (جـ ٨ ص ٤٧) .
(٣) روح المعاني نفس الموضع السابق .

وزعم النصارى الذى أشار إليه الألوسى هنا : هو أن الروح – عيسى – جزء من الله، بدليل قوله « منه » كما تقول : هذا الماء شربت منه . أى شربت بعضه .

ولدفع هذا الوهم قال صاحب روح المعانى : أن « من » هنا لابتداء الغاية مجازا، لأن الله منزه عن المكان والزمان، والمعنى على ما ذهب إليه الألوسى : روح ابتداؤه من عند الله .

والذى يظهر لى أن « من » ليست لابتداء الغاية – كما ذهب الألوسى – حتى نضطر للقول بمجازيتها . بل من الممكن جعلها بيانية، وهى على هذا لا تحتاج إلى تقدير المجاز فيها .

ومعنى كونها بيانية أنها روح من الله لا من غيره . وهذا التقدير يسد أبوابا واسعة من ظنون السوء بمريم حيث جاءت به من غير أب، وللشيطان فى مثل هذه « الوقائع » صولات وجولات .

ويقوى كون « من » بيانية قول أم مريم حين وضعتها كما حكى عنها القرآن الأمين :

﴿ **وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ [آل عمران : ٣٦] فحفظ الله مريم من الشيطان، وحفظ ذريتها منه . فكان عيسى عليه السلام كلمة من الله لا من غيره، وروحا من الله لا من غيره، وبهذا تنقشع عن مريم وابنها كل سحب الشك التى أثارها اليهود .

وينقل الألوسى – هنا – قصة طريفة فيقول : أن طبيبا نصرانيا فى عهد الرشيد جادل على بن الحسين الواقدى، فقال : أن فى كتابكم – يعنى القرآن – ما يدل على أن عيسى عليه السلام جزء من الله ! ثم تلا هذه الآية « وروح منه » ؟!

فقرأ الواقدى قوله تعالى : ﴿ **وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه** ﴾ ثم قال للطبيب النصرانى : لو سلمنا لكم بهذا القول لكانت كل هذه الأشياء التى سخرها الله لنا فى السموات والأرض أجزاء منه؟! (أى لأنه قال : « جميعا منه ») فافحم الطبيب ولم يسعه إلا الدخول فى الإسلام لقوة احتجاج الواقدى عليه .

وقد فرح الرشيد من ذكاء الواقدى ومنحه جائزة فاخرة .

ومما قاله المفسرون فى بيان معنى الروح فى الآية : أنها جبريل عليه السلام وبعضهم يقول : أنها الرحمة . وبعضهم يفسرها بالهداية . وأيا كانت هذه الأقوال مختلفة فإنها جميعًا بعيدة كل البعد عن المعنى الذى يريده منها البابا وأضرابه .

إذن فليس فى هذين اللقبين « كلمة من الله – روح منه » دليل أو حتى شبه دليل على « تأليه » عيسى – عبدالله ورسوله – عليه السلام.

ولو كان كل من ذكر الله فى سياق الحديث عنه هذه اللفظة « كلمة » لكان يحيى عليه السلام الاها – كذلك – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فقد قال الله فى شأنه وبشارة أبيه زكريا به :

﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [آل عمران : ٣٩] .

وإذا قالوا أن وضع « كلمة » بجانب يحيى عليه السلام مختلف فى التركيب عن وضعها فى جانب عيسى عليه السلام حيث جاءت مع يحيى متعلقة بالحال، وهى مع عيسى « خبر » والخبر آصل من الحال. إن قالوا ذلك قلنا لهم: هو لكم أذن فاعتبروا يحيى « نصف اله » ؟! ولا تهدروا قيمة الكلمة معه وهما ابنا خالة كما تعلمون. أتستكثرون على ابن خالة الاله أن يكون نصف اله؟!

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ فيا من غفرت لآدم وحواء اللذين دعواك بهذا الدعاء أغفر لنا وتب علينا فنحن أحوج إلى عفوك منهما يا رب العالمين.

ولو كان كل من ذكر الله فى شأنه كلمة « الروح » لكان جبريل الاها، إذ كثيراً ما صرح فى جانبه بهذه الكلمة ومن ذلك: « نزل به الروح الأمين » وقوله تعالى : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ ولا خلاف بين المفسرين فى أن المراد بالروح هنا هو جبريل عليه السلام سفير السماء.

بل ولكان القرآن – كذلك – الاها ، لأن الله قال فى شأنه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢].

بل وأعجب من ذلك لكان آدم الاها، لأن الله قال فى شأنه يخاطب الملائكة :

﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾.

بل ولكان كل أبناء آدم الهة .. وكيف لا؟ إذا كان أبوهم كذلك؟! قولوا ما شئتم، ودعوا القرآن جانبا، ولا تذكروا منه شيئًا دليلاً على الباطل. وها أنتم قد فتحتم الباب

مستشهدين به. فافسحوا صدوركم لتسمعوا – بيانه الحق – حول ما أثرتم من قضايا ما كان أغنانا عن هذا لو أمسكتم عن الخوض فيها.

● **ثانيًا – ولادته المعجزية :**

أما ولادته المعجزية – على حد تعبير البابا – **فإن هناك ما هو أدخل منها فى باب** الإعجاز. ذلك أن الله – جلت حكمته – قد ربط ولادة أى مولود باجتماع سببين ماديين، وهما عنصر الذكورة وعنصر الأنوثة حتى تتم عملية اللقاح إذا قدر الله معها انجابا .. وولادة عيسى عليه السلام وجد فيها أحد العنصرين «الأنوثة» وتخلف العنصر الثانى «الذكورة» فولد من أم بدون أب فكانت ولادته لهذا غريبة لم تجر بها العادة فى مألوف الناس بيد أن هناك ايجادين كانا على خلاف العادة. **أحدهما** أغرب من ولادة عيسى عليه السلام، **وثانيهما** أشد غرابة من الاثنين معا.

أما الأول: فهو ايجاد الله حواء من آدم عليهما السلام. فحواء أوجدها الله من ذكر «آدم» ولم يجعل لها أما. فقد وجد أحد العنصرين، وهو الذكورة، وتخلف العنصر الثانى وهو الأنوثة، وإنما كانت واقعة إيجاد حواء أغرب من واقعة ايجاد عيسى مع أنهما تبدوان متساويتين فى الظاهر القريب إلى الذهن، لتخلف أحد العنصرين فيهما.

لأن عنصر الذكورة فى حالة إيجاد حواء غير مألوف. لأن حواء وجدت من ذكر، وهو لا يلد، وإنما يولد له إذا قام هو باللقاح .. ولهذا كان خلق حواء من آدم ادخل فى باب الاعجاز – عند العقل – من خلق عيسى عليه السلام، واقرأ معى قوله تعالى فى مطلع سورة النساء :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ .

وأما الثانى : فهو خلق آدم أبى البشر عليه السلام. إذ هو مخلوق لله من غير أب يقوم باللقاح، ومن غير أم تحمل وتلد.

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ وهذان الايجادان يؤمن بهما أبناء كل ملة.

أفليست المعجزة فى خلق آدم عليه السلام أدخل فى باب الإعجاز – عند العقل – من إيجاد حواء، ومن بعدها عيسى عليه السلام ..

فلو كانت الولادة من غير أب مدعاة لوصف المولود بالألوهية لكانت حواء أولى بذلك الوصف من عيسى عليه السلام، ولكان آدم عليه السلام أولى من حواء ومن عيسى بتلك الصفة ؟!

« أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون »(١)
صحيح أن خلق عيسى « غريب » وأصح أن خلق آدم « أغرب » ومثل عيسى عند الله هو مثل آدم كلاهما خارق « فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه » .

فاللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه .

● **ثالثا - معجزاته العجيبة :**

ينظر البابا إلى المعجزات التى أيد الله بها عيسى عليه السلام، على أنها خوارق صادرة عن عيسى نفسه، وليس له مصادر سواه . وكلماته فى هذا المجال أقرب ما تكون إلى الإفصاح عن المعنى الدفين، وأن حاول هو « تغليفها » بغشاء رقيق . .؟! ويبرز البابا مسألة إحياء الموتى والتنبؤ بالغيب، وخلق الطير بإذن الله ويذكر نصا قرآنيا كدليل على صدق مدعاه، وما هو بدليل له على ذلك الصدق وإنما هو دليل على تكذيب ذلك المدعى .

● **والنص القرآنى هو :**

﴿ . . . أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

وعلى طريقة البابا فى بتر النصوص، فقد أهمل صدر الآية الذى جاء فيه :
﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ . . ﴾ .

ولا اخالك فى حاجة إلى معرفة سبب الإهمال - هنا - وإنما للتذكير أقول أن ذلك الصدر « المهمل » فيه نص صريح على أن عيسى عليه السلام « رسول » وأن الآية التى جاء بها ليست من صنعه هو، بل « من ربكم » وليست من « عندياته هو » وإنما هو مجرد وسيط وبعد أن ساق البابا ما ارتضاه من نص الآية علق عليها قائلاً :

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٤٣٣) .

« هنا يقف العقل لتتأمل الروح ..؟ لماذا يختص المسيح بهذه المعجزات التي لم يعملها أحد، والتى هى من عمل الله ذاته؟ الخلق ومعرفة الغيب » انتهى كلامه.

ونحن لا نريد أن نطيل فى الرد. فإن الآية نفسها ترد كل زعم أو مغالاة حول معجزات عيسى عليه السلام. فعيسى نفسه يصرح - كما جاء فى الآية - أنه فعل ما فعل بإذن الله. وأن الآية التى جاء بها هى من « ربكم » فلم يغال عيسى عليه السلام فى تزييف الوقائع، بل أدى الأمانة مثلما بعث بها لم يزد ولم ينقص. وكيف يغالى وهو رسول أمين ؟!

والذى يجب أن يكون عقيدة المؤمن، إن المعجزات جميعها - خوارق تسمو فوق كل اعتبار عقليا كان أو طبيعيا، أو عاديا. يجريها الله على أيدى أنبيائه ورسله، متحديا بها الخصوم. ودلالة المعجزة هو صوت خفى ينشأ فى شعور المشاهد لوقوع المعجزة « صدقوا عبدى فى ما يبلغ عنى ».

لأن جريان المعجزة على يد بشر يقول: أنا رسول من عند الله. والمشاهد للمعجزة بشر مثله. وهذا المشاهد يحس بالنقص أمام من جرت المعجزة على يديه.

فكلاهما بشر. ولكن لماذا فعل هذا؟ وعجز هذا عن أن يفعل مثله؟! وما داما هما: من جرت على يديه المعجزة، ومن شاهدها. مستويين فى الصفات البشرية، فلابد أن تكون هناك ميزة فى جانب الذى جرت على يديه الخارقة، ليست هى فى قدرة يشاهدها. وهنا لا تجد النفس المشاهدة للخارقة مرجعا إلى تلك الميزة إلا أن يكون الذى جرت على يديه الخارقة رسولا كما يدعى هو؟ وهذا هو المطلوب من كل معجزة أجراها الله على يد رسول.

أن فاعل المعجزات هو الله يؤيد بها صدق رسله فيما يدعون حتى تصبح الدعوى دعوة، والتبليغ عقيدة راسخة فى النفوس.

وما دام الله هو فاعل المعجزة، وليس الرسول، أى رسول، فلا تفاضل بين معجزة ومعجزة، لأنهن جميعًا من خوارق العادات ومدارك العقول.. وإنما تتفاضل المعجزات من حيث بقاؤها لكل جيل، ومن حيث ظهورها وخفاؤها حتى تصبح خبرا من الأخبار.

وبناء على هذا فإن المعجزات التى يجريها الله على أيدى رسله تتنوع بحسب الأوضاع البارزة فى حياة الأمم والشعوب الذين أرسل الله لهم رسله فمعجزة خاتم الرسل ﷺ كانت هى « البيان » لأن الأمة التى بعث إليها كانت تملك من البيان الرفيع أعلى

نواصيه. للبيان فى حياتهم حياة، وللشعر فى دولتهم دولة. فجاء محمد عليه السلام بما بذهم به من البيان المعجز « القرآن العظيم » فسقطوا فى أيديهم.

ولما كان السحر متفشيا فى عصر فرعون موسي عليه السلام، حتى اتخذ فرعونه منهم صفوة ممتازة آتى الله موسى ما هو فوق السحر اعجابا واعجازا أنها « عصاه » التى صنع الله بها على يديه الأعاجيب التى لم يروها ولم يسمعوا بها من قبل.

ولندع الآن معجزات خاتم النبيين ونعود إليها عند حلول مناسبتها من هذه المواجهة. ولننظر فى معجزات الرسل: إبراهيم، وموسى، وداود وسليمان - كما حكاها القرآن الأمين - ونقارنها بمعجزات عيسى عليهم جميعا السلام، لنرى هل معجزاته أعجب أو أبقى أثرا من معجزاتهم فنسلم للبابا فى ما يدعيه، أم أنها كلها سواء فلا تكون لعيسى عليه السلام ميزة ترفعه فوق « مقامات البشر » فضلا عن اخوانه الرسل الأخيار فيندفع ما يدعيه البابا من نتائج لم تسلم مقدماتها.

ونحن فى هذا وذاك لا نريد إلا الحق، والحق وحده، والله على ما نقول شهيد.

● **معجزات إبراهيم عليه السلام :**

حطم إبراهيم عليه السلام أصنام قومه قائلا لهم:

﴿ **أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٦٧].

وكان قوله نهاية لحوار أداروه معه وكان حزنهم على آلهتهم عظيما، فسخر منهم ومن أصنامهم فأجمعوا على أمر يشفى غيظهم : ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ** ﴾ [الأنبياء : ٦٨].

فأضرموا النار وأججوها وانتشرت حرارتها حولها لدرجة أن من يقترب منها يحترق قبل أن تمسه النار، وألقوا فيها إبراهيم عليه السلام من بعيد وغاص إبراهيم فى قرار جحيمهم، واشتعلت النيران عليه ما شاء الله لها أن تشتعل، والقوم فرحون ظانين أنهم قد اقتصوا لآلهتهم ولم يشك أحد منهم فى هلاكه وأنه صار فحما ورمادا. وما أن خمدت النيران حتى بإبراهيم عليه السلام هو هو لم تمسه النار بسوء ..؟! وكيف ذلك والنار محرقة ؟! أكان مع إبراهيم جهاز أطفاء ؟ كلا. إن النار لم تتوقف حتى التهمت كل ما قدموه لها من وقود.

ولكن لأن الله أصدر أمره للنار ساعة قذفوا فيها صفيه وخليله ﴿ **قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٦٩ - ٧٠]

هذا ما يقوله القرآن عن إحدى معجزات إبراهيم عليه السلام. معجزة خارقة لكل مألوف، وهي لم تجر لنبي أو رسول غيره. بل خصه الله بها، لأن ليس كل رسول هم قومه باحراقه حتى تكون معجزة إبطال مفعول النار واقعة مسجلة في سجل كل رسول.

وهذا هو إبراهيم عليه السلام الذى نجا من النار يتوجه إلى ربه بسؤال عزيز لديه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠].

فاستجاب له ربه، ثم بين له طريقة يرى بها كيف يحيى الله الموتى فقال:

« .. فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً. ثم ادعهن يأتينك سعيا، واعلم أن الله عزيز حكيم».

أربعة من الطير : طاووس، وديك، وغراب، وحمامة[١].

يأخذ إبراهيم هذه الجماعة من الطير تمثل أربعة أنواع من الطيور، ثم يذبحهن ويقطعهن أجزاء، ثم يضع من كل واحد منها جزءاً على جبل هكذا متفرقات غير متجمعات، لم يضع جزءين لطائر واحد في مكان واحد، وقد حفظ إبراهيم صورها وأشكالها في مخيلته قبل أن يذبحها وها هي ذى الآن أشلاء منثورة على قمم الجبال، ويقف إبراهيم عليه السلام ينادى الطيور التى ماتت وكأنه اسرافيل ينفخ فى الصور النفخة الثانية، فإذا بالطيور الأربعة تسرع إليه طيرانا وسعيا على الأقدام تماما كما كن قبل أن يذبحن بأشكالها وصورها، وهيئاتها وأحجامها ودقائق صفاتها فيطمئن قلب إبراهيم ويرى عيانا ما أدركه استدلالا ونظراً هاتان معجزتان مما اجراه الله على يد خليله إبراهيم عليه السلام ونقف الآن فنسأل :

أليس فى مسألة ابطال مفعول النار خارقة عظيمة منَّ الله بها على إبراهيم وأقام الحجة على صدقه؟!

ثم أليس فى مسألة إحياء الطيور خارقة تماثل خارقة إحياء الموتى الذى أجراه الله على يد رسوله عيسى عليه السلام.

فهل معجزات عيسى أبقى أثرا وأدخل في باب الإعجاز – عند العقل – من معجزتى إبراهيم عليهما السلام؟ أم كلها خوارق عظيمة متحدة الدرجة أجرى الله كلا

---

(١) الكشاف (جـ ١ ص ٣٩١).

منها حسب مقتضيات المقام؟ هذه عقيدة المؤمنين الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله وهم له مسلمون.

● **موسى وعصاه :**

وما منَّ الله به على إبراهيم وعيسى عليهما السلام منَّ بمثله على موسى عليه السلام فقد كانت عصى موسى مصدرا للأعاجيب :

مرة يلقيها فإذا هي حية تسعى، وتهتز كأنها جان حتى يولى موسى مدبرا ولم يعقب حتى يسمع صوت الأمان يناديه من عل.

ومرة يلقيها فتبتلع ألاعيب سحرة فرعون بعد أن ماجت الساحة بحبالهم وعصيهم كأنها حيات وثعابين تسعى وتتحرك. وينتصر موسى بعصاه على مهرة السحرة الذين اصطفاهم فرعون موسى فى أكبر مباراة بين ظلام الباطل ونور الحق.

ومرة يضرب بها البحر فينفلق صانعا اثنى عشر طريقا كل طريق منها كالطود العظيم، ويسير فيها مؤمنو بنى إسرائيل فيتبعهم فرعون وجنوده، وبينما ينجو آخر مؤمن، ويتوسط فرعون وجنوده البحر إذا هو ينطبق عليهم فيغرقون ولا يبقى منهم أحد..

ومرة يضرب بها الحجر فتتدفق منه المياه فى اثنتى عشرة عينا، ليشرب كل أناس من مشربهم، لا يزاحمهم فيه أحد.

هذا بعض ما من الله به على موسى. وهذا هو القرآن يقص علينا فى صدق أحسن القصص:

﴿ .. أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ [القصص: ٣٠ – ٣١].

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ * قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه : ٦٤ – ٧٠].

﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٦١ – ٦٧] .

﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة : ٦٠] .

وهذا بعض ما من الله به على رسوله موسى عليه السلام . أفما ترى فى ذلك عجبا وأى عجب .

أليس فى مسألة انقلاب العصى حية تسعى خارقة مماثلة تماما لما كان يجريه الله على يد عيسى عليه السلام من النفخ فى الطين فيكون طيرا بإذن الله . . ؟! فالعصى جماد، والطين جماد، وكلاهما تحولا بقدرة الله إلى « كائن حى له روح » ففى أى الخصائص تمتاز المعجزة « العيسوية » على المعجزة « الموسوية » وكلتاهما الله فاعلهما .

حتى معجزة أحياء الموتى التى كرم الله بها إبراهيم عليه السلام، ثم أيد بها عيسى عليه السلام ، حتى هذه المعجزة لم يحرم الله نبيه موسى عليه السلام منها . وقد تضمن الإشارة إلى تأييد موسى بها فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ٧٢ – ٧٣] .

وأيده الله بها حين قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ . . لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ – ٥٦] .

أيقال بعد هذا كله أن معجزات عيسى عليه السلام « لم يعملها أحد مثله » وكأنه هو الذى صنعها ولم يصنعها الله ؟!

- **داود والجبال ؟!**

ومن الله على عبده داود بمنن عظيمة، فسخر له الجبال تؤوب معه، وسخر له الطير كما سخر الجبال، وألان له الحديد يتصرف فيه كيف يشاء، بلا نار تذيب، ولا مطرقة ولا سندان.

وفي ذلك يقول القرآن الأمين : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سبأ : ١٠ - ١١].

ومهما اختلف العلماء في معنى تأويب الجبال بين أن تردد معه التسبيح إذا سبح حتى يسمع لها صوت أو تسير معه إذا سار، أو تجود له بما أودعه الله فيها من كنوز فإن هذه الآيات الثلاث :

تأويب الجبال، وتأويب الطير، وإلانة الحديد خوارق لم يمن الله بها إلا على من اصطفاه من عباده واستقام على نهجه وهداه. وكلها أمام العقل مدعاة للإعجاب والتأمل.

- **سليمان وإسالة عين القطر وعالم الفضاء :**

وورث سليمان داود، ورثه في النبوة والملك والتقوى والاستقامة وورثه في مجال « الصناعة » وورثه في خصائص المعجزات، فقد أجرى الله لهما معجزات وخوارق متحدة النوع. وأن تفاوتت فيما بينهما.

ففي مجال الصناعة فقد هيأ الله له أسباب قيامها « خفيفة وثقيلة » أمده بالمواد الخام، ووفر له الطاقة الحرارية اللازمة لها. وسخر له مهرة العمال الذين يعملون له ما يشاء.

فقد أسال له عين القطر، وهو النحاس المذاب. أسالها وأقرها بين يديه مادة طيعة قد عملت فيها الطاقة عملها. وسخر له حشدا هائلاً من الجن يعملون في « مصانعه » كل ما كانت تحتاج إليه البيئة من صناعات ثقيلة أو خفيفة.

وأعجب من هذا فقد سخر له « الفضاء » قبل أن يعرفه العالم المعاصر بمئات القرون، فهذه هي الريح تجوب له وبه الآفاق تقطع في نصف النهار الأول ما يقطعه المسافرون في شهر، وتقطع في نصفه الثاني مثل ما قطعته في النصف الأول. حدث هذا في عهد سليمان قبل عصور النهضة بقرون طوال. وفي ذلك يقول القرآن الأمين :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ – ١٣] .

- **سليمان ومنطق الطير :**

ومن مظاهر ما من الله به على عبده سليمان عليه السلام أن علمه منطق الطير يسمع لغاتها ويحذق معانيها، ففتح له كل مغلق، وأدنى كل بعيد والى هذا يشير القرآن الحكيم :

﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٦] .

وبهذا فقه سليمان قول النملة لبنى جنسها : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل : ١٨ – ١٩] .

- **سليمان وعرش بلقيس :**

ومن المعجزات الفريدة فى سجل نبى الله سليمان واقعة نقل عرش بلقيس. أنها واقعة تحتاج – الآن – إلى أبحاث علمية متخصصة وعميقة. يقوم بها حشد هائل من خبراء هندسة المعمار. وحشد هائل من خبراء الجيولوچيا، وحشد هائل من خبراء علوم الفضاء وخبراء الديكور ..؟!

فها هى ذى بلقيس تجمع – بعد الدراسة – على أن تلقى سليمان عليه السلام، ويعلم سليمان بهذا فيفكر فى إجراء خارقة تشاهدها عابدة الشمس من دون الله؟

واستقر الرأى على نقل عرشها، فجاء به أسرعهم الذى قال : ﴿ **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** ﴾ .

وقبل أن تصل بلقيس وقومها إلى مقر سليمان كان عرشها العظيم قد استقر بين يديه فلما أبصرته وسئلت أهكذا عرشك؟ قالت كأنه هو ولم تقطع. ولم تجد عابدة

الشمس أمام هذه الآيات إلا أن تقول : ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

فلنعد صياغة السؤال الآن ونتوجه به إلى أهل الذكر من الخبراء المعاصرين ليفتونا فى أمرنا إن كانوا فاعلين.

افتونا يفتكم الله، عرش هذا وصفه « عظيم » كيف اقتلع من الأرض هكذا قبل أن يرتد إلى الناظر طرفه، وكيف حمل فى الفضاء ولم يحدث فيه شرخ ولا تغير شىء من نظامه، ولا تبعثرت ديكوراته . أفى وسع الإنسانية – الآن – وقد تقدم بها العلم فى أعماق الأرض وفى أجواء الفضاء وآفاقه . أفى مقدورها الآن أن تقوم برحلة أيا كان قصرها قبل أن ينطبق جفن العين، مجرد رحلة فضلا عن أن يكون المنقول فيها عرشا عظيما مثل عرش بلقيس؟!

أم أن الإنسانية عاجزة كل العجز – الآن – عن القيام بأدنى فرض فى هذا المجال . وستظل عاجزة كل العجز عن مثل ما أجراه الله على يد سليمان عليه السلام منذ مئات القرون . نعم هى عاجزة – الآن – وستظل عاجزة بعد الآن حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثم نعود فنسأل :

أبعد هذا كله يقال : أن معجزات عيسى عليه السلام فوق معجزات « البشر » وهم يقصدون من هذا أخوانه الأنبياء والرسل، فليس بين هذه المعجزات من حيث هى معجزات فاضل ومفضول، فما من فضل آتاه الله عيسى ألا وقد آتى رسله مثله، وبقى الجميع متساويين فى عقيدة المؤمن الحق فى أنهم رسل الله المكرمون المنصورون . أنهم رواد اصطفاهم ليعبدوا الطريق أمام خاتم النبيين فأيد كلا منهم بما على مثله آمن البشر . فأدوا الأمانة، وبلغوا الرسالة ورضى الله عنهم ورضوا عنه.

ولم يدع رسول واحد منهم أن ما جاء به من معجزات كانت من صنعه هو، فقد كانوا أمناء فيما يقولون عارفين حدودهم فالتزموها ولم يخرجوا عنها، طالبين من الناس أن يعبدوا الله رب الجميع، متضافرين على غرس عقيدة التوحيد فى قلوبهم.

وقد حرص القرآن الأمين على أن يرفع كل لبس عند قصه نبأ المعجزات، فقد اسندها إلى فاعلها الحقيقى وهو الله . ومن يعد إلى نصوص القرآن فيما ذكرناه من معجزات يجد هذا المنهج واضحا جليا.

فمع إبراهيم عليه السلام قال: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾
ولم يقل أن إبراهيم قال يا نار كونى بردا وسلاما علىّ.
وفى إحياء الطير قال: ﴿ واعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وكان الله هو الذى رسم له خطة التجربة.
وفى معجزات موسى كان هذا التعبير: «فاضرب بعصاك البحر» و«فاضرب بعصاك الحجر» و«وألق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا».
وفى إحياء الميت قال: ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ ﴾ وفى داود قال: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ وفى سليمان قال: ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ﴾.
وفى معجزات عيسى صدرها بقوله: ﴿ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾.
ثم عقب معجزاته واحدة واحدة بقوله «بإذن الله» فى الأخبار عن قول عيسى على السلام و«بإذنى» فى حكاية قول الله ممتنا على عيسى عليهم السلام اجمعين.
أيقال بعد هذا أن معجزات عيسى لم يعملها أحد غيره ..؟!

﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [مريم: ٣٤ – ٣٦].

● **رابعًا: موته ورفعه للسماء:**

لم يطل البابا فى هذا الفرع، فاكتفى بان ساق آية آل عمران ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ وقد أهمل البابا الجزء الأخير من الآية، والذى تراه مخطوطا أسفله، ثم علق عليه بقوله:
«والمسيحية تؤمن بموت المسيح، وصعوده إلى السماء، ولكن القرآن لم يبين كيف رفع المسيح، ومتى حدث ذلك، وبقى الأمر عجبا».
وحيث لم يطل، فإننا لن نطيل فى مناقشته هنا، ونكتفى من جانبنا بإثبات ملحوظتين:
الأولى: أن أراد البابا بايراده هذه الآية إثبات خاصية إلى المسيح عليه السلام لم

يشركه فيها أحد من الأنبياء، تمهيدا لما يبنونه عليها وعلى مثيلاتها من الحكم بربوبية عيسى عليه السلام رددنا عليه دعواه من وجهين.

الأول : أن الرفع قد صرح به فى القرآن الحكيم بعد اثبات « التوفية » وهناك اختلاف كبير بين العلماء والمفسرين. ففريق منهم يرى أن عيسى عليه السلام توفاه الله ثم رفعه إليه. وعلى هذا فلا مزية لعيسى عليه السلام على أخوانه الأنبياء والمرسلين.

الثانى : أن الرفع حدث له عليه السلام وهو حى ووجهوا تقديم التوفية عليه حيث قال « متوفيك ورافعك إلى » بأن التقديم مع حرف العطف الذى هو « الواو » لا يقتضى تقديم التوفية فى الترتيب الوقوعى، لأن الواو لمطلق الجمع، يعطف بها السابق على اللاحق واللاحق على السابق، كما يعطف بها أحد المتصاحبين على الآخر، وهذا لا خلاف فيه عربية، والقول بأنه رفع حيا هو الأرجح عند العلماء.

وحتى على هذا الرأى – كذلك – لا مزية لعيسى عليه السلام فيه على جميع الأنبياء، فقد اشترك فيه معه نبى الله أدريس عليه السلام، ونذكر للقارئ ما ورد فى هذا الشأن عند المفسرين حين فسروا قوله تعالى فى شأن إدريس ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ [مريم : ٥٧].

جاء فى تفسير الفخر الرازى[١] : ﴿ **وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا** ﴾ وفيه قولان :

أحدهما : أنه من رفعة المنزلة كقوله تعالى لمحمد ﷺ ﴿ **وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** ﴾ فإن الله تعالى شرفة بالنبوة، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول من خط بالقلم، ونظر فى علم النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلد. **ثانيهما** : أن المراد به الرفعة إلى المكان العالى. وهذا أولى، لأن الرفعة المقرونة بالمكان تكون رفعة فى المكان لا فى الدرجة ثم اختلفوا – أى القائلون برفعة المكان – فقال بعضهم أن الله رفعه إلى السماء وإلى الجنة وهو حى لم يمت، وقال آخرون بل رفع إلى السماء وقبض » (أى بعد الرفع) وروى هذا الرأى الأخير ابن عباس عن كعب[٢].

ونقل الزمخشرى هذا الرأى « رفعه حيا » وعز روايته إلى أنس بن مالك مرفوعا كما عزاها إلى ابن عباس مرة، وإلى الحسن رضى الله عنه مرة أخرى[٣].

---

(١) (جـ ١ ص ٢٣٣) . (٢) الكشاف (جـ٢ ص ٥١٣) .

(٣) روح المعانى (جـ٦ـ ص ١٠٦) وانظر – أيضًا تفسير القرطبى (جـ ١١ ص ١١٧ ، والنسفى (جـ ٢ ص ٣٩) .

ويفيض صاحب روح المعانى فى هذا ثم يقول:

« وأكثر القائلين برفعه حسا – حيا – قائلون بأنه حى حيث رفع » ثم يذكر رواية عن قتادة كالتى مرت فى الرازى عن ابن عباس أنه رفع ثم مات حيث رفع، ويعلق صاحب روح المعانى على هذه الرواية فيقول: « وهو شاذ » .

فها هو ذا إدريس عليه السلام اشترك مع عيسى عليه السلام فى أن كلا منهما قد نص القرآن على أن الله « رفعه » وأن العلماء اختلفوا فى رفع كل منهما هل كان بعد الموت أو قبله، وهل هما الآن حيان أم ميتان. ومن هذا كله نستبعد – فى يقين – استئثار عيسى بهذه الخاصة دون جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

● **الملحوظة الثانية :**

وهى من وادى اللغة ذلك أن البابا قال « والمسيحية تؤمن بموت المسيح **وصعوده** إلى السماء » وكان الصحيح أن يقول «**ورفعه إلى السماء**» بدل « صعوده » ولا تظنن أن الكلمتين بمعنى واحد وأن كان هذا متبادرا إلى الفهم، لأن بين دلالة الكلمتين فرقا كبيرا جدا فى اللغة، وفى الاعتقاد.

ولا أظن أن البابا يخفى عليه ذلك الفرق بين مدلول الكلمتين، كما أننى لا أستطيع أن أقنع نفسى بأن البابا لم يقصد معنى « صعوده » قصدا، ويهمل معنى « رفعه » إهمالا مقصودا.

فالفعل « رفع » فعل متعد يفتقر بعد فاعله إلى مفعول يقع عليه ما دام هو متعديا إلى مفعول واحد.

أما الفعل « صعد » الذى اشتق منه « صعوده » مضافا إلى عيسى عليه السلام فهو فعل لازم، والفعل اللازم مكتف بفاعله وليس به حاجة إلى مفعول هكذا تقضى قواعد اللغة العربية.

وإنما أهمل البابا كلمة « رفعه » وهو مصدر مضاف إلى مفعوله مع أن هذا الفعل هو الوارد فى النصوص الشرعية المقدسة، وفى مقدمتها القرآن الحكيم. لأن استعماله بحسب اللغة يستلزم فاعلا للمصدر، تبعا لفعله ويستلزم مفعولا يقع عليه.

فإذا فصلت هذا الاجمال كانت أجزاء التركيب المضمر ثلاثة هى: الفعل + الفاعل + المفعول. فالفعل هو « رفع » والفاعل هو « الله » والمفعول الذى وقع عليه الفعل هو « عيسى » عليه السلام.

أما الفعل «صعد» الذى آثره البابا فاشتق منه مصدره المضاف وهو «صعوده» فلا يستلزم – بحسب قواعد اللغة إلا جزءين يتم بها التركيب. وهما: الفعل + الفاعل. فالفعل هو «صعد» والفاعل هو «عيسى» عليه السلام.

ولاشك أن المناسب إلى عقيدة البابا هو «صعوده» دون «رفعه» اشعارا بأن عيسى عليه السلام صعد بنفسه ولم يرفعه رافع ولو كان الرافع هو «الله» جلت قدرته. وهذا يتسق مع عقيدة النصارى فى عيسى عليه السلام إذ يدعونه «الرب يسوع» ومن كان ربا فهو ليس فى حاجة إلى أن **يرفعه** رافع، وإنما يصعد هو صعودا !!

أفلست معى – أنت – فى أن هذه الدلالة الدقيقة مقصودة قصدا، ولم يجربها القلم اعتباطا، ولا هى من محض الصدف، ولا من باب المشتركات اللفظية التى يدعونها فى أصول اللغة مترادفات ..؟!

● **خامسا : صفات المسيح الأخرى :**

لم يذكر البابا فى هذا القسم سوى قوله تعالى واصفا عيسى عليه السلام :
﴿ **وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين** ﴾ ثم قال :

«وقد شرح أئمة المفسرين معنى هذا الوصف باستفاضة، وخرجوا منه بعلو مركز المسيح علوا عجيبا. وبأنه فى الآخرة تكون له شفاعة فى الناس» هذا كلامه. أما نحن، فمع أن كلام البابا لم يغير من عقيدتنا شيئًا مما هو معلوم ومعتقد لنا عن جميع أنبياء الله ورسله، فإننا رجعنا إلى ما قاله المفسرون فى شرح هذه العبارة فرأينا الآتى:

«وجيها» أى شريفا ذا جاه وقدر .. القرطبى (جـ ٤ ص ٩٠).

«والوجاهة فى الدنيا النبوة، وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة» الكشاف (جـ ١ ص ٤٣٠).

«وأما عيسي عليه السلام فهو وجيه فى الدنيا بسبب أنه يستجاب دعاؤه ويحيى الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص بسبب دعائه، ووجيه فى الآخرة بسبب أنه يجعله شفيع أمته المحقين، ويقبل شفاعته فيهم، كما يقبل شفاعة أكابر الأنبياء عليهم السلام» الفخر الرازى (جـ ٨ ص ٥٠).

«وجيها» ذا قدر وجاه «فى الدنيا» بالنبوة والطاعة «وفى الآخرة» بعلوالدرجة والشفاعة .. النسفى (جـ ١ ص ١٥٨).

« وجيها فى الدنيا والآخرة » الوجيه ذو الجاه والشرف والقدر، وقيل الكريم على من يسال فلا يرد لكرم وجهه عنده، خلاف من يبذل وجهه للمسالة فيرد، ووجاهته فى الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس (يعنى معاصريه) وفى الآخرة بقبول شفاعته وعلو درجته » .

« وقيل وجاهته في الدنيا بقبول دعائه بإحياء الموتى، وابراء الأكمة والأبرص، وقيل بسبب أنه كان مبرءاً من العيوب التى أفتراها عليه اليهود - يعنى قولهم أنه ابن زنا - وفي الآخرة ما تقدم » روح المعانى (جـ٣ ص ١٦٢) .

هذه مذاهب خمسة من كبار المفسرين فى معنى « وجاهة عيسي فى الدنيا والآخرة » وهي محصورة فى الدنيا بأمرين هما: **النبوة** ويتدرج تحتها قبول الدعاء والكرم **والثانى** : البراءة من العيوب التى رماه بها اليهود.

ومحصورة فى الآخرة بأمرين هما: **قبول** شفاعته فى مؤمنى أمته فى زمانه والثانى علو درجته فى الجنة.

وهذان لم يخرجاه عن نطاق « البشرية » كما لم يميزاه عن أخوته الأنبياء فكلهم كان مبرءاً من العيوب الخلقية والخلقية فى الدنيا، وكلهم ذو شفاعة فى الناس يوم القيامة، ولكنها شفاعة محدودة. وكلهم ذو درجة عالية في الجنة بل أن الشفاعة يشترك فيها عباد الله الصالحون من غير الأنبياء، مع الأنبياء والمرسلين. وقد ورد فى هذا نصوص كثيرة عن الصادق المصدوق ﷺ منها قوله عليه السلام: « فإن لكل أخ صالح يوم القيامة شفاعة » .

وبقيت كلمة واحدة حول حديث البابا عن المسيح عليه السلام، وهى خاصة ببراءته من الخطايا، ونحن نتفق مع البابا فى هذا المبدأ، ونختلف معه فى تخصيصه بعيسى عليه السلام إذ الأنبياء كلهم معصومون من الخطايا، وما جاءوا هم من عند ربهم إلا ليحولوا بين عباده وبين ارتكاب الخطايا والآثام ولا يقدح فى هذا أن موسي عليه السلام قتل رجلا من المصريين، لأن العبرة فى البواعث لا فى الفعل نفسه. وما حمل موسى على هذا الفعل إلا متأولا. على أن العرض القرآنى لهذه الواقعة لا يفيد إلا هم موسى عليه السلام بالوكز للزجر والدفع لا بقصد القتل. ولو أن هذه الواقعة حدثت فى عصرنا لكان نظر القانون إليها على أنها قتل خطأ لا عمد ولا اصرار فيه إذ هى ضرب أفضى إلى الموت كما يقول القانونيون المعاصرون.

وهذا هو عرض القرآن الأمين للواقعة :

﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الواقعة : ١٥ — ١٦].

أن عنف الدوافع إلى هذا الوكز، جعلت موسى عليه السلام يتضرع إلى ربه في ندم وتوبة، وعلم الله بحالة موسى حين فعل ما فعل كان سببا فى سرعة عفو الله وغفرانه ذنبه.

ويمضى البابا فيذكر حديثا شريفا يقول فيه راويه — على حد تعبير البابا نفسه: « سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من مولود من آدم إلا ونخسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من نخسه أياه، إلا مريم وابنها ».

وردنا على استشهاده هذا من وجهين:

الأول : أن القاضى عبدالجبار ناقش هذا الخبر وقال أنه خبر آحاد على خلاف الدليل، وأخبار الآحاد — كما نعلم — لا يبنى عليها دليل يقينى: فهذا رد للحديث من جهة الرواية، ثم اتبعه القاضى برد آخر من جهة الدراية فقال:

« وذلك لأن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من له تمييز » يقصد أن الطفل حين يولد لا يكون له تمييز فكيف ينخسه الشيطان بمعنى يدعوه إلى الشر وهو لا أدراك له.

وقد تعقب الألوسى فى تفسيره روح المعانى الذى استيقنا منه هذا النقد فقال: « الأخبار فى هذا الباب كثيرة وأكثرها وارد فى الصحاح والأمر لامتناع فيه، وقد أخبر به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام فليتلق بالقبول » [(١)] أ — هـ.

ونحن مع الألوسى فيما قرره، نلتقاه بالقبول خاصة وأنه قد ورد فى صحيحى البخارى ومسلم، ولا شأن لنا بما أورده عبدالجبار من طعن فى الخبر المذكور، ولكننا مع عبدالجبار حيث يقول: ولماذا اختص عيسى عليه السلام وأمه من بين سائر الأنبياء؟

ولن نقف طويلا مع هذا التساؤل الذى أورده القاضى عبدالجبار، فإنه على حق فيما قال حول اختصاص عيسى وأمه. ودليلنا على هذا ليس هو القاعدة العامة بعصمة الأنبياء فحسب، بل أن خبرا كهذا قد ورد فى شأن يحيى عليه السلام.

---

(١) روح المعانى (جـ٣ ص ١٣٧).

فقد روى أبو صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه، يعذبه عليه أو يرحمه أن شاء ألا يحيى ابن زكريا، فإنه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين» وفى رواية الترمذى فى نوادر الأصول، والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد من ولد آدم ألا وقد أخطأ أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام لم يهم بخطيئة ولم يعملها» وروى عكرمة عن ابن عباس نحو ذلك.

وفى تفسير ابن جرير الطبرى فى توجيه قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾ أى أمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم[1] .. فإذا كان عدم نخس الشيطان لعيسى عليه السلام هو حفظه من الخطايا فإن يحيي عليه السلام قسيمه فى هذا، فسلام مولده عاصم له من نخس الشيطان وقد تعددت الروايات التى تنص على أنه لم يذنب قط.

وليس لنا من هدف فى هذه المقارنات الا ان ندفع غلوا رأيناه واضحًا فى مقال البابا، فأردنا أن نرى القارئ أن ما من فضل أتاه الله عيسى عليه السلام إلا وآتى أخوانه الأنبياء والرسل فضلا مثله، وتلك نعم الله يهبها من شاء من عباده بحكمة وقدر. بل أن يحيي هذا عليه السلام قد وصفه الله بوصف لم يصف به أحدا من الأنبياء والرسل فضلا عن عامة الخلق، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا﴾ ومع انفراد يحيي عليه السلام بهذا الوصف، لم يقل أحد بأن يحيي أفضل المرسلين والنبيين، لأن لهذا الفضل مقاييس أخرى ستعرفها إن شاء الله حين تأتى مناسبتها من هذه المواجهة ومن الخصائص التي انفرد بها يحيى كذلك قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾ كما اختص إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ ولم يقل أحد بأفضلية إسماعيل على سائر المرسلين، وليس معنى هذا – كذلك – التعريض بغيره من المرسلين بأنهم لم يكونوا صادقى الوعد. وإنما هذه كلها أوصاف أجراها الله على من أجراها عليه وهو العليم الخبير.

وصفوة القول: لم تكن معجزات نبي من الأنبياء سببا فى خروجه عن نطاق «البشرية» ولا هذا هو معتقد مؤمن صحيح الإيمان، وليست معجزات عيسى عليه

---

(١) راجع فى هذه النقول: تفسير القرطبى (جـ ٤ ص ٧٨) وروح المعانى (جـ١٦ ص٦٥) وتفسير الفخر الرازى (جـ٢١ ص ١٨٦).

السلام بأعجب من معجزات غيره من رسل الله ومصطفيه، بل فى معجزات بعضهم ما هو أدخل فى باب الاعجاز - عند العقل - من بعض معجزاته . أو منها كلها.

وليس هذا تجنيا على عيسى عليه السلام، وإنما هو الحق الذى يجب أن يقال ونحن حين نفرق أو نقارن معجزاته عليه السلام بمعجزات الأنبياء والرسل لا نفرق بينهم فى قداسة الإيمان بهم، وتصديقهم فيما بلغوه عن ربهم، ولو أن رجلا آمن وصدق بكل الأنبياء ثم شك أو ارتاب حول « رسالة » وأحد منهم، أيا كان ذلك الواحد . . فلا إيمان له عند الله، ولهذا فإننا نسوى فى الإيمان بينهم كلهم ونفضل - بعد ذلك - من فضله الله لا هوى من عند أنفسنا ولكن إيمان - كذلك - بقوله تعالى وهو مصدر الصدق والتوجيه :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

القضية الخامسة : ادعاؤه أن بنوة المسيح لله - سبحانه - لا تنافى التوحيد ؟! وتقوم هذه الفكرة عند البابا على ثلاثة دفوع :

الدفع الأول: أن القرآن ميز تمييزا واضحاً بين الطوائف فذكر اليهود وذكر الصابئين، وذكر المشركين، ثم أبى أن يجعل النصارى إلا قسما متميزاً . فلو كانوا مشركين - على حد تعبيره - لما ميزهم عن تلك الطوائف . ولما كان هناك معنى لتمييزهم ؟!

الدفع الثانى : أن بنوة عيسى لله ، ليست بنوة جسدية تناسلية، لأن البنوة فى « اللاهوت » هى « كبنوة الفكر للعقل . العقل يلد فكرا وليست له صاحبة » ؟!

ويبنى على هذا الدفع قوله : « والمسيحية لم تقل فى يوم من الأيام بالوهية العذراء مريم، بل أن مريم نفسها تقول فى الإنجيل أنها « أمة الرب » فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله . . . ؟!

الدفع الثالث: أن ثالوث المسيحية ليس ثالوثا وثنيا كما ورد فى العبادات المصرية القديمة فى قصة الآله : أوزريس ، والإلهة ازيس وابنهما الآله حوريس، المسيحية لا تؤمن بالشرك بالله إنما تؤمن بالتوحيد .

ثم يقول : « فالله هو جوهر إلهى[1] أو ذات الهية له عقل وله روح والثلاثة واحد . . » ؟!

---

(١) راجع الكشاف (جـ ٢ ص ٦٣٧) .

ثم يضرب مثلا على صحة مدعاه فيقول : « كالنار لها ذات، هى النار، وتتولد منها حرارة، وينبثق منها نور. والنار بحرارتها ونورها شيء واحد ... »؟! هذه هى دفوع البابا فى ادعائه المذكور. وها نحن أولاء نواجهه على هذا الترتيب.

● **مواجهة الدفع الأول :**

يستدل البابا بقوله تعالى : ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [المائدة : ٨٢] وحجته - هنا - أن القرآن الكريم ميز بين النصارى وكل من اليهود والذين أشركوا.

ويستدل - كذلك - بقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [الحج : ١٧].

أما الآية الأولى : ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً** ﴾ فلها سبب نزول منصوص عليه فى كتب التفسير فهى تصف طائفة - فعلا - بكت من خشية الله وهم النجاشى وقومه. ومع هذا الخصوص الذى يفهم من سبب النزول فنحن نشهد - كذلك - للحق وللحق وحده أن النصارى الصق مودة بالمؤمنين، وأكثر جوارا ومساعدة، وأن منهم كثيرين وكثيرين يتوادون ويتحابون مع المسلمين ويتبادلون فيما بينهم صنائع المعروف وهذا هو الغالب على أبناء الشعوب المسيحية، وعندنا هنا فى مصر أروع الأمثلة على تلك المودة إذ لا تفرقة ولا تمييز، وفى كثير من المواضع تلاصق الكنيسة المسجد وكل منا يعبد الله حسب عقيدته. وأفراح المسلمين تعج بجيرانهم النصارى، وأفراح النصارى يشترك فيها جموع من المسلمين. يتبادلون التهانى فى المناسبات الطيبة، ويتعازون فى المصائب ويواسى بعضهم بعضا.

نحن لا ننكر ذلك أبدا، ولا ندعى أن صلتنا بالنصارى مثل صلتنا باليهود ولا ندعى أن قلوب كل النصارى موغرة ضد المسلمين. كل هذا باطل ومدعيه مجانب للحقيقة.

وإنما الذى ننكره ونواجهه بكلمة الحق هو أن يحاول فريق من أى منا مسلمين أو نصارى ليعكر هذا الصفو، ويذرع العداوة والبغضاء بين أبناء الملتين. وهذا ما يفعله

بعض رجال الكنيسة فى بعض الأحيان. فالعلاقات بين عامة المسلمين وعامة المسيحيين - هنا فى مصر بالذات - طيبة إلى أبعد الحدود، ولكن حين يصدر مقال أو كتاب، أو نشرة تهاجم عقيدة المسلم فإن على رجل الدين الإسلامى أن يتصدى لها دافعا الحجة بالحجة والفكر بالفكر. ونحن نقول ما نقول صراحة وعلنا ولا ندرى ما يقال من قبل بعض رجال الكنيسة إلى الشعب المسيحى، وبعضه يوغر صدورهم نحو جيران لهم مسالمين آمنين لا يضمر دينهم شرا لأحد بل وصاهم بحسن المعاملة وأن لا يفتنوا أحدا فى دينه.

﴿ وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ و ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ .

ونحن نتمنى أن يلتزم كل منا حدوده فلا يعتدى على عقيدة الآخر. فالفتنة نائمة لعن الله موقظها .. ولا يسعنا فى هذا الصدد إلا أن نقول لكل مخالف لنا فى العقيدة أو الرأى :

« اعترف لنا بحقنا فى الحياة نعترف لك بذلك الحق. أمنا على حاضرنا ومستقبلنا لا نجد طريقا لمعاداتك ».

أما الآية الثانية ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ .. إلخ فلا حجة للبابا فيها فإن تمييز النصارى عن بقية الطوائف المذكورة فيها لا يفهم منها أبداً أن الإسلام يقر النصارى على ما هم عليه من عقيدة التثليث وانكار رسالة خاتم النبيين، ثم يعتبرهم فريقا متميزا ثابتًا على الحق أو موحدين لأن الآية إنما ذكرت تلك الطوائف وهم الذين آمنوا. واليهود - والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا، لأن كل طائفة منها عقيدة تخالف الأخرى وقد قدم المؤمنين على بقية الطوائف، لأنهم هم وحدهم الذين صدقوا بما أنزل الله على سائر رسله، ثم عدد بعدهم بقية الطوائف على أساس اختلاف عقيدة كل طائفة عن الأخري فهم مختلفون مجتمعون :

مختلفون فى كنه العقيدة. فعقيدة اليهود غير عقيدة الصابئين، وعقيدة هؤلاء الصابئين غير عقيدة المجوس وغير عقيدة النصارى إلخ.

ومجتمعون حيث أنهم جميعا يجمعهم وصف واحد وهو مخالفة للحق الكلى الذى يجب أن يتبع. فالكفر كله ملة واحدة.

وحرصا من الإسلام على حسم الجدال بين هؤلاء الطوائف، وترك التخاصم الجدلى فوضت الآية الكريمة أمر الفصل بينها إلى الله يوم القيامة «إن الله يفصل بينهم».

أتدرى لماذا؟ لأن الخلافات الدينية الكبرى لا يملك الفصل فيها أحد فى هذه الدنيا، لأن العثور على حكم مجرد غير ممكن فيها. فإذا اختلف يهودى ومسيحى فهل يحتكما إلى مسلم؟ كلا. لأن كلا منهما يفترض فيه خصومة فحكمه -إذن- غير مقبول.

وكذلك لو اختصم اليهود والمسلمون لدى نصرانى، أو اختصم المسلمون والنصارى لدى اليهود. فإن الشعور بالخصومة لا يكاد يفارق أحداً ممن ذكرنا .. وبناء على هذا فإن «الحكم المجرد» فى الخلافات الدينية الكبرى القائمة بيننا لا يمكن العثور عليه فى حياتنا الدنيا. ومن أجل هذا كله اختص الله نفسه بالنظر فى هذه القضية، فقوله وحده هو المسموع فيها، وحكمه وحده هو المقبول فيها وهو حكم مقرون بالنفاذ مثوبة وعقوبة، فلنرجىء الفصل إليه وليكف كل منا عن أذى الآخر حتى نلقاه.

- **مواجهة الدفع الثانى والدفع الثالث:**

كان تصوير الدفع الثانى عند البابا هو أن بنوة عيسى لله - سبحانه - ليست بنوة جسدية تناسلية وإنما هى بنوة روحية كبنوة الفكر للعقل، ولن نطيل معه فى هذا الدفع لأن الفكرة المقيسة هنا، وهى فكرة بنوة عيسى لله - سبحانه - تختلف كل الاختلاف عن الفكرة المقيس عليها، وهى صلة الفكر بالعقل، وصلة حرارة النار ونورها بالنار. فعيسى عليه السلام مولود قطعا لأم معروفة. حملت به كما يحمل النساء، ووضعته كما يضعن. وعيسى عليه السلام جسد وروح وعقل متميز تماما عن أمه كما تميز الأطفال عن أمهاتهم. لكل منهم كيانه المستقل. يحس ويشعر ويأكل ويشرب ويصحو وينام ويتألم ويسعد. له بداية، وله نهاية. وهيكله الجسدى لم يبق بعد زواله.

بينما الفكر معنى من المعانى يدرك بالذهن وليس له صورة ولا شكل ولا لون ولا تميز يشغل به حيزا من الفراغ. ومع هذا الفارق الجوهرى بين ما يريد إثباته البابا من بنوة عيسى لله - سبحانه - وبين الفكر من حيث صلته بمصدره العقل، فإن أحدا لم يقل أن الفكر ابن العقل وهو يعنى أنما يقول حقيقة إلا على ضرب من المجاز والتأويل.

وما يقال في صلة الفكر بالعقل يقال في صلة الحرارة والنور بمصدرهما النار؟ فليست الحرارة شيئاً غير النار وليست النار شيئاً غير الحرارة، ولكنهما متلازمان فبلوغ الحرارة درجة معينة تتولد عنه النار بحيث لا يدرى أيهما بنت الأخرى كما لا يدرى الفرخة بنت البيضة أم البيضة بنت الفرخة. والنور أمر اعتبارى وأن بدا له لون فى الظاهر فليس له جسم ولا حجم ولا وزن.

ومع هذا كله فليست بنوة النار للحرارة، أو الحرارة للنار، أو النور للنار، ليست هذه كلها بنوة حقيقية كما يلزم من قولكم ببنوة عيسى لله - سبحانه - لأن فى بنوة عيسى لله - سبحانه - فصلتم بين «الأقانيم» أو العناصر فصلا واضحاً، وهو كذلك في الواقع. فالله ليس هو عيسى، ولا عيسى هو الله «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير».

وهذا يلزمكم بالتسليم بوجود «الصاحبة» لله - سبحانه - لأنها موجودة فى الواقع - مريم أم المسيح - فلا تستطيعون التخلص منها وإن حاولتم فلن يقنع أحد بما تقولون، إلا أن يلغى ذلك «الأحد» عقله وفكره.

وكنا لا نريد أن نحرجك بكلام قاله أحد مرءوسيك الذى تصفونه في كتاباتكم بالكاتب القدير، وهو الأستاذ يسى منصور حيث يقول فى كتابه : رسالة التثليث والتوحيد» ص ٢٦٠ كما نقل عنه الأستاذ محمد مجدى مرجان فى كتابه المعروف[1].

قال الأستاذ يسى منصور: «أن الروح القدس هو الأقنوم الثالث فى اللاهوت وهو ليس مجرد تأثير أو صفة أو قوة، بل هو ذات حقيقي، وشخص حى (!) وأقنوم متميز، ولكنه غير منفصل، وهو وحدة أقنومية غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن، ومساو لهما فى السلطان والمقام، ومشترك وإياهما فى جوهر واحد. وقبل هذا قال فى كتابه المذكور ص ٤٥ وما بعدها:

«إن الروح القدس هو الله الأزلى، فهو الكائن منذ البدء قبل الخليقة. وهو الخالق لكل شيء، والقادر على كل شيء، والحاضر فى كل مكان وهو السرمدى غير المحدود».

وكلام الأستاذ يسى منصور الكاتب القدير يحمل تناقضين، احدهما مع ما قد قررتموه أنتم فى تشبيه بنوة عيسى لله - سبحانه بكل من بنوتى الفكر للعقل والحرارة والنور للنار.

---

(١) الله واحد أم ثالوث؟ (ص ١١٦).

وثانيهما مع ما قرره هو فى نصه السابق على هذا النص. وإليك البيان :

● **أولاً - تناقضه معكم :**

فى تمثيلكم بنوة عيسى لله - سبحانه - ببنوة الفكر للعقل، والحرارة والنور للنار ذهبتم إلى القول بالوحدة «المعنوية» وهذا قولكم «والنار بنورها وحرارتها شىء واحد».

بينما الكاتب القدير يخالفكم ففى حديثه عن الروح القدس «الأقنوم الثالث» يقرر أنه «ذات، وشخص حى» وأنه «متميز» وأنه «غير أقنوم الأب وغير أقنوم الابن» وأنه «مساو لهما فى السلطان والمقام» أى للأقنومين الأول والثاني. وبهذا التميز والتشخص الحي، والمساواة فى السلطان والمقام لا يصبح لقولكم «والنار بنورها وحرها شىء واحد»؟!! وليس هذا بالشىء الهين عند الفكر والعقل ألست معنا في هذا الفهم؟!

● **ثانيا - تناقضه مع نفسه :**

فالأستاذ يسى منصور أثبت فى النص المنقول عنه من ص ٤٥ من كتابة المذكور أن الروح القدس هو الخالق لكل شىء والقادر على كل شىء. مع أن هذا لم يسلم له لأن «الكلمة» صادرة عن «الآب» فهى له - أذن - وليست للروح القدس فأين ادعاء خلق كل شىء للروح القدس أذن؟ والأب هذا هو الذات. فهل هو ذات بلا روح؟! وإن كان الأمر - كذلك - فهل ترقى ذات لا حياة فيها فتصبح الاها؟ وإذا كانت ذات روح فهل هى روح القدس؟ وإن كان الأمر كذلك فهل روح القدس هى الموجدة للذات لتقوم بها، وإذا كان الامر كذلك فهل احتياج الروح القدس إلى الذات ضرورى. أن قال ضرورى نقل أن تلك الروح ليست ذات كمال مطلق لاحتياجه إلى ذات تقوم بها، وأن قال غير ضرورى كان خلق الذات عبثا فلا يصح أن تكون الاها.

وإن قال أنها روح أخرى غير الروح القدس قلنا. فلماذا أهملتم تلك الروح فلم تجعلوها اقنوما رابعا؟

وإذا كان الروح القدس مساويا للأب والابن فى السلطان والمقام أليس وجود واحد منها «الأقانيم الثلاثة» مغنيا عن وجود الاقنومين الآخرين وحتى هذا الذى يفلسفه الكاتب القدير يسى منصور من ادعاء التساوى بين كل من الأقانيم الثلاثة يناقضه وينازعه واقع العقيدة عند المسيحيين كيف ...؟!

لأنهم جعلوا الله الآب مصدر العدل ..؟

وجعلوا الله الابن مصدر الرحمة؟
وجعلوا الله الروح مصدر النعمة؟
وعلى هذا فالله رقم واحد لا سلطان له فى مجالى الرحمة والنعمة؟
والله رقم اثنين لا سلطان له فى مجالى العدل والنعمة؟؟
والله رقم ثلاثة لا سلطان له فى مجال العدل والرحمة ؟؟
الست معنا – يا سيادة البابا – فى هذا الفهم ..؟

وكذلك فإنهم غير متساوين فى المقام. فما دام الله الروح القدس هو الموجود منذ البدء قبل الخليقة. فهو أعلى مقاما من الله الآب والله الابن . والله الآب أعلى مقاما من الله الابن، لأن الله الآب هو الناطق، والله الابن هو «المنطوق» فكيف اذن يقال أنهم متساوون فى المقام.

وبمراجعة جدول الاختصاصات المذكور أعلاه يتضح كذلك – أن الله الروح القدس هو المتصرف فى كل الأمور، لأن العدل والرحمة جزءان من كليات النعم؟

ثم كيف يقال – بعد ذلك التمايز الذى أثبته الكاتب القدير الأستاذ يسى منصور – كيف يقال أنهم فى «جوهر» واحد.

ولا غرابة فى هذا الاختلاف الذى لا يكاد يستقر على قدم فإن البابا نفسه عاد فناقض ما أثبته فى صورتى ولادة العقل للفكر، وولادة النار لكل من النور والحرارة. فبينما البابا يصرح بأن النار ونورها وحرارتها شىء واحد، توطئة لقبول فكرة التوحيد التى يقول بها مع اعتقاد التثليث. يعود فى نهاية المقال فيقول:

«فليس معنى كل ما قلناه أن القرآن والمسيحية شىء واحد. كلا. فهناك خلافات جوهرية منها **التثليث والتجسد** ولاهوت المسيح وصلبه ومنها أسرار الكنيسة والقرآن نفسه».

أفليس هذا رجوعا عما حاول البابا إيهام القارىء من إمكان اعتبار المثلث موحدا. ومن نفى التثليث الوثنى عن معتقد النصارى «المثلث»؟! سمه رجوعا، أو سمه تناقضا، وبأى اسم سميته فإن مؤداه الذي لا يرتاب فيه ذو نظر أن التثليث إشراك. كيفما فسر وعلى أى وجه وجهوه.

وأن التوحيد إيمان وبين التوحيد والتثليث، والاشراك والإيمان ما بين النور والظلمات. فانى يلتقيان ...؟!

﴿ إنَّ مَثَلَ عيسَىٰ عندَ اللَّه كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ من تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ * الْحَقُّ من رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ * فَمَنْ حَاجَّكَ فيه من بَعْد مَا جَاءَكَ منَ الْعلْم فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنسَاءَنَا وَنسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّه عَلَى الْكَاذبينَ * إنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا منْ إلَهٍ إلاَّ اللَّهُ وَإنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ * فَإن تَوَلَّوْا فَإنَّ اللَّهَ عَليمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٩ – ٦٣] .

* * *

القسم الثانى

وثيقة : استحالة تحريف الكتاب المقدس

عرض ونقد

استحالة تحريف الكتاب المقدس .. ؟!

أشرنا من قبل إلى هذا الكتاب، وقدمناه للقارىء، وأوجزنا الحديث عن محتوياته، والصلة بين كتاب « الاستحالة » وبين مقال البابا الذى قد واجهناه فى الصفحات السابقة وثيقة العرى. فقد تبنى الكتاب كل القضايا التى آثارها المقال، وأضاف إليها قضايا أخرى من اللون نفسه.

ومنهج كتاب « الاستحالة » هو منهج البابا نفسه :

فكل منهما عرض لعقائد تتفق وتختلف مع العقائد الإسلامية. وكل منهما سطا سطوا غير محمود على نصوص القرآن الحكيم محاولا أن يتخذ منها دليلا على صدق مدعاه من عقائد مرفوضة عقلا ونقلا. وأحيانًا يتخذون من آيات القرآن الكريم نصوصا للتدليل على « تكذيب القرآن نفسه؟! » أو الحكم على المسلمين بالكفر والخسران ..؟!

وكل منهما يلجأ إلى نصوص من السنة المطهرة ليتخذ منها دليلا على « نقص » قائلها – ﷺ – وقصوره وضعة منزلته (!) هكذا سولت لهم أنفسهم ..؟!

ولم يكن رسول الإسلام – على حد تعبيرهم – هو وحده الذى تعرض لطعونهم وهجومهم. بل أن رسل الله كلهم : إبراهيم ، وموسى، وداود ... كل هؤلاء الكرام كانوا فريسة لكتاب « الاستحالة » فكلهم آثمون مخطئون. (!) بل أن البشرية كلها قد سقطت فى « كتاب الاستحالة » لأن أباهم آدم قد سقط (!) فلم يكن من بينهم « فاضل » أبدا فكلهم آثمون أولاد آثمين.

ولم يستثنوا من هذا العموم إلا « الرب يسوع » عيسى عليه السلام، وأمه وحوارييه (!) .

ثم استلبوا نصوصا من القرآن العظيم وحاولوا أن يقيموا منها أدلة على صدق مدعياتهم، وهى كثيرة نخص منها ما يأتى :

(أ) سلامة الكتاب المقدس من التحريف واستمرار العمل به ..؟!
(ب) صلب المسيح فداء للبشرية من الأخطاء الموروثة ..؟!
(جـ) أن اليسوع عيسى هو « الله » ..؟!
(د) أن اليسوع عيسى هو « الديان » ..؟!
(هـ) أن القرآن يبطل بعضه بعض ..؟!

(و) أن رسول الإسلام لم يأت بمعجزات ..؟!

(ز) أن عقيدة « التثليث » المسيحية معمول بها فى الإسلام ..؟!

ثم استحدث كتاب « الاستحالة » طريقة لم يلجأ إليها البابا فى مقاله لأسباب ظاهرة. وهذه الطريقة تتلخص فى عمل « جداول » كل جدول منها أخضعوه لغرض خاص. وقد جاءت فى الكتاب على الترتيب الآتى :

- جدول رقم (١) عقدوا فيه مقارنة بين رسول الإسلام من خلال نصوص قرآنية. وبين عيسى من خلال نصوص إنجيلية، وهما من النصوص التى تتحدث عن « الرسولين » وكان عيسى هو الصاعد بالطبع ..؟!
- جدول رقم (٢) قارنوا فيه بين النصوص القرآنية ونصوص إنجيلية تتحدث عن المسيح، محاولين اخضاع النصوص القرآنية لأهدافهم.
- جدول رقم (٣) لبيان المواضع التى اقتبس فيها القرآن الحميد من الكتاب المقدس « العهد القديم » ويعنوان : التوراة ..؟!
- جدول رقم (٤) لبيان المواضع التي اقتبس فيها القرآن من الكتاب المقدس « العهد الجديد » ويعنون : الإنجيل ..؟!
- جدول رقم (٥) أثبتوا فيه نصوصا من القرآن يرفضها النصارى لاختلافها مع عقيدتهم.

وغير هذه وتلك فإن كتاب الاستحالة قد تجاوز كل حد فى المغالطات والتجنى التى لم يكن لها من باعث سوى الهوى، الذى حملهم على أن يستهتروا بكل قيم النقل والعقل. ترى ذلك واضحا فى كل ما سطروه وادعوه.

وغير خاف على القارىء أن بعض هذه الشبه التى أثارها الكتاب قد واجهناها فى مناقشتنا السابقة. وها نحن الآن نعرض لبيان ما جاء فى كتاب الاستحالة من زيف وخاصة تجرؤهم على النصوص القرآنية، واقحامها فى مواضع هى غريبة عنها كل الغرابة؟!

ونحن حين ندخل فى حلبة هذا الحوار. ندخلها فى ثقة غير خائفين من كساد تجارتنا. وأكرر فأقول : غير خائفين من كساد تجارتنا، لأننا لن نطرح فى سوق الحوار والجدل بضاعة زائفة أو مزيفة فنخشى بوارها. ولن نطرح فى سوق الحوار والجدل بضاعة مسلوبه أو مغصوبة فنخشى افتضاح أمرنا من عثور مالكها « الحقيقى » علينا وعليها ولن نطرح في سوق الحوار والجدل إلا بضاعة « أصيلة » هيمن صانعها على

« حمايتها » فلم تعبث بها أيدى « غلمة الإنتاج » ولم يغير من جودة « صنعها » تطاول زمان، أو تشعب مكان أو هوى كهان ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

بضاعة عتيقة أن حمد العتيق، متجددة أن طلب الجديد. طعمها هو هو لم يتغير ولونها هو هو لم يتبدل. وثوبها هو هو لم يرث. مصونة من هوس التقليد لوحدة « صانعها » خزائنها ملأى لا تنضب وان كثر روادها. فيها من القديم آصله، ومن الجديد أسبقه. سابقت فسبقت. وحاورت فافحمت.. وسيظل هذا حالها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وما عليها.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٠ – ٤٢] .

- **القضية الأولى – سلامة الكتاب المقدس من التحريف ، واستمراره؟!**

لقد واجهنا فى مقال البابا هذه القضية. ورددنا للنصوص القرآنية التى قسرها قسرا على مراده . وكان من الميسور أن نهملها عند مواجهتنا لما جاء فى كتاب « الاستحالة » من مغالطات. بيد أن توسيع الكتاب لهذه الدائرة، وقسره نصوصا قرآنية أخرى للتدليل عليها، ومزالق جديدة تورط فيها مؤلفه ومعاونوه. كل هذا حبب إلينا، أو قل أوجب علينا التصدى لها. حتى لا نذر شبهة واحدة قائمة فى هذا المجال.

وقد عرض كتاب « الاستحالة » هذه الفكرة موزعا لها على وحدات وهى :

- **أولاً – شهادة الإسلام أن الكتاب المقدس كتاب منزل من الله :**

وشطر هذه الوحدة ثلاث شطرات :

أحداهما : خاصة بالتوراة « العهد القديم » واستدل عليها بما يأتى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ... قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ... قُلِ اللَّهُ ... ﴾ هكذا نقل كتاب « الاستحالة » والغرائب هذه الآية مع أن نص الآية هكذا :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنعام: ٩١] .

قارن– عزيزى القارىء – بين نص الآية كاملا كما ذكرناه وبين الصورة التى نقل بها «كتاب الاستحالة» والغرائب نفس الآية. وتسهيلا فقد وضعنا لك خطا تحت النصوص التى أهملوها من الآية من أولها ومن وسطها وآخرها والقوم – هنا – يتحدثون عن «أمانتهم العلمية» وأن ما بين يديهم من توراة وإنجيل مصون لم يحرف. ثم هم أولاء يثبتون بيقين – أحبوا أم كرهوا – أنهم غير أمناء على «النصوص» وليست لها عندهم حرمة. فما وافق هواهم اثبتوه، وما كان ضد هواهم أخفوه. ولا تظن – أيها القارىء – أن صنيعهم فى هذه الآية إنما حملهم على الاختصار والاقتصار على موطن «الشاهد» فهذا الظن مردود من وجهين:

الأول : أن المنهج المتبع فى مثل هذه المواقف أن يضع الكاتب سطرا من النقط هكذا (...) لينبه القارىءعلى أن «هنا» حذفا ليراجعه في مظانه ان شاء. ومؤلف كتاب «الاستحالة» والغرائب ومعاونوه لم يفعلوا شيئا من هذا. ولا نظن أنهم يجهلون..؟!

والوجه الثانى : الآية اشتملت على «فقرات» تفضحهم فى نفس القضية التى يحاولون اظهار براءتهم فيها. ونفس تلك الفقرات هى التى حذفوها فصدر الآية المحذوف فيه ادانة صريحة لليهود بنكرانهم أن القرآن وحى ..؟

واستلوا على هذا القول الضال بأن الله لم ينزل وحيا على أحد من البشر. فكيف يقول محمد[1] اذن أنه رسول موحى إليه .. ؟

فعلم الله رسوله أن يقول لهم: «من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى ..؟! وهو بين أيديهم تجعلونه مجموعات تظهرون بعضها وتخفون بعضها. وهذا هو مدخل التحريف الذى يحاول الكتاب «الاستحالة» نفيه عن اليهود وعن التوراة. فالقوم – بناء على هذا – قصدوا حذف ذلك الحذف قصدا، لأنهم أصحاب مصلحة فيه. فأين هى الأمانة العلمية عند هؤلاء – يا ترى[2].

---

(١) صلى الله عليه وسلم . (٢) ثم تأمل بقية ما حذفوه منها لتزداد يقينا بما نقول.

وإذا كان هذا صنيعهم مع القرآن، وله حفاظه وحراسه. فما بالك بما بين أيديهم من نصوص وكتب هم أصحاب الكلمة فيها ...؟! وصدق الشاعر الذى قال:

ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وان خالها تخفى على الناس تعلم

الشطرة الثانية: وهي خاصة بالزبور المنزل على داود عليه السلام واستدلوا فيها بقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وبقوله تعالى: ﴿ .. **وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا** ﴾ [الإسراء: ٥٥].

الشطرة الثالثة: وهى خاصة بالإنجيل. واستدلوا بالنصوص الآتية (١):

﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ** ﴾ [المائدة: ٤٧].

﴿ **ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ** ﴾ [الحديد: ٢٧].

واستدلوا بالآية الآتية وصدروها بعنوان كالآتى:

- **الإنجيل موحى به للحواريين (التلاميذ الاثنى عشر)**:

أما الآية فهى:

وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ﴿ **قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ** ﴾ [المائدة: ١١١].

وقد أهمل كتاب «الاستحالة» والغرائب عجز الآية الذى بالبنط الأسود كما ورد فى الآية تحريف فوضعوا «للحواريين» بدل «إلى الحواريين» أما سبب إهمال عجز الآية فلا أظنه خافيا على أحد. وأما التحريف فلنكن حسنى الظن فنعزوه إلى «مجرد الإهمال» الخالى من القصد.

ثم أثبتوا بعد هذا عنوانا هو:

- **التلاميذ يبشرون بالإنجيل، ويبلغون به العالم**:

واستدلوا بقول تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ** ﴾ [يس: ١٦ – ١٧].

(١) لن نكرر – هنا – ذكر الآيات التى ناقشناها فى مقال البابا إلا أن أضافوا إليها جديدا لم يقله هو.

كما استدل على تنزيل الكتاب المقدس بعهديه بآيات منها قوله تعالى:

﴿..قل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ..﴾ هذا ما ذكره من الآية. ونحن نذكرها بتمامها وهى:

﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

حذف صدر الآية، لأن فيه تثبيتا للرسول عليه السلام، وأمرا بمخالفة أهواء أهل الكتاب، وبأن يعلن إيمانه بما أنزل من كتاب بحسب ما أنزله الله لا على ما هى عليه من تحريف.

ثم حذف عجز الآية - كما تراه **مخطوطا** - وهو يظهر سمو صاحب الرسالة ﷺ إذ ينهى معهم الجدل بهذا التفويض الهادىء ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

والقوم فى هذه النصوص كلها متمسكون بأن الكتاب المقدس منزل من عند الله بعهديه القديم والجديد: التوراة والإنجيل. ونحن لا خلاف عندنا فى أن كلا منهما موحى به إلى موسى وعيسى عليهما السلام. ولكن إيماننا يختلف عن إيمانهم وفهمنا لكل من التوراة والإنجيل يختلف عن فهم اليهود لتوراتهم، وعن فهم النصارى لعهديهم القديم والجديد، واختلافنا مع النصارى فى هذين معا أكثر عمقا من اختلافنا مع اليهود. وإليك البيان:

فاليهود مقرون بأن التوراة نزلت على موسى من عند الله، ويفهمون أن التوراة هى الكتاب المنزل على موسى من عند الله.

أما النصارى فإنهم لا يؤمنون بأن الإنجيل وحى من عند الله نزل به جبريل عليه السلام على عيسى عبدالله ورسوله. ولا يفهمون - تبعًا لذلك - أن الإنجيل هو الكتاب المنزل من عند الله على عيسى عليه السلام. بل يؤمنون بأن الإنجيل كتاب لم يتلقه عيسى عن وحى، وإنما هو كلامه هو أملاه شفويا على تلاميذه الاثنى عشرة مرة، أو الأربعة كما تختلف وتضطرب آراؤهم فى هذا المجال. وليس هو انجيلا واحدا - كما ينبغى أن يكون - وإنما هو أربعة أناجيل وهى: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

وهذا الكلام ليس من عندياتنا بل هو عقيدتهم المجمع عليها. وما عليك إلا أن تفتح كتاب «استحالة تحريف الكتاب المقدس» فى طبعته الثانية فإنك سوف تجد فى النصف الأسفل من ص ٦٩ ما يلى بالحرف الواحد:

«ولذلك فالإنجيل ليس كما يتصور البعض[١] أنه كتاب أوحى به للسيد المسيح؟ بل هو رسالة أعدها المسيح للعالم، ووعظ بها بفمه الطاهر. فالسيد المسيح لم يأخذ هذه الرسالة مكتوبة، كما أنه لم يكتبها، وإنما عملها شفويا لتلاميذه المختارين، وأرسلهم إلى جهات مختلفة لينشرونها[٢] ويعلمون غيرهم، ولذلك دعوا رسلا، ووعدهم بالروح القدس ليعلمهم كل شيء، وقد أحدث هذا يوم الخمسين فأخذوا يبشرون الجميع بالإنجيل فى كل مكان، ويقدمون لهم رسالة الخلاص بما يلائم عاداتهم ولغاتهم. وحسب ارشاد الروح القدس لهم، فليس معنى هذا وجود أربعة أناجيل — كما يعتقد البعض — إنما هو إنجيل واحد له أربع صور لتكون الشهادة قوية» . . . ؟!

وهنا نقرر ما يأتى :

أولاً : أن الخلاف بيننا وبين اليهود أيسر من خلافنا مع النصارى فى فهم كل منهما لحقيقة كتابه. فنحن نؤمن بالتوراة، كما يؤمن بها اليهود. ولكن إيماننا بها منصبا على التوراة التى أنزلها الله على موسى لا التوراة المحرفة التى هى بين أيديهم.. وفهم اليهود للتوراة لا يختلف عن فهمنا لها ما دمنا مقرين بأنها وحى من الله فى الجملة.

أما اختلافنا مع النصارى فصورته هى الآتية:

هم يؤمنون بإنجيل أو أناجيل غير موحاة من عند الله. بل هى كلام عيسى نفسه أملاه على حوارييه. ونحن لا نؤمن بهذا اطلاقا وإنما نؤمن بالإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام. إننا نؤمن بالفكرة والمبدأ فحسب. وإذا كان هذا هو فهم النصارى للإنجيل فأين هو الإنجيل الموحى به إلى عيسى. لقد أضاعوه — فعلا — بناء على كلامهم هذا. فإيماننا إذن متعلق بذلك الإنجيل الذى أوحى الله به ولا يعلم أين هو إلا الله وحده. أما الإنجيل الذى أملاه عيسى شفويا فلا نؤمن به ولا نعترف به أبداً.

---

(١) المراد بالبعض هنا هم المسلمون.

(٢) فى العبارة خطأ نحوى آثرنا تركه كما هو للأمانة المطلوبة فى النقل، وصحة العبارة بعد التصحيح «لينشروها ويعلموا غيرهم» بحذف النون لأن الفعل منصوب بعد لام التعليل وهو من الأفعال الخمسة.

ثانيا : وكون الإنجيل رسالة شفوية « عيسوية » صرفة أملاها على تلاميذه بلغات مختلفة أو كتبها التلاميذ على هذا الوجه . فمظنة التحريف ما زالت قائمة على أصول ثابتة فعليهم أن يتقبلوا نتيجة ما قرروه بأنفسهم؟

ثالثا : وإذا كان هذا هو فهم النصارى للإنجيل . أنه غير موحى به من عند الله . فعلام أذن استشهادهم بالآيات السابقة والتى تنص على أن الإنجيل منزل من عند الله ودلت على هذا عناوينهم التي قدموا بها الآيات أليس هذا تناقضا عجيبا واضطرابا شنيعًا يقعون فيه فى كتاب واحد، وصفحات متجاورات . أألغوا عقولهم أم توهموا أن عقولنا هى الملغاة؟!

لا يهمنا الأمر كثيرا الغاء عقولهم، أو توهم الغاء عقولنا . وإنما الذى يهمنا النتيجة التى بنيغى المصير إليها وهى أن القوم ليسوا على شيء فليراجعوا أنفسهم أن كانوا يبغون الحق . وأن يتجرعوه وأن كان مرًا مؤلمًا .

رابعًا : انهم أحيانا يقولون أن الإنجيل موحى به إلى عيسى عليه السلام – وقد علمنا أن هذا ينافى عقيدتهم بحسب كلامهم – ثم يعودون فيقولون أن الإنجيل موحى به إلى الحواريين . والموحى هو الله . ويستدلون بآية ﴿ **وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّين** ﴾ وقد علمت أنهم لا يومنون بمبدأ الوحى « الإنجيلى » فعلام إذن هذا التضليل؟!

خامسًا : وفى مسألة إيحاء الإنجيل إلى الحواريين قالوا : « **التلاميذ يبشرون بالإنجيل ويبلغون به العالم** »[1] . وهذه مبالغة ممقوتة ومردودة من وجهين . أحدهما أن الآية التى استولدوا منها هذه الفكرة الخاطئة ليس المراد منها « تلاميذ عيسى » . (بل أن المقصود بها رسل أرسلهم الله اختلف المفسرون فى اسمائهم . ويقوى هذا أن الله اسند رسالة هؤلاء الرسل إليه فقال : ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ * قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ * قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ** ﴾ . [يس : ١٣ – ١٧] .

فهؤلاء الرسل مرسلون من عند الله – كما ترى – من النص، وليسوا هم تلاميذ عيسى . فما أضعف هذا الرأى الذى تمسكوا به . وعلى فرض أنهم تلاميذ عيسى فمدعاهم . وهو تبيلغ العالم بالإنجيل، مردود . لأن أولئك الرسل الثلاثة كانوا مرسلين

---

(١) انظر ص ٦٠ من كتاب الاستحالة .

إلى « قرية » وهى انطاكية على المشهور عند المفسرين. فهل تعتبر القرية مهما اتسعت إنها العالم؟ فما أضيق ذلك العالم المحصور فى « قرية » لقد كان القرآن أمينا حين قال:
﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ فلم يضف على « الواقعة » هالة من الزيف كما فعلوا. أنها « قرية » والقرية تظل محافظة على مفهومها مهما مطها الممطون، الذين يبنون من « الحبة قبة » كما يقال في المثل المعروف وهذا هو الوجه الثانى فى رد هذه المبالغة المدعاة.

وبقيت لنا كلمة قصيرة، ولكنها مهمة فى مسألة الوحى للحواريين. ذلك أن مؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه يحملون الكلمة « أوحى » على معناها الدينى، وهو انزال الوحى من السماء بكلام من عند الله على رسول من رسله. وهذا المعنى مستبعد جدا فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾. فليس الحواريون موحى إليهم بهذا المعنى. وإنما المراد من الوحى هنا هو المعنى اللغوى الذى هو الالهام النفسى غير المصحوب بكلام.

وقد ورد الوحى بهذا المعنى فى القرآن الحكيم مرات: منها مسألة الحواريين هذه. ومنها مسألة أم موسى:

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ .. ﴾ [القصص: ٧].

ومسألة النحل:

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ... ﴾.

ومسألة السموات:

﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا .. ﴾
[فصلت: ١٢].

فليس المراد من « الوحى » فى هذه المواضع هو المعنى « الدينى » بل المعنى « اللغوى » وبهذا يتقرر – أن الآية ليست حجة لمؤلف كتاب « الاستحالة » ومعاونيه.

- **ثوبنا أم ثوبهم ؟**

ثم ينتقلون بعد هذا إلى أن القرآن يلومنا – نحن المسلمين – لأننا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... ﴾ [البقرة: ٨٥].

مع أن هذه الآية حكاية لأهل الكتاب، وما زالت قائمة، إذ آمنوا بما وافق هواهم وكفروا بما عداه. هذا هو خصوص السبب فى هذه الآية الكريمة. فإذا تجاوزناه إلى عموم اللفظ. فليس هذا ثوبنا نحن، لأننا نؤمن بكل ما أنزله الله من كتاب. وغيرنا هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض. وقد كررنا هذه المسألة كثيرا فيما سبق. فما يريدون إذن ؟

أيريدون أن يخلعوا ثوبهم ويلبسوه لنا؟ لا والله . ما هم خالعوه ولا نحن لابسوه وباسعادتهم أن خلعوه. ويا شقاءنا أن لبسناه..؟

ومن المضحك أنهم فى تمسكهم بأن الكتاب المقدس مصون لم يحرف ونحن نود أن لو كان الأمر كذلك – يستلبون نصا من القرآن الكريم وينصبونه شاهدا على صدق مدعاهم. والنص القرآنى الذى استلبوه هو :

﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر : ٩] .

وهذا النص لم يرد به إلا القرآن العظيم، ونحن على رغم ضعف دعوى المدعى نثبت أمام القارىء أدلة يقينية على ما نقول. وإليك سياق الكلام الذى كانت الآية إحدى لآلئه : ﴿ **وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ * لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ * إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ** ﴾ [الحجر : ٦ – ١٠].

هذه الآيات تصور طرفا من الحوار الذى حدث بين مشركى مكة وبين صاحب الدعوة ﷺ. اتهموه بالجنون ، وطلبوا منه أن يريهم الملائكة أن كان صادقًا وكثيراً ما طلب كفار مكة أن يأتيهم الرسول عليه السلام بالملائكة. ثم جاء خطابه من الله مباشرة فى الآية الأخيرة من هذه المجموعة ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ** .. ﴾ أضف إلى هذا مطلع السورة نفسها – سورة الحجر – فقد كان :

﴿ **الَر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ** ﴾ فالحديث كله عن القرآن، والمخاطب هو محمد عليه السلام. فليس المقصود من «الذكر» سواه حيث لم يجر ذكر هنا لا للتوراة ولا للإنجيل ولا للزبور. فعلى أى وجه يرى مؤلف كتاب «الاستحالة» ومعاونوه أن هذه الآية مقصود منها الكتاب المقدس ..؟!

أن مدخلهم إلى « استلاب » هذه الآية هو كلمة « الذكر » لأن القرآن عبر بها عن كل من التوراة والإنجيل والزبور في غير هذا الموضع. لأن كلمة « الذكر » من حيث هي صالحة لإطلاقها على أى كتاب منزل. وتبين قرائن الأحوال أو الأقوال خصوص المراد منها كما في هذه الآية.

ولكن مخرجى كتاب « الاستحالة » تشبثوا بظاهر الكلمة « الذكر » وأحاطوا عنقها بكل قواهم ليقسروها قسرا كريها على مرادهم المدفوع. وهم بلا أدنى نزاع يعلمون أنها ليست لهم.

وقد جاء الذكر مرادًا منه القرآن فى القرآن كثيرا، نكتفى منه بهذه الآيات:

﴿ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ٥٨].

﴿ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ﴾ [الأعراف : ٦٣].

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤].

﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥٠]

إن نصيب القرآن من إطلاقات « الذكر » يفوق بعشرات المرات نصيب ما عداه من الكتب المنزلة. فعلام هذا التجنى وأنتم تعلمون ؟!

وصدق رسول الله ﷺ : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » هذا دليل النقل. فما هو دليل الواقع ؟

الواقع يقول: أن هذا النص لم يرد به إلا القرآن بدليل حفظه من التحريف والتبديل على مر العصور. حتى الآن. وما بعد الآن، وليس المراد به غيره بدليل ما أصابه من تحريف وتبديل واختلاف. هذه هى شهادة الواقع طردا وعكسا. وحين يتعاضد الواقع والنقل على شيء، فليس للأوهام بقاء؟!

- **وشبه أخرى مدفوعة :**

وذكروا قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ﴾ [السجدة : ٢٣].

وزعموا أن المعنى: فلا تكن فى شك من لقاء كتاب موسى. وهذا وهم باطل فقد اطلعت على أقوال مفسرى القرآن الكريم فلم أر منهم واحدا قال بهذا مع كثرة اختلافهم حول مرجع الضمير. فريق منهم يقول من « لقائه » يعنى لقاء موسى يوم

القيامة، أو ليلة المعراج فهل مخرجو كتاب الاستحالة أعلم بأسرار القرآن ومعانيه من أئمة المسلمين وعلمائهم ؟!

ويذكرون قوله تعالى : ﴿ .. لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه .. ﴾ [الأنعام : ١١٥] ويعلقون عليها فيقولون :

« وقد أثبتنا أن الكتاب المقدس هو كلام الله » يعنى : كيف يبدل وهو كلام الله والقرآن يقول : ﴿ .. لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِه .. ﴾ ؟! أى كلمات الله.

هذا ما قالوه . ونقول:

أنكم أثبتم أن الكتاب المقدس، وخاصة عهده الجديد « الإنجيل » ليس وحيا بل هو من كلام عيسى. وعلى هذا فليس للإنجيل فى هذا الاستدلال – على فرض صحته – نصيب. فابن عباس يفسر « كلماته » بأنها مواعيده. ووعده ووعيده. وفسرها قتادة فقال: « الكلمات هى القرآن لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون »(١). وعلى كلا الاحتمالين فلا دليل لهم فى الآية.

وآخر ما نواجهه فى هذا الفرع من شبه « الاستحالة » ما ذكروه فى ص ٦٣ منه فقد ذكروا قوله تعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾(٢) وقالوا بعدها :

« فلو كان الكتاب المقدس قد حرف فكيف يرتضى رسول الإسلام لنفسه أن يسأل قوما حرفوا كتابهم »؟

ونقول: لم يرتض رسول الإسلام فعلا أن يسأل قوما حرفوا كتابهم بل قال: « لا أشك فلا أسأل » هذه واحدة. والثانية:

لم يرد القرآن من خاتم النبيين أن يسأل وإنما هو تعريض بأهل الكتاب بأنهم يعلمون حقيقة أمره، ومع هذا فقد كفروا به، وهذا نوع من الأساليب البلاغية الرفيعة لا يعرفه إلا البيان الرفيع المعجز.

ويقولون فى نفس الموضع: فلو حدث تحريف فى جزء من الكتاب المقدس ألم يكن من الأجدر أن يشير الإسلام إلى ذلك وأن ينبه الناس ويحرم عليهم هذه الأجزاء المحرفة؟

---

(١) تفسير القرطبى (جـ ٧ ص ٧١) .
(٢) سبق توجيه هذه الآية .

ونقول : لا .. ثم لا. فقد أغناهم القرآن بهديه عن كل ما سبق عليه فلم تعد لهم حاجة فى سواه. بل يكفى أن يشير إلى تلك الوقائع للاتعاظ. وللاتعاظ فحسب. لا تذكروا الكتب السوالف قبله جاء الصباح فأطفأ القنديلا .. نعم جاء الصباح.

● **القضية الثانية : قضية الفداء والكفارة ..؟!**

هذه «القضية» مما زاده كتاب «الاستحالة» عما ورد فى مقل البابا من أفكار وقضية أو فكرة الفداء والكفارة فى معتقد النصارى تقوم على التصورات الآتية :

(أ) أن آدم أبا البشر قد سقط سقوطا أدبيا بعصيانه «الله» وأكله من شجرة الخير والشر هو وزوجه حواء فى الجنة. رغم تحذير ربهما لهما. وبهذه المعصية فسدت الطبيعة البشرية كلها. وتعثر النوع البشرى عثرة لم يقل منها. ودخلت الخطيئة - عن طريق آدم - إلى العالم. واستحق الناس بهذه الخطيئة الموت ..؟!

(ب) ورث بنو آدم تلك الخطيئة عن أبيهم، فلم يسلم منهم أحد قط. الجميع زاغوا حتى الأنبياء والمرسلين - قبل وبعد عيسى - نوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وسليمان ونبى الإسلام.

(جـ) حبس الإنسان بين مطلبى العدل والرحمة، وهما مطلبان مختلفان تماما ..؟!

واصبحت البشرية تبحث أو هى فى حاجة لمخلص يفديها ويكفر عنها خطيئتها ..؟!

(د) وفى ملىء الزمان ظهر الله فى الجسد (!) لمحبته الفائقة، وجال يصنع خيرا - يعنون عيسى - ثم مات على الصليب فداء للبشرية، وإتماما لمطلبى العدل والرحمة. ثم قبر - يعنى دفن تحت الأرض - وقام من بين الأموات وصعد إلى السموات ...؟!

هذا هو معتقدهم، وليس لنا سلطان على أحد فيما يعتقد. ولكن حين يتعدى حدوده، ويزعم أن الإسلام يؤيدهم فيما يعتقدون، فإنه لمن حقنا. بل ولمن أقدس واجباتنا أن نتصدى له بكل ما نملك من حق وبرهان لنكشف زيفه وأباطيله وأوهامه التى استمات فى الصاقها بالإسلام. دين الفطرة والعقل وهو منها برىء برىء !!

وقد انتهج مخرجو كتاب الاستحالة فى تعديهم على الإسلام هذا المنهج .

● **عصيان آدم وسقوطه الأدبى :**

وراحوا يذكرون من الآيات ما سجله القرآن الأمين حول هذه الواقعة كما راحوا

يستولدون منها ما شاء لهم هواهم من أوهام وافتراءات ضد الخلق جميعا رسلا وأنبياء وغير الرسل والأنبياء. ونحن نؤمن فى حدود ما ذكره القرآن عن قصة آدم وزوجه حواء. ولكننا نختلف معهم - النصارى - فى كل النتائج التي رتبوها عليها. ونذكر هنا ما لم يجرؤ الخصم على ذكره من نهاية قصة آدم عليه السلام.

لقد عصى آدم ربه - نعم عصاه - ولكن معصيته لم تتجاوزه هو وزوجه شريكته فى المعصية. لم تتجاوزهما إلى أحد من بنيهما لسببين يفحمان كل متجن مختلف.

أحدهما : لأن عدل الله فى خلقه وإثابته المطيع، ومجازاته العاصى، جعل الخطيئة، أى خطيئة هى مسئولية مرتكبها وحده، لا يسأل عنها أحد سواه، ولا يعاقب عليها أحد إلا أياه. ولا تنتقل بالوراثة إلى بنيه الأدنين أو الأبعدين. وهذا هو العدل الإلهى الحق، كما جاء به النقل، وصدقه العقل. وبهذا جاء القرآن صوت الحق المصون، فقال فيما قال :

﴿ **وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ** ﴾ وقال :

﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ** ﴾ وقال :

﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** ﴾ وقال :

﴿ **وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا** ﴾ وقال :

﴿ **مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** ﴾ وقال :

﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ** .. ﴾ ولو شئنا لعددنا هنا عشرات الآيات التى تقرر فى إمتاع واقناع مبدأ العدل الإلهى الحق، الذى تتقبله النفوس وهى راضية، وتسلم به العقول وهى مطمئنة لا يساورها شك، ولا تقلقها أوهام.

وثانى السببين : أن خطيئة آدم وحواء لم تكن ضربة لازب بهما، بحيث يصح القول بتوارثها بين أبنائهما وذرياتهما، فالقرآن الأمين، الذى أكثرتم من ذكره للتدليل على «الادانة» قد أنهى المشكلة، من أساسها. وأنتم تعلمون ذلك جيدا. فلا شك أنكم قرأتم القصة فى جميع نصوصه. ولكن على طريقتكم فى الكتب السماوية. أبرزتم ما وافق الهوى، وأخفيتم ما لم يوافقه. ونحن ذاكرون - هنا - ما أخفيتموه، إحقاقا للحق. ونأسف إذا تسبب ذلك فى إحراجكم. لأننا ما قصدنا الاحراج. وإنما

قصدنا الحق وحده، والحق كالماء يروى ويغرق، وكالنار يضيء ويحرق. تلك هى طبيعته التى ليس لنا حيلة فيها.

● **صوت الحق يعلن البراءة :**

وصوت الحق أعلن البراءة فى خطوتين اثنتين إحداهما تلت الأخرى وانتهى كل شىء من تلك الخطيئة إلى الأبد :

أما الخطوة الأولى فهى تندم آدم وحواء على ما بدر منهما واستغفارهما ربهما مخلصين معترفين له، وله وحده بأنهما قد أساءا إلى أنفسهما وطلبا منه العفو والمغفرة ويسجل صوت الحق هذه الخطوة فى أقصر كلمات وأدلها وأبلغها فيقول حاكيا عن آدم وحواء ما كان منهما :

﴿ **قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [الأعراف : ٢٣] .

وأما الخطوة الثانية : فقد كانت تكرما من الله الغنى الحميد على آدم وزوجه واستجابة لندائهما إياه الذى تقدم فى الخطوة الأولى. وفى هذه الخطوة يقول صوت الحق :

﴿ **فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ [البقرة : ٣٧]

لقد تاب الله على آدم وأثبت نص البراءة فى كتاب خالد يُقرأ صباح مساء حتى تقوم الساعة. فأين هى الخطيئة الموروثة إذن ؟!

وإذا انتفت الخطيئة الموروثة فما هى حاجة البشر إلى الفداء ؟! وعلام يقحمون القرآن بين حيلها وهو من كل ذلك برىء ..؟!

ويقول مخرجو كتاب « الاستحالة » :

الإسلام يشهد لقضية الفداء ..؟ (سبحان الله ..؟ .. وكيف ..؟!)

إنهم يذكرون قصة الذبيح إسماعيل ولد إبراهيم شيخ الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه. وعندما يتوصلون إلى قوله تعالى ﴿ **وفديناه بذبح عظيم ..** ﴾ فإن لسان حالهم يقول : فداء .. امسك كلمة فداء. ويتطوع لسان مقالهم فيقول ما يأتى بالحرف الواحد :

فمن النصوص والتفاسير – يعنون الإسلامية – نجد الآتى :

١– الإعلان عن مبدأ الفداء .

٢- الإعلان عن كيفية إنابة الفدية عن المفدى بها.
٣- كيفية اعتبار ما تم كأنه تم للمفدى نفسه بالفعل ؟!
٤- إعلان عن طريقة الفداء وهى الذبح. وفى هذا كله اتفاق مع العقيدة المسيحية؟!
٥- الإشارة إلى ما يجب أن تكون عليه الفدية من العظمة والكرامة ..»[1].

هذا ما أردت أن أثبته للقارىء هنا لأسأل هذا السؤال :

ما علاقة فداء إسماعيل بما يؤمنون هم به من فكرة فداء تختلف كل مقوماتها عما ذكروه ؟

أن قصة ذبح إسماعيل اختبار عملى من الله لإبراهيم عليه السلام، وإسماعيل إذ ذاك كان وحيده. فلما هم إبراهيم عليه السلام بذبح ولده. وأطاع الولد جاء الفرج من الله ففدى إسماعيل بذبح عظيم.

وصار نجاح إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام فى تلك «المحنة» مضرب الأمثال فى طاعة المخلوق للخالق، كما صار وفاء إبراهيم بما رآه فى منامه مضرب الأمثال فى الوفاء مهما ثقلت مؤنه وسجل القرآن الأمين هذا الموقف الرائع لإبراهيم عليه السلام فقال: «وإبراهيم الذى وفى».

وصار وفاء إسماعيل بوعده مضرب الأمثال فى هذا المجال وسجله له القرآن الأمين فقال :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا ﴾

[مريم :٥٤].

هذا ما يقره الإسلام فى قصة إبراهيم وابنه، ويقف عند هذا الحد منها فلا يتعداه.

فما علاقة هذه القصة بما تقولونه إذن؟ فالحق، والحق نقول: ليست بينهما علاقة أبداً يا سيادة. المجرد أن القرآن قال «فديناه» تدخلون على الإسلام ما هو منه برىء.. تريثوا يا قوم وآمنوا بما شئتم وأقيموا عليه ما أحببتم من أدلتكم. ودعوا القرآن فإنكم حين تفتحون هذا الباب لا تستطيعون الوقوف أمام حججه وبراهينه القواطع. دعوه .. دعوه .. دعوه .. لو تكرمتم .. ؟!

---

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٤).

ويقول مخرجو كتاب الاستحالة :

● **شهادة الإسلام بأن ربنا يسوع المسيح هو الله ..؟!**

هكذا والله قالوا . وبالضلال ما قالوا : ﴿ **كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا** ﴾ .

ويقدمون بين يدى هذه « الفرية الشنيعة هذا الهراء » :

« مما سبق يتضح أن الإسلام يشهد لسقوط آدم (!) ولقضية الفداء، وأن الفادى الوحيد هو السيد المسيح المعصوم من كل عيب، المنزه عن كل خطأ، والذى له حق الشفاعة » ..؟!

ويتطوع مخرجو الكتاب فيشرحون الخطوات التى « صعدت » المسيح « الاها » وهى :

(أ) الإسلام يشهد بازلية المسيح لأنه كلمته ..؟!

(ب) الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه روح من الله ..؟!

(جـ) الإسلام يشهد للولادة العجيبة للسيد المسيح ..؟!

(د) الإسلام يشهد للقب السيد المسيح الفريد ..؟!

(هـ) الإسلام يشهد للسيد المسيح بعلم الغيب ..؟!

(و) الإسلام يشهد للسيد المسيح بالقدرة على الخلق وإقامة الموتى ..؟!

(ز) الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان ..؟!

هذه هى الخطوات التى استولدوها « إلهية » المسيح عبدالله ورسوله، والقارىء يلحظ أن كل خطوة منها الصقوها بالإسلام، ولو كان الأمر – كذلك – لكنا أولى منهم بهذه العقيدة . ولكن الإسلام دين الفطرة والتوحيد مقامه « الثريا » من هذا الكفر والاشراك الظاهر يحاولون تلطيخ صفاء الإسلام بهما والقارىء يعلم أننا ناقشنا هذه الأوهام فى مواجهتنا لمقال البابا . ولا بأس هنا أن نناقش الجديد فيها وهى :

● مسألة اللقب الفريد .

● مسألة الأزلية المدعاة .

● مسألة الغيب .

● مسألة « الديان » وبعد الفراغ من مناقشتها نسمعهم من براهين الإسلام المتمثلة فى آى القرآن الحكيم ما يبدد كل ظلام . ويدفع كل باطل مهما تراكمت سحبه بعضها فوق بعض .

أولاً – دعوى أزلية [1] المسيح :

إن استخراج الحقائق من النصوص مثل استخراج النتائج من الأرقام تماما فنحن نسلم لمن يقول أن ٣ + ٢ = ٥ ، لأن مجموع الرقمين (٣ ، ٢) هو في الواقع كذلك . ولكننا لا نسلم لمن يقول أن ٣ + ٢ = ٦ أو = ٤ لأنه فى العملية الأولى تجاوز حقيقة الواقع، وفى العملية الثانية قصور عن حقيقة الواقع . وكل من التجاوز والقصور خطأ فى الاستنتاج .

وكذلك النصوص لا تتحمل أكثر من « الوقائع » أو « المعطيات » التى تدل عليها بحكم وضعها أفرادا وتركيبا .

فإذا أخبر مخبر بأن أ هو أبو : ل . وفحصنا الواقع فوجدناه، كما قال، فإننا لن نسلم لمن يزعم أن هذا التركيب بعينه (أ هو أ بو : ل) معناه أن (أ ، هذا هو ابن « ل » لأن للتركيب دلالة باعتبار وضع المفردات فيه على نسق مخصوص وهذا « الزاعم » مهما ألح علينا فى قبول استنتاجه فهو غير مصدق عندنا بناء على ما استقر لدينا من خبرات سابقة عن هذه المفردات باعتبارها مفردات، وباعتبارها موضوعة فى تركيب على هذا النسق المخصوص .

ومخرجو كتاب « الاستحالة » وهم يدعون أزلية المسيح عليه السلام لم يكن لهم دليل لا استيلادها من مفردات وضعت فى تراكيب لغوية . ولتلك المفردات دلالة فى نفسها . ودلالة كلية فى التركيب الذى وضعت فيه . وليس من دلالتها الافرادية ولا التركيبية ما يكون مؤداه النهائى : « أزلية المسيح »؟! فكيف – إذن – استخرج مخرجو كتاب الاستحالة هذه المقولة ..؟! تعالى معى نناقش مقدماتهم التى استولدوها هذه « المقولة » الغريبة .

ذكروا قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ ثم قالوا :

---

(١) الأزلى هو الذى لا بداية له، وهو القديم المطلق، ويقابله : الحادث وهو الذى سبق وجوده عدم . والأبدى هو الذى لا نهاية له . والقدم المطلق والأبد المستمر لا يكون إلا الله سبحانه ، فهو الأول بلا بداية . والآخر بلا نهاية . ولا يشركه فى هذا أحد .

« فالإسلام شهد بما تؤمن به المسيحية، حيث يدعو المسيح بكلمة الله » . ثم قالوا : « حاول بعض المفسرين تأويل هاتين الآيتين ليصبح معنى الكلمة هو اللفظ[1] . وليس هذا هو المعنى الحقيقى ، لأن القرآن سبق وقال فى بشارته زكريا بميلاد يحيى ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٣٩][2] .

ثم قالوا : « فالكلمة الذى هو من الله وصدق به يحيى هو السيد المسيح » .

وقولوا : « الكلمة الذى جاء ذكره فى بشارة زكريا مسمى تعنى ذكر عاقل كائن قائم بذاته[3] . وقد أوضح القرآن ذلك بجلاء فى قوله « بكلمة منه اسمه » ولم يقل : « كلمة منه اسمها » ، لأن الكلمة المقصود منها اللفظ أو النطق تكون مؤنثًا مما يؤكد أن مقصود الكلمة ليس اللفظ أو النطق بل شيئًا قائمًا بذاته » ثم انتهوا من هذا النحت الذى دمت منه أظافرهم إلى هذه المقولة :

« وهذا يؤكد لنا أزلية المسيح، لأنه كلمة الله، وله صفة القدم كبقية صفات الله مثل العلم، الحياة، الكلام » .

ويردفون قائلين « واضح من قول القرآن ﴿ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ أى أن هذا الكلمة كائن قبل أن يلقى إلى مريم » كتاب الاستحالة ص ٩٠ .

فليتأمل معى القارىء أيا كان نوع ثقافته هل فى هاتين الآيتين اللتين استشهدوا بهما ما يؤدى، ولو بأضعف الوجوه، إلى القول بأزلية المسيح أى مساواته لله – سبحانه – فى خصائص الوجود الذى لم يسبق بعدم قط وما علاقة بشارة زكريا بيحيى بهذا الموضوع. وحتي لو كان المعنى أن كلا من يحيى وعيسى عليهما السلام يصدق بعضهما الآخر فى دعوى الرسالة. فهل معنى هذا التصديق أن عيسى كائن أزلى مساو لخالقنا وخالقه فى الوجود؟!

ومخرجو كتاب « الاستحالة » غير راضين بأن يقول مفسرو القرآن المسلمون أن معنى « كلمة الله » هو قوله لعيسى: كن . فكان بلا واسطة لقاح من ذكر ويصرون

---

(١) يقصدو لفظ « كن » من قوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ .
(٢) هذا هو نص الآية صحيحا وهم نقلوها هكذا ﴿ يَا زَكَرِيَّا أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ ؟!
(٣) نقلنا هذه العبارة كما جاءت فى كتاب الاستحالة (ص ٨٩) بما فيها من أخطاء لغوية ونحوية.

على أن معنى الكلمة هنا – هو عيسى بدليل أن الله قال : « اسمه » ولم يقل « اسمها » إلخ.

فلنمض معهم حتى نهاية الشوط، فنقول لهم: سلمنا لكم بأن المقصود منها – فعلا – هو عيسى. فهذا ليس بمحظور عندنا. بل أن من المفسرين من قال به. ومع تسليمنا لكم به فما هو بنافعكم شيئًا فيما تحاولونه من القول بأزلية المسيح ومساواته لله – سبحانه – فى خصائص وجوده.

فاللغة فيها شيء اسمه « المجاز » يا سادة، وهو هنا يسمى « مجازا مرسلا » علاقته السببية. أى تسمية الشيء بسببه. فلما كانت كلمة « كن » سببا فى إيجاد عيسى بلا واسطة « أب » سمى عيسى بها تذكيرا بعظمة قدرة الله. وليس لكم مع هذه التسمية أدنى شبهة فى قولكم بأزلية « عيسى » فما رأيكم في هذا الكلام يا من تنحتون الكلمات بأظافركم لتستولدوها ما ليس له بحاملة. أن فاقد الشيء لا يعطيه أبدا ونسوق لكم قول الشاعر الآتى :

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب فى الماء جذوة نار

ونسألكم هل من يطلب جذوة نار فى أعماق الماء أو حتى على سطحه عاثر على بغيته ..؟ هذا هو مثلكم وما تطلبون ؟

وكفانا وكفاكم هذا وإنا لنأمل أن يهدينا الله وإياكم سبل الهدى والرشاد. وصدقونى أننى أقولها بكل إخلاص.

● **ثانيا : دعوى اللقب الفريد :**

هذه الدعوى تحمل الرقم الرابع فى كتاب الاستحالة بين عداد المؤهلات التى سردوها توصلا إلى القول بأن عيسى (عبدالله ورسوله) هو « الله » تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وذلك أنهم رأوا القرآن يطلق على عيسى عليه السلام أسمين، ووصفين وكنية. فالاسمان هما : عيسى والمسيح. والوصفان هما : كلمة الله، وروح منه والكنية هى : ابن مريم.

وقد بينا فى مواضع متعددة سابقة المراد من « كلمة » « روح » بيانا لا يخرج من وصف بهما عن « مفهوم البشرية والرسالة ». أما عيسي، وابن مريم فلم يتعلق بهما لمخرجى كتاب الاستحالة، أى غرض، ولهذا أهملناهما سيرا على المنهج الذى توخيناه

فى هذه «المواجهة» وهو أن لا نثير قضية أو فكرة لم يثيروها هم فى وثائقهم. أو على حد قول العرب : «يضع الهناء مواضع النقب»[1] ولا نضعه فى الموضع الذي لم تظهر به علة.

أما الذي تظاهروا له فهو كلمة «المسيح» وسموها : لقبا فريدا لعيسى عليه السلام وقالوا فى ذلك :

« ويلاحظ أن النص القرآنى يقول : «اسمه المسيح» ولم يقل يسمونه المسيح مشيرا بذلك إلى تقرير التسمية من الله دون علاقة البشر بها. ولسنا فى حاجة – هذا كلامهم – إلى القول بأن اللقب انفرد به السيد المسيح وحده فى القرآن دون بقية الأنبياء، مما يدل على امتياز السيد المسيح الخاص، واعتراف الإسلام له بهذا الامتياز، ويدل – أيضًا – على أن العمل الذى قام به هو عمل فريد يفوق أعمال الأنبياء والرسل بأسرهم. وأنه يرتفع عن طبقة البشر أجمعين. وليس هناك إلا كائن واحد لا سواه يسمو على الجميع. ألا وهو «الله» الذى هو يسوع المسيح له المجد» أ – هـ كتاب «الاستحالة» والغرائب (ص ٩٢).

● **عزيزى القارئ :**

أرجوك أن تقف وقفة قصيرة أمام هذا الكلام. ثم اسأل نفسك كم عملية توليد تمت فيه ؟

فإذا لم يكن لديك فراغ فاسمعنى إذن، ثم قارن ما أقوله بما قالوه، وستجد نفسك تقول : صحيح والله.

ونحلل المسألة كأنها معادلة من معادلات الرياضة فنقول :

الغرض : عيسى – عليه السلام – له لقب فريد فى القرآن.

البرهان : اسم المسيح عيسى بن مريم. الله هو الذى سماه وليس البشر. وهذا امتياز اعترف به الإسلام له، وهو امتياز يدل على تفوقه فى أعماله على جميع الأنبياء والمرسلين، بل يسمو فوق البشر جميعا. وليس هناك من يسمو على البشر إلا واحد هو الله.

المطلوب : ربنا يسوع المسيح هو الله ..؟!

أليس – كذلك – أخى القارىء. حمانا الله وإياك من الردى .. فأول خطوة فى

---

(١) الهناء بكسر الهاء : داوء يداوى به الجرب الذى يصيب الإبل. والنقب : هى مواضع ظهور الجرب فى الجلد. وهو مثل عربى قديم.

هذا السلم هو « اللقب الفريد » تولد عنه امتياز فى الصفات وتولد عنها امتياز فى الأعمال، وتولد عنه تفوق على الأنبياء والمرسلين، وتولد عنه تفوق على البشر كلهم ثم .. كان التولد الكبير فاصبح عيسى هو الله ...؟!

أهذا منهج علمى استدلالى يقنع من له ذرة من عقل. أم هو اعتساف لا حساب فيه لعقل ولا لضمير ؟

● **عنزة ولو طارت ؟!**

قرأت فى عهد قريب من الطفولة قصة فى كتاب لا اذكر - الآن - عنوانه ولا موضوعه ومؤدى القصة أن صديقين كانا يتجولان فى أحد الحقول، وكان أحدهما إذا رأى رأيا لا يرجع عنه ولو قامت عشرات الأدلة على بطلانه، وبينما هما يسيران أبصرا من بعيد سوادا فى ناحية من الحقل. فقال أحدهما أنه صقر. وقال الثانى: أنها عنزة. ولم يلتقيا على رأى. فلما اقتربا من « السواد » أبصرهما فطار فى الفضاء ناجيا بنفسه. فقال من قال: أنه صقر لصاحبه. ألم أقل لك إنه صقر؟! قال صاحبه: لا. بل هى عنزة؟ قال له صاحبه ألم تر أنه طار فى الفضاء هل العنزة تطير. قال: نعم (!) عنزة ولو طارت ؟! ولكى أكون صادقا فى إحساسى وأنا أتأمل فى غرابة الاستدلال الذى سلكه مخرجو كتاب الاستحالة - هنا - فإنى تذكرت هذه القصة. ولم اتردد فى إثباتها كما ترى. فبين الموقفين نسب وصلة ..؟

● **وهل انفرد عيسى به فعلا ؟**

وبعد هذا كله. هل انفرد عيسى عليه السلام بما يقولون من تسمية الله له. أم أن الله سمى « غيره » كما سماه ..؟

وقبل أن نجيب على هذا نقول:

أن انفراد عيسى عليه السلام بـ « المسيح » مع تسليمنا بهذا لا يفهم منه أبدا أن له طبيعة غير طبيعة « البشرية » وهذه التسمية « المسيح » لها نصيب من يمن النبوة والرسالة لا ينكره إلا مكابر، وحاش أن نبخس نبيا ما له من الفضل والكرامة. وبعض الأنبياء تدل أسماؤهم على مناقب دلالة مباشرة. فإبراهيم مثلا، اسمه مكون من كلمتين هكذا: آب - راهام ومعناهما بعد : أبو الجمهور. لأن آب هى « آف بالعبرية بمعنى « آب » وراهام معناها الجمهورية بالعبرية أيضًا. وأبوة الجمهور منقبة عالية لا تنكر ولا يستهان بها.

أما أن الله قد سمي « المسيح » ولم يسمه البشر. فهذا لم ينفرد به عيسى عليه السلام فخاتم الأنبياء عليه السلام قد سماه الله – كذلك – وجاء هذا على لسان عيسى عليه السلام وهو يبشر به بني إسرائيل كما حكى عنه القرآن الأمين ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ فمن أخبر عيسى باسم خاتم الأنبياء قبل أن يوجد إلا الله عن طريق الوحي. هذه واحدة.

وقد أخرج البخارى في صحيحه عن عطاء بن يسار – والبخارى ممن قد استشهدتم بروايته – قال : لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما. فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله ﷺ فى التوراة فقال: والله أنه لموصوف فى التوراة ببعض فى صفته فى القرآن « **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدى ورسولى ، سميتك المتوكل** ... » وشاهدنا فيه أن الله « سماه المتوكل » كما سماه « أحمد على لسان عيسى عليه السلام ».

هذه واحدة . والثانية :

فإن القرآن الكريم قد تحدث عن يحيي عليه السلام فاضفى عليه فى هذا المجال « مجال التسمية » ما لم يضفه لا على عيسى، ولا على محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه.

فقد اشترك يحيى مع عيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم فى أن الله قد سماه كما سماهما . فقال سبحانه :

﴿ **يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ** ... ﴾ وهذا النص الكريم مساو تماما لقوله تعالى فى شأن عيسى عليه السلام : ﴿ **اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﴾ فما يقال عن هذا يقال عن ذاك سواء بسواء .

ثم انفرد يحيي عليه السلام، عنهما صلى الله عليهما وسلم بقوله تعالى فى شأنه : ﴿ **لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا** ﴾ ولم تأت هذه « الشهادة » فى القرآن لنبى غير يحيي عليه السلام.

فهل يقال – بعد هذا – أن عيسى عليه السلام انفرد بأن الله سماه ولم يسمه البشر. وإذا ثبت أن شأن يحيى فى هذه المسألة كشأن عيسى، حتى مع طرح زيادته – أى يحيى – عليه – أى عيسى – عليهما السلام. أفليس من الإنصاف أن يعاملا معاملة واحدة. ما دامت هذه التسمية من الله لهما قد ثبتت بدرجة واحدة. فلماذا

نخلق من حبتها قبة في جانب أحدهما. ونهدم في الوقت نفسه « قبة » الثاني. ويكفينا من هذا أن نقرر بما لا يدع مجالا للشك أن مخرجي كتاب « الاستحالة » لم يكونوا منهجيين في استدلالهم. وما هذا بالشيء الهين . . ؟!

● **ثالثا : مسألة علم الغيب :**

وعمدة مخرجي كتاب « الاستحالة » في هذه المسالة ما جاء في قوله تعالى :

﴿ **وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾

ونحن معهم مؤمنون بأن عيسى عليه السلام كان كذلك، ولكن إنما فعل ما فعل بإذن الله ولم يفعله من عنده. فهي معجزة أيده الله بها كما أيد كل رسله وأنبيائه بما عليه آمن البشر.

وليست منقبة أو معجزة الإطلاع على الغيب خاصة بعيسى عليه السلام. لإن القرآن الذي استشهدوا به في أثباتها لعيسى عليه السلام يقر أن الله سبحانه وتعالى يطلع بعض رسله على شيء من الغيب تأييدا لهم وتثبيتا للمؤمنين، والزاما بالحجة للصادين عن دعوة الحق.

فقد جاء فيه قوله تعالى : ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [الجن : ٢٦ – ٢٧] بل أن القرآن ليذهب أبعد من هذا، ويبين أن الجن كانت قبل الإسلام تسترق السمع من السماء، ولهذا فشا الاشتغال بالكهانة. فلما جاء الإسلام لم تستطع الجن استراق السمع ولا الاطلاع على الغيب. وفي هذا جاء **قوله تعالى** : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ [1] [الجن : ٨–٩] . وأمام هذا الوضع الجديد اضطربت الجن حين حيل بينها وبين الاطلاع علي الغيوب ولم يعلموا له سرا. وحكى عنهم القرآن الأمين قولهم في هذا ﴿ **وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا** ﴾ [الجن : ١٠] ومبعث عيسى عليه السلام كان قبل مبعث محمد ﷺ بأكثر من ستمائة عام : فلنتأمل . . ؟!

---

(١) ومازالت الشهب حتى الآن تتقاذف في الفضاء لرجم الشيطان كما أخبر بذلك القرآن. وأهل الريف يشاهدون ذلك كثيرا.

● **رابعًا : دعوى أن اليسوع عيسى هو الديان [١] ؟!!**

أن قوما يدعون أن إنسانا ما هو « الله » (!) ، ليس بغريب عندهم أن يصفوه بعد ذلك بما يشاءون من الأوصاف التى لم يصف بها « الموحدون » إلا الله الواحد القهار، الذى ليس كمثله شيء. وعلى هذا فلن ندهش عندما يقول مخرجو كتاب « الاستحالة » والغرائب أن اليسوع عيسى هو « الديان »؟! . فلهم أن يقولوا ما شاءوا وأن يعتقدوه. وكل إناء بالذى فيه يتضح كما يقول الشاعر ولكن ليس لهم أن يلصقوا أقوالهم وعقائدهم بمن هم يخالفونهم فى تلك الأقوال والعقائد مخالفة عميقة الغور، وهم – فى نفس الوقت – يملكون عشرات الأدلة بل مئاتها من النقل الموثق، والعقل المستنير، والالهام الفطرى يردون بها تلك « العقيدة » الملصقة، ويبرهنون على بطلانها كيفما يصورها دعاتها.

أن مخرجى كتاب « الاستحالة » والغرائب يقولون – ويا لشناعة ما يقولون–.

● **«إن الإسلام يشهد للسيد المسيح بأنه الديان» ؟!**

هذه الفرية التى سولت لهم أوهامهم أن يخطوها بأيديهم إذا رحت تبحث عن صلة الإسلام بها – عندهم طبعا – تجدها عبارة مقتطعة من حديث شريف لا تزيد كلماتها على عشر كلمات. وإليك نصها مع مدخلها :

« روى البخارى فى الجزء الثالث ص ١٠٧ (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا) ».

وكأنى بمخرجى كتاب « الاستحالة » والغرائب يلغون عقولهم، وعقول من توقعوه قارئا لكتابهم. فيعلقون على هذه الفقرة المقتضبة ويقولون بالحرف الواحد ونثبت كلامهم بما فيه من أخطاء :

« وفى هذا دليلا كافيا على أن السيد المسيح فى مجيئه الثانى سيكون ديانا عادلا »[٢] ثم يقولون بعد هذا :

« وهذا هو إيماننا المسيحى كما جاء بالإنجيل المقدس « لأن الآب لا يدين أحدا، بل قد أعطى كل الدينونة للابن »[٣]. ويردفونه بقولهم حكاية عن عيسى : « وهأنا آتى سريعا ومعى أجرتى لأجازى كل واحد كما يكون عمله ».

---

(١) الديان هو الله وحده، لأنه يثيب الطائع ويعاقب العاصى ..؟!

(٢) انظر ص ٩٣ من كتاب « الاستحالة » .

(٣) يعنون : ان الآب « أى الله » قد تنازل للابن « يعنى عيسى » عن كل ما له من سلطات إلآهية (؟!) .

وإذا كانت هذه «الدعوى» من الشناعة بحيث لا يصدقها عقل فإن لنا وقفتين عندها، **واحدة** مع النص الإسلامى الذى حرفوه فى اللفظ والمعنى: أما فى اللفظ فبالحذف. وأما فى المعنى فبتحميل العبارة ما ليس فيها وأما الوقفة الثانية فمع النص الإنجيلى بشقيه:

- **وقفتنا مع النص الإسلامى:**

فى القرآن الكريم آية تقول: ﴿ **لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** ﴾.

ومعناها: أن الإسلام كان يمنع من أداء الصلاة ما دام المرء فى حالة سكر، وهذا كان قبل تحريم الإسلام الخمر تحريما كليا قاطعا. ولكن بعض «المتحذلقين» يوردون الآية هكذا - أحيانا -: ﴿ **ولا تقربوا الصلاة** ﴾. ؟! ليتخذوا منها دليلا على تحريم الصلاة نفسها. وذلك لأنهم حذفوا من الآية جزءا هو الذى ينصب عليه النهى.

وعلى هذا المنوال، من الحذلقة والجدل العقيم، سار مخرجو كتاب الاستحالة. فحذفوا من النص ما هو ضدهم، وأثبتوا الجزء الذى تراه ثم ولدوا منه معنى غريبا عنه كل الغرابة. لأن نزول المسيح عليه السلام، كما جاء فى كل الآثار، إنما هو آمر وناه على شريعة خاتم النبيين، وليس له دور أكثر من هذا فلا هو رسول جديد بشرع جديد، ولا هو ديان ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا. وأقرأ معى ما ثبت فى صحيح مسلم وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

«قال رسول الله ﷺ لينزلن عيسى ابن مريم حكما عادلا، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية»..

فعدالة عيسى عليه السلام تكون باقرار شريعة خاتم الرسل، فيبدأ بتحطيم الصليب ثم قتل الخنزير ثم وضع الجزية على كل من يأبى الأذعان للدين الحق الذى هو الإسلام. وقد جاء فى بعض الروايات: «وليقتلن النصارى إلا من آمن به» يعنى على الوجه الحق عن كونه عبدالله ورسوله.

هذا هو القول الحق. ولكن «الاستحاليين» أساءوا إلى النص الإسلامى من جهتين كما ترى: حذفوا منه ما يبطل ما هم عليه. وهذا تحريف فى اللفظ ثم حملوا العبارة غير ما تعنيه. وهذا تحريف فى المعنى..!

● **ووقفتنا مع النص الإنجيلي :**

رأيت – عزيزى القارىء – أنهم فى النص الإنجيلى بشقيه قد نقلوا عن المسيح نفسه – حسبما هو لديهم من الإنجيل – أنه هو نفسه الديان، وأن أباه – حاشا لله – قد تنازل له عن هذه السلطة ليفصل هو بين الناس فيثيب الطائعين، ويعاقب العصاة، لأنه سيجئ وأجرته معه (!).

وليس لنا هنا كلام طويل معهم، ولكننا نثبت أمام القارىء نصا إنجيليا آخر من إنجيل يوحنا الذى نقلوا عنه النص الأول الاصحاح الخامس فقرة (٢٢) كما اثبتوها هم والنص الآخر الذى سننقله نحن ليوحنا، يناقض تماما ما قرروه هم من هذه الدعوى « المثارة هنا » وفيه يقول يوحنا هم هذا :

« وأن سمع أحد » كلامى ولم يؤمن، فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم » إنجيل يوحنا الاصحاح الثانى عشر (٤٨) فهنا يقرر المسيح أنه لم يأت ليدين العالم، بل ليخلص العالم من « الادانة » فكيف ساغ ليوحنا – أذن – أن ينقل عن المسيح قولين متناقضين، أحدهما صاعد والآخر نازل ؟

وكيف ساغ لمخرجى كتاب الاستحالة أن يؤمنوا ببعض الكتاب الذى لديهم ويكفروا ببعضه؟ هل اطمأنوا إلى أن أحدا لم يقرأ لهم كما قرأوا هم القرآن ورضوا منه مارضوا، وسخطوا على ما سخطوا.

وبعد هذا كله. هل لكتاب الاستحالة نصيب من الاحترام والتقدير عند من لهم أدنى المام بالبحث العلمى المجرد والفهم النزيه ...؟!

● **خامساً : دعوى أوحدية المسيح فى الشفاعة ..!!**

إننا لا نختلف مع أصحاب كتاب الاستحالة فى جواز الشفاعة للسيد المسيح. لأن الشفاعة – كما تقدم – تكون لكل مؤمن صالح. فما بالك بالأنبياء والمرسلين ولكن شتان ما بين شفاعة وشفاعة.

ولكن الذى نختلف معهم فيه أمور حول تلك الشفاعة. منها طريقة الاستدلال عليها من النصوص الإسلامية، ومنها كيفيتها التى صوروها بها. ثم ما بنوه على هذه الشفاعة من محال.

فقد عمدوا إلى أقوال بعض المفسرين حول قوله تعالى فى وصف عيسى ﴿ **وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ** ﴾ حيث فسر بعضهم وجاهته فى الآخرة بالشفاعة فى قومه

من به منهم – في حينه – من أنه عبدالله ورسوله. عمدوا إلى ذلك القول فبنوا عليه هذه المقولة :

« وبعد أن تأكد لنا أن السيد المسيح هو شفيع البشر. فهذا دليل جديد على صدق عقيدة الفداء والكفارة ».

« ... وحيث أن الإسلام قد خص السيد المسيح وحده (!!؟) بالشفاعة دون سواه مع أنها حق من حقوق الله كما جاء في سورة السجدة ﴿ **مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ** ﴾ وجاء في سورة الزمر ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ** ﴾ ثم قالوا : « لذلك نجد أن السيد المسيح وحده هو الذى يستطيع أن يوفي ذبيحته مطلبى العدل والرحمة »[1] وان سألتهم كيف توصلتم إلى تقرير هذا قالوا لك : « ألم يقل القرآن » « قل لله الشفاعة جميعا » أى لله وحده. والله هو المسيح، والمسيح هو الله. وهو المطلوب ..؟!

أما الأنبياء الآخرون فلا شفاعة لهم لأنهم ليسوا « الله » بهذا المنطق الغريب والاستخفاف بقيم العقل واللغة، والاستخفاف بالله – نفسه – يتوصل مخرجو الاستحالة إلى هذه المقولة المرفوضة بكل مقياس، وبلا أى مقياس. ثم يقولون ويا لكفر ما يقولون :

« فمن يكون السيد المسيح الذى شهد له الإسلام بانه يحيى الموتى ؟ «**أليس هو الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى الذى أنشأها أول مرة**»[2].

سبحانك ربي . سبحانك. فأنت القائل وقولك الحق الذى لا يزول ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة : ٧٢].

وأنت القائل :

﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة : ١٧] يا قوم

(١) كتاب الاستحالة (ص ٧٧) .
(٢) نفس المرجع (ص ٩٣) .

كفى هذيانا وسفسطة وفيقوا لأنفسكم، واطلبوا الحق من مصادره فإن اردتموه مخلصين تهتدوا.

ولو أنكم راجعتم أنفسكم – بصراحة لكنتم أول الغاضبين عليه. إنكم تقولون أن عيسى هو الله الأزلي الحي القيوم الذى أنشأ العظام أول مرة. فأين كان حين خلق آدم وجميع الأمم التى عرفت الوجود قبله. ومن أنشأ أمه الذى استقر في رحمها تسعة أشهر، ومن ؟ ومن ؟

هل تجيزون أن المعلول يتقدم على علته، والمسبب على سببه؟! أن قلتم نعم عرفنا من أنتم . ثم سألناكم :

لماذا لم يتقدم وجود النهار على شروق الشمس؟ والليل على غروبها. والحرارة قبل إشعال النار، وسماع الصوت قبل النطق به ومئات الأمثلة من ذلك؟! بل ونسألكم لماذا أتبعتم على غلاف كتابكم هذا الترتيب «وهيب عزيز خليل؟ أليس لأن خليلا أبو عزيز، وعزيزا أبو وهيب. فخليل وجد قبل عزيز وعزيز وجد قبل خليل لعلاقة تقدم العلة على المعلول، والسبب على مسببه. فلماذا – إذن – لم يتقدم وهيب على عزيز مع احتفاظ وهيب ببنوته لعزيز، ولماذا لم يتقدم عزيز على خليل مع احتفاظ عزيز أيضا ببنوته لخليل وأنتم اعتقدتم أن عيسى هو «الله» فكيف اتسع رحم مريم لعظمة الله، وهل ترضون «لله» أن يمكث فى هذا المكان بين الأخلاط والقاذورات تسعة أشهر ثم يبدأ حياته طفلا. ومن كان على عرش الله حين كان هو فى بطن مريم. وكيف تسول لكم أنفسكم أن «الله» تصلبه اليهود ويموت وهو مكتوف الأيدى معصوب العينين لو كان «الله» تعالى عما تقولون علوا كبيرا – كما تصورونه لأنفسكم وللناس لانصرفنا عنه ولعبدنا اليهود مكانه لأنهم – علي حسب ما تقولون – أقوى منه وأعظم..؟!

وأنتم تقولون أنه جاء ليفدى بنفسه البشرية. أجل. فلماذا كان يختبئ من اليهود وهم يحاولون القبض عليه. ولماذا يضطرب وهو فى قبضة عدوه . هل الله يخاف. ولماذا طلب من الآب – كما تقولون فى إنجيل يوحناكم – أن ينجيه من تلك الساعة. وإذا كان هو «الله» أوحتى «ابن الله» فلماذا لم ينجه من الصلب؟! أن إلاها يفرط فى دم ابنه ووحيده لغير قادر، ولغير مؤتمن على حماية الآخرين الذين هم غير أبنائه «الناس الغرباء»..؟!

ولنغض الطرف عن كل ما تقدم. فها هو ذا المسيح قد صلب – كما تزعمون – فلماذا لا نبرأ من كل خطايانا التى جاء ليخلصنا منها. علام الحساب إذن؟ وعلام ينزل

آخر الزمان ليكون هو « الديان » ومعه آجرته يعطى كل واحد حسب عمله. يثيب الطائع، ويعاقب العاصى. علام هذا كله ما دام هو قد أوفى بذبيحته مطلبى العدل والرحمة كما تقولون؟! أم أن دم ابن الأب ووحيده قد ذهب هدرا ؟! يا خسارة ..؟!

ونكرر إليكم – اختصارا لهذه الجولة التى لن نقف لو أرخينا العنان نسألكم عن غرائبكم – نكرر إليكم ما سمعه أسلافكم ولم يجيبوا عليه حتى الآن وما بعد الآن :

عباد المسيح لنا عندكم
سؤال عجيب فهل من جواب ؟!
إذا كان عيسى على زعمكم
إلاها قويا عزيزا يهاب ؟!
فكيف اعتقدتم بأن اليهود
أذاقوه بالصلب مر العذاب ؟!
وكيف اعتقدتم بأن الاله
يموت ويدفن تحت التراب ؟!

سؤال عجيب فهل من جواب
هل من جواب
من جواب
جواب ؟

القرآن : المسيح لم يصلب، وإنما شبه لهم.
الاستحالة : لا .. صلبوه ؟! صلبوه « فعلا » ؟!

يقرر القرآن الأمين، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه القول الفصل فى عداء اليهود لنبى الله ورسوله عيسى عليه السلام، وأنهم حينما ضاقوا به أجمعوا على صلبه والخلاص منه، وأعدوا لكل شيء عدته. ولكن كيف يتسلمونه، وهو – باعتراف الإنجيل – كان يتخفى منهم بين تلاميذه، وفى أماكن مختلفة؟

وإنجيل يوحنا يؤكد فى أكثر من موضع بأن أحد تلاميذه، وهو يهوذ اسمعان الاسخريوطى كان يضمر الشر لأستاذه (عيسى عليه السلام) وأن عيسى نفسه كان يدرك أن يهوذا هذا، سوف يسلمه لأعدائه. وكان عيسي، كما جاء فى إنجيل يوحنا يسمى يهوذا : الشيطان. ويلوح لتلاميذه بهذا. وإلى هنا تقف نصوص الأناجيل.

تكتفى بأن يهوذا شيطان، وأنه سلم المسيح لأعدائه. ثم صلب المسيح بين اثنين، ودفن فى القبر، ثم قام فى اليوم الثالث من بين الأموات. وتراءى لأمه وتلاميذه ومحبيه، وأخبرهم أنه صاعد إلى السماء. بعد أن مجد الأب ابن الإنسان ..؟!

والقرآن على منهجه فى تقرير « جوهر » الحقائق فيما لا يحتاج إلى تفصيل قد حسم مادة الخلاف فى : هل صلب اليهود عيسى عليه السلام أم لم يصلبوه؟ فيقرر أنهم لم يصلبوه، وليس فى هذا تبرئة منه لليهود. بل أن الله - سبحانه - حين هموا بصلب رسوله عيسى من غير ذنب جناه أوقع شبهه - شبه عيسى - على تلميذه الخائن الذى مكن اليهود منه. فصلبوا ذلك التلميذ ظانين، أو معتقدين أنه عيسى ونجاه الله - نجى عيسى - من كيدهم، واختفى عيسى بعد ذلك من الوجود لأن الله رفعه إليه، حيا أو بعد أن توفاه لم يبين القرآن هذه النهاية بالتفصيل، وكل قول فيها فهو احتمال لا يقين فيه. هذه هى عقيدة المسلم، يستقيها من أوثق مصادر الوحى وهو القرآن الأمين إذ جاء فيه قوله تعالى:

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء :١٥٧ - ١٥٨]. ولكن من هو الذى وقع عليه الشبه يهوذا أم غيره. علم ذلك عند الله. هذا هو الحق الذى يقرره القرآن الحكيم فى نهاية عيسى عليه السلام، ولكن أنظر إلى « أمناء الإنجيل » كيف يقفون عند هذا النص المحكم على طريقتهم فى أمانة النصوص الموحى بها :

« أن القول بأن المصلوب هو يهوذا الاسخريوطى أو شخص آخر لهو فى الحقيقة تجديف - يعنى سيرا ضد الاتجاه الطبيعى - صريح على الله القدوس الذى تحدث عنه الكتاب المقدس (!) وأيضًا القرآن بكل جلال وهيبة، لأن معنى ذلك أن الله خدع البشر بأن غير من شكل يهوذا إلى شكل السيد المسيح المبارك. وبذلك تسبب فى ضلال ملايين البشر. وحاشا لله العظيم القدوس من هذا الكذب والادعاء - يعنى ما يقرره القرآن الحكيم فى الآيتين السابقتين - فهو صادق أبدا بل هو أصدق الصادقين » كتاب « الاستحالة » والغرائب ص ٨٣ .

أن الذى قاله القرآن - عند أمناء الإنجيل - كذب وادعاء ؟! هكذا والله يتطاولون فى غير مسكة من ضمير أو عقل.

ويمضون فى ترهاتهم وأراجيفهم وكأنهم أحسوا بالحرج أمام من يقرأ كلامهم هذا. فراحوا يمهدون له بما يترفع عنه صبية المكاتب. فيقولون: أما عن النص الوارد فى سورة النساء ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ ... فإن هذه الكلمات التى يراها البعض ضد الإيمان المسيحى بالصلب هى فى الواقع دليل على الصلب (!؟) ولكنها تكذيب لليهود فى قولهم « أنا قتلنا المسيح » لأن اليهود لم يقتلوه ولم يصلبوه ... فالرومان هم الذين نفذوا الحكم بصلب السيد المسيح ... ولما كان اليهود هم أصحاب الشكاية ضده خول لهم بأنهم قتلوا المسيح وصلبوه » الاستحالة (ص ٨١) ...؟؟!

تأمل هذا التجنى الشنيع على نص واضح الدلالة على المراد منه. ولكن أمناء الإنجيل أبوا إلا أن يتأولوه هذا التأويل. وكلامهم كان يكون له وجه لو كانت القضية هذا: « من قتل المسيح وصلبه ؟؟ فيكون الاستفهام عن الفاعل بعد الاقرار بوقوع الفعل؟

وليست القضية كذلك. ولكن القضية هى: « هل قتل المسيح وصلب؟ وهى استفهام عن أصل الفعل وقع أم لم يقع. فإذا كان الجواب بعد ذلك ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ** ﴾ كان نفيا لوقوع الفعل أصلا حالة كونه واقعا على مفعوله، وهو المسيح عليه السلام؟

القرآن ينفى وقوع القتل والصلب أساسا، وهذه هى القضية، وليست كما يصورها أمناء الإنجيل قضية فرعية. إذن فلا وزن أبدا لما أرادوا أن يطمسوا به الحقيقة التى هى معتقد المؤمنين الخلصاء.

ومن حق القارئ علينا أن نقول: انهم ذكروا بجوار هذا أن يهوذا الاسخريوطى الذى يقال انه وقع عليه شبه المسيح فقتل وصلب كان موجودا ساعة قبض اليهود على المسيح وقام يهوذا بتقبيل المسيح مع بقية تلاميذه وبنوا على هذا – يعنى أمناء الإنجيل: كيف يقال إذن أن يهوذا هو الذى قتل وصلب ؟!

ونجيب : لا يهمنا – يا سادة – أن يكون الذى وقع عليه شبه المسيح هو يهوذا أو غيره فقولوا ما شئتم. هذه واحدة. والثانية: أنكم تنقلون هذا عن إنجيلكم ونحن لا نثق فى هذا الإنجيل، تلك هى عقيدتنا كما أنكم لا تثقون فى القرآن وترمونه بالكذب والادعاء. وتلك عقيدتكم. فليتحمل كل منا تبعة عقيدته أمام الديان الحق، الله فاطر السموات والأرض وخالق كل شىء ومولاه. رب هارون وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين.

﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

- **سادساً : دعوى القرآن يبطل بعضه بعضا ..؟!**

تحدث البابا فى مقاله المتقدم فقال : أن القرآن لم ينسخ التوراة ولا الإنجيل .

وقد وجهنا هناك هذه الفكرة بما لا يدع مجالا للريب . أما كتاب الاستحالة فقد عاد يكرر ما قاله البابا شنودة هناك، وذكر ما لم يذكره. لأن كتاب الاستحالة لم يقتصر على نفى « النسخ » عن التوراة والإنجيل. بل صعد الدفاع إلى هجوم سافر فقال بعد حديثه عن استحالة نسخ القرآن للكتاب المقدس :

« وهذا خطأ يظلمون به انفسهم، والقرآن أيضاً (!) حيث أنه لم ترد فى القرآن أى إشارة إلى نسخه الكتاب المقدس، لأن النسخ المذكور فى القرآن خاص بالقرآن نفسه، أى أن بعض آيات القرآن **تبطل بعضها البعض** » .. (ص ٩٦) .

ثم يقول :

« فالنسخ فى القرآن لا علاقة له بالكتاب المقدس، كما صرح بذلك أكبر علماء الإسلام كالإمام الأسيوطى الذى قال : « أن النسخ مما اختص به الله هذه الأمة » أى الأمة الإسلامية » (ص ٩٧) .

ثم أخذ يعدد بعض الآيات التى اقتضت حكمة التشريع الإسلامى أن يضمنها احكاما جديدة ليرفع بها حكما أو احكاما سابقة وردت فيها نصوص قرآنية . وبعد هذا يقول :

« وعلى ذلك فالنسخ خاص بالقرآن، وقد جاء النسخ فى ٢٥٠ نصا منه، وليس له شأن بالكتاب المقدس. كما قال السيد المسيح له المجد » :

« فإنى الحق والحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحدا أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » ص ٩٨ .

أن جانب الهجوم فى كتاب « الاستحالة » هو الجديد فى هذه النقطة. ولهذا سنقصر الحديث عليه اكتفاء بما قدمناه فى مواجهة مقال البابا.

ولست فى حاجة إلى أن أذكر القارئ إلى أن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد خصصوا النسخ الوارد فى القرآن الحكيم **بالإبطال**. وهو تخصيص له هدف عناهم، علما بأن النسخ فى اللغة له عدة معان. منها النقل والتحويل، ومنها الإزالة ومنها الإبطال والنقض.

ولكنهم غضوا أبصارهم عن النقل والتحويل، والازالة، وتمسكوا بالمعنى الثالث وهو الابطال والنقض. وهذا لديهم مطلوب ما دام المتحدث عنه هو القرآن . . .؟!(١)

وصنيعهم هذا يذكرنا بقول ابن الرومى وهو يتحدث عن المزاج النفسى فى الحكم على الشيء بأحكام مختلفة تبعا لذلك «المزاج» من الرضا والسخط، وفى هذا يقول ابن الرومى وما أجمل قوله :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه

وأن تعب ملت ذا قيىء الزنابير

ثم أن المعول عليه فى العلوم والفنون هو اصطلاحاتها لا المعنى اللغوى، لأنه عام والمعنى الاصطلاحى الفنى خاص. فبماذا – إذن – عرف العلماء النسخ؟ سواء أردنا منه نسخ الإسلام لما قبله من شرائع، أو النسخ الوارد فى الإسلام وهو ما يتعلق ببعض أحكامه هو. لعلماء الأصول فى ذلك مذهبان :

أما **أحدهما** فهو : «رفع الحكم الشرعى بطريق شرعى متراخ عنه».

وأما **ثانيهما** فهو «بيان انتهاء حكم شرعى بطريق شرعى متراخ عنه».

ومعنى الرفع أن المشرع يقدر حكما فى مسألة مخصوصة لفترة مخصوصة من الزمن، فراعى فيها أحوالا خاصة يدركها المشرع خلال تلك الفترة. فإذا انقضت الفترة المخصوصة انتهى العمل بحكمها ثم أثبت المشرع حكما آخر يناسب جميع الأحوال التى تستجد بعد.

ويلاحظ أن التعريف الثانى أوثق صلة من الأول بهذا البيان الذى بيناه وسواء كان النسخ رفع حكم واحلال آخر محله، أو كان انتهاء حكم وابتداء حكم آخر فإنه لا يسرى أثره على صحة العمل بالحكم المنسوخ فى حينه .. بل أنه يسلم بصحتها سواء كان الحكم الثانى إجازة أو منعا . ونضرب لذلك مثالا :

قوله تعالى : ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] من هذا النص يفهم جواز شرب الخمر – وهى كذلك كانت – لأن المنهى عنه هو تأدية الصلاة فى حال السكر . أما السكر نفسه فمسكوت عنه، وهذا يؤدى إلى أن السكر فى نفسه لم يكن محظورا واستمر العمل بهذا فترة فى صدر

---

(١) أنظر أن شئت : مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٤٢٤/ ٤٢٥) . وأساس البلاغة (جـ٢ / ٤٣٨) لسان العرب (جـ٤ باب الخاء فصل النون) وترتيب القاموس (جـ٤ ص ٣٦٢).

الإسلام وحين جاءت اللحظة المناسبة لتحريم شرب الخمور لم يتردد الإسلام لحظة واحدة فى اتخاذ قرار التحريم، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠-٩١] ومنذ تلك اللحظة أصبحت الخمور محرمة إنتاجا وتجارة وشربا. وليس معنى هذا أن من كان ينتجها أو يتاجر فيها أو يشربها قبل قرار التحريم كان آثما. لا. بل أنه كان يزاول عملا مباحًا ينوى المشرع حظره فى الوقت المناسب، لحكمة يقدرها المشرع العليم الخبير بمصالح عباده آجلها وعاجلها. وتلك الحكمة فى هذا المثال نوجز الحديث عنها فى الآتى :

١- كان الإسلام يقرر من أول يوم بدأ فيه نزول الوحى تطهير المجتمع من المفاسد والموبقات فى العقيدة والسلوك. ومنها شرب الخمور والقمار. ونظرا لأن مصالح الناس قد ارتبطت بهذين المصدرين (الخمر والقمار) كمورد للرزق، وكان هذان المصدران من أكبر العوامل الاقتصادية فى محيط الفرد والجماعة. فإن الإسلام قد هادنهما فى أول الأمر حتى يتهيأ الجو لوجود بديل عنهما يتكسب منه الناس حتى لا تضار موارد رزقهم. ثم بدأ الإسلام نفسه ينبه الناس إلى إتخاذ ذلك البديل. ووقف من الخمر أربع وقفات كانت الرابعة هى القاضية. وبيانها كالآتى :

الوقفة الأولى : وتتمثل فى قوله تعالى : ﴿ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ [النحل : ٦٧] فقد وصف الله فيه الرزق بأنه « حسنا » ولم يصف « السكر » بل أهمله ففهم الناس أن هذا « السكر » ليس حسنا. وإلا لقال « حسنين » وكان هذا الفهم سببا فى تخوف منتجى الخمور وتجارها وشاربيها. وبدأت تساؤلاتهم نحوها تتكرر، فذهب المؤمنون إلى صاحب الدعوة ﷺ يطلبون منه أن يبين لهم فى الخمر بيانا شافيا.

الوقفة الثانية : وكانت تتمثل فى قوله تعالى الآتى إجابة على ذلك السؤال :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ... ﴾ [البقرة : ٢١٩].

وقد هزت هذه الآية مراكز الخمور هزا عنيفا، ذلك لأن القرآن الحكيم قد بين للسائلين أن الخمر فيها إثم كبير، وفيها منافع للناس، ولكنه بدأ ببيان الاثم ووصفه بأنه كبير. ثم عاد فقارن بين الأثم والمنافع وقرر أن الأثم أكبر من المنافع ومعنى هذا أن الخمر والميسر وإن اشتملا على «منافع» فهما من المضار، لأن الإنسان لا يسعى نحو أمر ضرره أكبر من نفعه وهو يعتقد أنه رابح. فما دام حساب الخسارة أكبر من عائد الربح فالعملية خسران لا ربح فيها.

وهنا بدأ كل من يعتمد على إنتاج الخمور أو الاتجار فيها يبحث عن بديل آمن لرزقه خاصة وأن سوق العرض والطلب قد فقدت الكثيرين من «عملائها» لإعراض الناس عن تعاطى الخمور طلبا للسلامة من الآثام.

الوقفة الثالثة : ويمضى التشريع الإسلامى فى تضييق دائرة الخمور تمهيدا لإتخاذ القرار النهائى فيها. فيروى أن أحد أصحابه ﷺ وقف يصلى إماما بالناس فى صلاة جهرية، فقرأ قوله تعالى:

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ قراه هكذا :

﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ** ﴾ فنزل قوله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾ [النساء : ٤٣] .

وكانت هذه ضربة مؤلمة للخمر وإن لم تكن القاضية، ذلك لأن المسلم مطالب على وجه الشدة بأداء خمس صلوات فى اليوم والليلة موزعة على نظام دقيق: فآثر ترك شرب الخمر حرصا منه على سلامة «الصلاة» وبذلك فقدت الخمور أعداداً هائلة من أصدقائها وشاربيها. كما بدأ السعى لدى منتجيها وتجارها يترك الاشتغال بها. واستحداث وسائل أخرى للعيش أكثر أمنا من هذه الموارد التى يحاصرها الإسلام حينا بعد حين. ومن يدرى ما الذى سيتخذه نحوها من مواقف فى المستقبل. ثم جاءت الضربة القاضية وهى:

الواقفة الرابعة : ها هو ذا الجو قد تهيأ، والأنظار أخذت تتحول إلى مصادر أخرى للرزق يقرها الإسلام ولا يعاديها كهذه. وأصبح كل شىء صالحا لأن يكر الإسلام كرته القاضية على «أم الخبائث» وأترابها من الميسر «القمار» والأنصاب والأزلام[١]. وتمثلت الكرة الأخيرة فى قوله تعالى :

(١) الأنصاب: حجارة كانوا يذبحون عندها للأصنام، والأزلام أقداح كانوا يستفتونها عند أسفارهم فيتفاءلون أو يتشاءمون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة : ٩٠].

وبهذا أوصد الإسلام كل أبواب الشرور والأضرار الخلقية والاجتماعية حول موائد الخمور والميسر، ولكن بلا ضرر ولا ضرار. وهذا من سماحة التشريع الإسلامي وحكمته، فلم يصدم المجتمع بتحريمهما فجاة وبغير تمهيد وإنما ترفق بهم شيئًا فشيئًا. فجمع بين مصالح الناس العاجلة، وبين مقاصد التشريع العليا في حكمة وإتقان. هذه ميزة من مزايا التشريع الإسلامي ولكن **أمناء الإنجيل** يأبون إلا أن يسموا هذا « إبطال » وأنه خاص بالقرآن، لأن آياته - حسبما يزعمون - يبطل بعضها بعضا ؟!

إننا لا ننكر أن في شريعتنا نسخ أحكام بأحكام تساويها في الدرجة والحكمة بل أننا نعتز بهذا النسخ. لأنه ميزة تشريعية نحن نعرف « قيمتها » بل أن رجال القانون من غير المسلمين قد لهجوا بالثناء عليها[1].

والذى نحب أن يفهمه أمناء الإنجيل هو :

أولاً : أن هذا النسخ كان خاصا بعصر نزول القرآن. أما بعده فليس هناك قوة أو سلطة في الأرض تملك أن تحلل ما حرمه الله ورسوله، أو تحرم ما حرمه الله ورسوله.

ثانيًا : أن هذا النسخ ليس « إبطالا » كما صورتموه، إذ لو كان كما تقولون لأخذ الله كل شارب خمر قبل قرار التحريم، ولعاقب كل لاعب ميسر قبله - كذلك - ولكن الله عفا عما سلف قبل قرار التحريم. وعلى هذا - يا سادة - فإن حكم الجواز الذى كان ساريا قبل قرار الحظر كان صحيحا، ثم انتقل الحكم من الجواز إلى المنع التحريمى. وهذا هو معنى النسخ لا الإبطال الذى ادعيتموه. فهو - أى الإبطال - وإن كان أحد دلالات المعانى اللغوية لكلمة « النسخ » فليس واردًا هنا. ولكى تتأكدوا من صحة ما نقول نذكركم بأن من معانى النسخ في اللغة تدوين الكتب من الرقاع أو من الذاكرة، وكانت كلمة « النساخ » تعنى معنى « الكتبة » والرواة إلى عهد قريب.

ثالثًا : ولو كان معنى النسخ « الإبطال » كما تقولون لكانت الآيات « المنسوخة » ملغاة من المصحف. ولما علم بها أحد. ونؤكد لكم أن القرآن ليست فيه آية واحدة

---

(١) ليس صحيحا أن النسخ خاص بالقرآن ، بل هو واقع في كل الشرائع السماوية من آدم الى عيسى عليهما السلام . بل إن المسيحية أكثر الشرائع نسخا ولنا دراسة موثقة ستصدر قريبا بإذن الله في هذا الشأن .

منسوخة حكما وتلاوة. وإنما قد تنسخ الآية حكما وتبقى فى التلاوة. وهذا هو شأن النسخ فى القرآن الحكيم مع ندرته .

وإذا سألتم: وما الفائدة من تلاوة أو بقاء نص انتهى العمل بالحكم الذى يفيده هو؟ ونجيب فنقول:

(أ) أن كلام الله كله سواء ما تعلق به حكم أو ما لم يتعلق به حكم فإنه يتعبد بتلاوته ويغذى القلب والروح.

(ب) وفى بقاء تلك الآيات المنسوخة تذكير بذلك المنهج الفريد الذى سلكه القرآن فى التشريع أبان عصر النزول، وذلك من مظاهر رحمة الله بعباده. ولترتبط كل واقعة بحكمها وملابساتها. ومن أجل هذا نزل القرآن نجوما حسب الوقائع على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم ينزل دفعة واحدة كما هو الحال فى التوراة والإنجيل.

(جـ) وفى بقاء تلك الآيات المنسوخة الحكم أكبر معين على معرفة تاريخ التشريع الإسلامى وأطواره التى سار فيها . وهذه أيضًا ميزة لم يعرفها أحد لنفسه سوانا، وهذان الأمران: التذكير ومعرفة تاريخ التشريع الإسلامى وأطواره من أبرز مظاهرنا الحضارية. فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

وهأنتم قد علمتم صحة الرأى عندنا فى مبدأ النسخ الذى تدعونه « إبطالا » فتعالوا – الآن – نعرض عليكم نصوصا من أناجيلكم، نحمل معنى « الإبطال » الذى وصفتم به بعض نصوص القرآن. لتنبؤنا بصحة الرأى عندكم فيها وإلا ألزمناكم – ونحن لابد فاعلون – بالنتائج التى تؤدى إليها عقلا ومنطقا.

أولا – جاء فى إنجيل يوحناكم (٥ / ٣٢) أن المسيح قال : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقا ».

وجاء فيه (٨ / ١٥) قول المسيح أيضًا : « إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق » فما رأيكم يا سادة :

هل الآية الثانية نسخت الأولى أم لم تنسخها؟ فإن قلتم نسختها فقد لزمكم القول بأن الإنجيل يبطل بعضه بعضا كما قلتم عن القرآن. أليس كذلك يا قوم . . .؟!

وإن قلتم لم تنسخها لزمكم واحد من أمرين لا ثالث لهما. **أحدهما** أن المسيح كان لا يدرى ما يقول فيثبت هنا ما ينفى هناك ؟!

وإن قلتم، أن المسيح لم يقل الأولى، أو لم يقل الثانية ألزمكم التسليم بالتزيد والتحريف فى كلامه. وهذا هو الأمر الثانى . .؟!

وإن قلتم ليس هذا إبطالا قلنا لكم فأنتم - إذن - جائرون حيث لم تعدلوا بين القرآن وبين الإنجيل فاختلف الحكم عندكم والظاهرة المحكوم فيها واحدة ..؟!

ثانيًا - وجاء في إنجيل يوحناكم أيضًا (٥ / ٢٣) قول المسيح « لأن الاب لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » وجاء فيه قوله (١٢ / ٤٨) : « وأن سمع أحد كلامي فلم يؤمن فأنا لا أدينه، لأني لم آت لأدين العالم. بل لأخلص العالم » فما رأيكم يا سادة.

في الآية الأولى الآب أعطى الابن كل الدينونة. وفي الآية الثانية الابن لا يدين أحداً، لأنه جاء ليخلص العالم.

هل تقولون بتحكيم الآيتين. هذا باطل. أم تقولون إحداهما نسخت الأخرى فهذا إبطال على مذهبكم. أم تقولون إحداهما ليست للمسيح فهذا تبديل وتحريف. فاختاروا لأنفسكم ما يحلو. وأن كان في الواقع ليس فيما تختارون حلو قط. ونكتفي بهذين النصين الآن، ولنا عودة ..

● **سابعًا : رسول الإسلام لم يأت بمعجزات . وهو خاص بالعرب ..؟!**

ويمضي مخرجو كتاب الاستحالة في مزاعمهم فيدعون : أن رسول الإسلام لم يأت بمعجزات قط. وأن رسالته خاصة بالعرب فحسب، فليس رسولا لبني إسرائيل ولا لغيرهم من الشعوب ؟!

وكعادتهم في الاستدلال التعسفي راحوا يسوقون نصوصا من القرآن الحكيم ليؤيدوا بها مدعياتهم وأوهامهم غير عابئين بما تحمله تلك المدعيات من باطل وزيف. وها نحن أولاء نورد ما قالوه ونرده بالدليل الذى لا قدرة لباطلهم على الوقوف أمامه وإن طبلوا له وزمروا.

● **أولاً - دعوى عدم المعجزات[1] :**

جاءت هذه الفرية في كتاب « الاستحالة » ص١٢٢ حين عقدوا مقارنة بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ، فقالوا أن موسى عليه السلام صنع معجزات، أما رسول الإسلام فلم يصنع معجزات (!) وهذا بشهادة القرآن ؟!

---

(١) سنكتفي هنا برد أدلتهم أما المناقشة التفصيلية فسنرجئها إلى حين مواجهتنا الوثيقة الثالثة لإثارتهم فيها شبها مختلفة وسلوكهم مسلكا قبيحا في الافتراء والتهجم، فموعدنا على الصفحات الأخيرة من هذه المواجهة .

ثم يعمدون إلى ثلاث آيات من القرآن الحكيم.

﴿ وما منعنا أن نُرْسل بالآيات إلاّ أن كذّب بها الأوّلون ... ﴾ [الإسراء : ٥٩]

وقوله تعالى :

﴿ وقال الّذين لا يعْلمُون لوْلا يُكلّمُنا اللّهُ أوْ تأْتينا آيةٌ كذلك قال الّذين من قبْلهم مّثْل قوْلهمْ تشابهتْ قُلُوبُهُمْ قدْ بيّنّا الآيات لقوْم يُوقنُون ﴾ [البقرة : ١١٨].

وقوله تعالى :

﴿ وقالُوا لوْلا نُزّل عليْه آيةٌ مّن رّبّه ﴾ [الأنعام : ٣٧].

والحق – كما يبدو – من أدنى تأمل أن مخرجى كتاب « الاستحالة » ليس لهم دليل فى هذه الآيات الثلاث. وذلك لما يأتى :

الآيه الأولى تنص أن الله – سبحانه – اقتضت حكمته الاقلال من إرسال الآيات المادية، لأن الأمم السابقة كانت كلما جاءتها آية من ربهم اعرضوا عنها، وكذبوا بها. وأملى عليهم الشيطان أن يقولوا إنما هى سحر مبين. وذهب قتادة وابن جريج فى معنى هذه الآية فقالا : أن الآيات التى أشار الله إليها هنا هى الآيات التى اقترحها كفار مكة وليس المراد جنس الآيات. فأل فيها للعهد الذكرى. فقد ورد أنهم طلبوا منه أن يحول لهم جبل الصفا ذهبا، وأن ينحى الجبال من حولهم. فأنزل الله جبريل عليه السلام ليقول للنبى ﷺ : أن شئت كان لقومك ما طلبوا فإذا لم يؤمنوا عجل الله بعذابهم، وإن شئت استأنيت عليهم – يعنى تمهلهم – فقال عليه السلام : بل استأنى بهم.

وفى نفس الآية ذكر الله له مثلا من ثمود قوم صالح حيث ارسل الله لهم « الناقة مبصرة فظلموا بها » ولم يؤمنوا فاهلكهم الله.

وهذا المعنى، وهو إمساك الآيات لتكذيب الناس بها، قد كرر كثيراً فى القرآن الحكيم ومنه قوله تعالى :

﴿ وقالُوا لوْلا أُنزل عليْه ملكٌ ولوْ أنزلْنا ملكًا لّقُضي الأمْرُ ثُمّ لا يُنظرُون ﴾ [الأنعام : ٨]

وقوله تعالى :

﴿ ولوْ نزّلْنا عليْك كتابًا فى قرْطاس فلمسُوهُ بأيْديهمْ لقال الّذين كفرُوا إنْ هذا إلاّ سحْرٌ مُّبينٌ ﴾ [الأنعام : ٧].

وقوله تعالى :

﴿ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ * وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر : ١٣ – ١٥] . هذه هى حكمة الله فى إمساك الآيات التى يطلبونها . أن كفرهم وعنادهم سواء لديه جريان الآيات وإمساكها . وأحرى بمخرجى كتاب الاستحالة أن لا ينسبوا إلى رسول الإسلام عجزا فى مجال الآيات والمعجزات ، وعليهم أن يساءلوا الله الحكيم الخبير لم كانت حكمته كذلك . ولا أظن أنهم يتهيبون مثل هذه المواقف . فقد خاضوا – معه – ما هو أكبر جراة وإثما .

أما الآية الثانية وهى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ .. ﴾ فهم المعنيون بها . يهودا ونصارى . وإليك سياق الآيات لتكون على يقين مما نقول :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ * وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة : ١١٦ – ١٢٠] .

فمن هم يا ترى الذين قالوا اتخذ الله ولدا؟ أليس هم النصارى فى ادعائهم بنوة عيسى لله . واليهود فى ادعائهم بنوة عزير له تعالى عما يقولون علوا كبيرا . ومن هم الذين طلبوا من موسى أن يروا الله جهرة . أليس هم اليهود أهل الكتاب . ثم من هم الذين لا يعلمون وقد تشابهت قلوبهم أليسوا هم أهل الكتاب . أن المفسرين لم يشركوا مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى فى هذه الأوصاف إلا مشركى مكة . إذ جمع بينهم جميعا الكفر والإشراك بالله .. ؟

ثم من هم اليهود والنصارى الذين لم يرضوا عن نبى الإسلام إلا إذا اتبع أهواءهم وما هم بمتبع . أليسوا هم أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام وأصحاب التوراة والإنجيل .

يا قوم: أن محمدا عليه السلام ليس متهما بالعجز فى مجالات الإعجاز كما تدعون. ولو أنكم استعملتم عقولكم لعزفتم عن ذكر هذه الآية دليلا على ما تقولون. فالآية تحمل فى صدرها ما يبطل دعواكم. فتأملوا هذا الصدر جيدا:

﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ** ...؟! ﴾ فهل قول الذين لا يعلمون حجة يتمسك بها عاقل إلا الذين لا يعلمون ..؟!

ثم تعالوا معنا إلى الآية الثالثة:

﴿ **وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ** ﴾ ذكرتم أنتم هذا الجزء من الآية ولم تجرؤوا على ذكرها كلها. وها نحن نذكر ما اهملتموه:

« ... **قل إن الله قادر على أن ينزل آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون** » فمن هم الذين قالوا هذا القول؟! أنهم هم لم يتغيروا. الذين لا يعلمون وقد سبقت هذه الآية آية أخرى لا شك أنكم قرأتموها وهى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** ﴾ أن هذا الفريق الأحمق الذى تقص الآية الكريمة قصته وتحكى قوله، إنما سأل سؤال عنيد متجبر. فبين يديه آيات لم ينتفع بها، ومنها هذا القرآن الذى أقروا له بالفضل وخروا بين يدى بيانه واعجازه. فلو أن هذا الفريق أراد لنفسه الهداية لآمن على ما بين يديه من آيات. ولكنه سادر فى غيه. ولو أن الله اتبع أهواءهم فأنزل آية كما طلبوا لقالوا بعدها كذلك: لولا انزل عليه آية من ربه. ولما توقف عند حد ما دام الشيطان هو وليه الحميم.

أفليس من الحكمة أن يهمل هذا الفريق ولا يستجاب له ليراجع نفسه؟!

أم أن الاسترسال معه فى أوهامه كان هو المطلوب من سيد المرسلين أن يفعله معه وأن يدعو ربه من أجله.

لا يا قوم. إن الفاعل هو الله. والله ليس متهما لا فى فعل ولا فى ترك .. هذه عقيدتنا عقيدة الحق:

يا حاكمى وحكيمي أفعالك الكل حكمة

ولنتوقف – الآن – عند هذا الحد فى موضوع المعجزات. فلنا فيه جولة أخرى سيأتى حينها إن شاء الله.

- **ثانيا: دعوى قصر الإسلام على العرب ؟!**

مواقف أهل الكتاب من الإسلام وكتابه ورسوله لا تخرج عن واحد من أمرين.

أحدهما الرفض والإنكار الكلي. وثانيهما حصره فى العرب دون غيرهم من خلق الله.

أما الموقف الأول فهو الموقف الأصلى عندهم يهودا ونصارى. فاليهود لا يعترفون إلا بشريعة موسى عليه السلام، وينكرون رسالة كل من عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولهم فى ذلك فلسفة عجيبة، فهم يقولون لو جاز أن الله يرسل رسولا بشريعة، ثم يرسل رسولا آخر بشريعة أخرى ناسخة للأولى للزم من ذلك أن الله موصوف **بالبداء** : أى أنه حين أرسل الرسول السابق كان يقدر أن مصلحة الناس في تلك الشريعة التى بعثه بها، وعند التطبيق تظهر عيوب فى تلك الشريعة، ويبدو لله نظام آخر يصلح عليه أمر الناس، فما يلبث حتى يلغى الشريعة الأولى ويقرر الشريعة الثانية وهكذا. وهذا يلزم منه القول بأن الله « جاهل » سبحانه – وإلا لقرر من أول الأمر ما هو صالح لكل الأحوال. واستنادا على هذا الفهم العقيم انكروا تعدد الشرائع. فلا عيسى رسول، ولا محمد رسول صلى الله عليهما وسلم. ونفس الموقف يقفه النصارى من الإسلام، لأن عيسى عندهم هو آخر الأنبياء، وقتله وصلبه هو الذى خلص البشرية – على زعمهم – من كل الخطايا والآثام. ولكنهم يعترفون بشريعة موسى عليه السلام فى الوقت الذى ينكر فيه اليهود رسالة عيسى ونبوته ويرمونه بكل نقص.

أى أن النصارى يؤمنون بمن كفر بعيسى ورسالته، وهم اليهود ويكفرون بمن يؤمن بعيسى ورسالته، وهم المسلمون. وإلى هذا المسلك العجيب يشير الإمام البوصيرى فى همزيته فيقول:

آل عيسى عاملتم آل موسى
بالذى عاملتكم به الحنفاء
لو جحدنا جحودكم لاستوينا
أو للحق بالضلال استواء[1]

أما الموقف الثانى، وهو شر مثل الأول، ولكن بعض الشر أهون من بعض، فإنه موقف محاباة ومجاملة لا عقيدة. وهو الرأى الذى يقول أن محمدا رسول، ولكن رسالته خاصة بقومه العرب دون غيرهم.

---

(١) أى آمنتم بشريعة موسى وهم بكم مكذبون وكفرتم بشريعة محمد ﷺ وهم بكم مؤمنون وكان الأحرى بكم لو انصفتم بعض الانصاف لآمنتم بشريعة محمد عليه السلام من باب المعاملة بالمثل ولو أننا عاملناكم بمعاملتكم فكفرنا بكم لكنا مثلكم مستوين، ولكن هل يستوى الحق والباطل.

وتسألهم : ما دليلكم ؟

فيجيبونك : القرآن ؟، وتقول لهم : وكيف؟ فيقولون لك : ألم يقل القرآن فى سورة إبراهيم الآية الرابعة منها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ .. ﴾ وكذلك كان رسول الإسلام عربيا من العرب، لغته لغتهم، وعاداته عاداتهم وكتابه عربى.

« وعليه فرسول الإسلام ليس لبنى إسرائيل. بل هو - كما يقول القرآن - خاص بالعرب فقط » كتاب الاستحالة (ص١٢٣) ويقولون : « فهل بعد ذلك يرسل الله لبنى إسرائيل نبيا من غير أمة العهد والنبوة - يقصدون إسرائيل - نبيا غريبا عنهم وعن جنسهم وعن لغتهم وعن أخلاقهم وعن دينهم. ويدعون أن هذا مناف للعدل الإلهى إذ كيف يرسل رسولا لاناس لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقوله هذا النبى، ثم بعد ذلك يحاسبهم ويعاقبهم ..؟!

هذه هى شبههم التى تذرعوا بها حين اضطروا للاعتراف برسالة رسول الإسلام ﷺ. أنها رسالة خاصة بالعرب، وللعرب وحدهم ..؟!

أجل هذا كلامهم. وسيظل كلاما، ما لم نتعرض له، فإذا تعرضنا له لو كان وجه النهار لاسود.

فلنناقش أولا شبه الإثبات[1] :

(أ) أما دليلهم النقلى، وهو الآية الكريمة التى ذكروها : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ... ﴾ فلا حجة لهم فيها، لأن معنى الآية « وما أرسلنا » من قبلك « من رسول إلا بلسان قومه » ورسول الإسلام وإن كان مرسلا بلسان قومه. فإنه لم يكن خاصا بهم كما تدعون. وسنبين لكم هذا بعد قليل في براهين نفى ما تدعون.

(ب) وأما دليلهم العقلى، وهو كيف يرسل الله رسولا إلى قوم لا يعرفون لغته فلا يفهمون ما يقول ثم يعاقبهم الله على مخالفته؟!

وهذا الذى تقولونه مردود. والذى يرده العقل نفسه. ثم الواقع الذى لا ينكره أحد إلا مكابر.

أما العقل فإنه لا يعترف بأن تعلم لغة ما لرجل يتكلم بغيرها مشكلة عويصة تمنع التفاهم بين طرفين. فما أسهل تعلم اللغات. ومنذ القدم كان العالم يعرف نظام

---

(١) إنما سميناها شبه « الاثبات » لاننا نناقش القضية على أساس أنهم يدعون إثبات قصر الإسلام على العرب، والواقع ان هذه القضية كاذبة وهمنا هنا نفى مدعاهم.

الترجمات، فيكفى أن يوجد فى أمة رجل واحد يعرف مع لغته لغة أخرى، فيقوم بدور الوسط الناقل من لغته إلى الأخرى ومن الأخرى إلى لغته. وبهذه الطريقة كانت تنقل رسائل الخاتم ﷺ إلى رؤساء وملوك الأمم التى لا تعرف العربية مثل الفرس، والروم، وبهذه الطريقة كان يدور الحوار بين رسل الخاتم ﷺ ووفوده وبين من يرسله إليهم من قادة الشعوب وزعمائها خارج جزيرة العرب أما بنو إسرائيل الذين عاصروا الدعوة، فلم يكونوا يجهلون لغة العرب، بل كانوا فيها مثل العرب أنفسهم حديثا وكتابة. والتاريخ يحدثنا وهو صادق أن اليهود كانوا يقرأون التوراة للعرب بالعبرية، قبل البعثة، ويفسرونها لهم بالعربية. وكانت صلتهم بالعربية أبان البعثة وبعدها أوثق شأنا من ذى قبل. لا حبا فى الدين ولكن ليتمكنوا من دس الأخبار والآراء إلا من عصم الله منهم فآمن وصلح أمره.

والخلاصة: أن العقل لا يقركم على أن اختلاف اللغات مشكلة، تستعصى على كل الحلول فإذا كنتم حتى الآن تصرون على قولكم. فليس من حقكم أن تدعوا أن عيسى عليه السلام عندنا والرب يسوع عندكم ارسل الحواريين ليبشروا العالم بالإنجيل، ويبلغوه له. فهل كان العالم وما يزال يتحدث بلغة الإنجيل التى تجهلون أنتم أصلها وما هى؟ هل هى اليونانية أو العبرانية أو السريانية أو السيروكلدانية، كما تجهلون المترجم من هو ما لغته التى كان يتحدث بها وهل هو ثقة فيها أم غير ثقة. وأحيانا تختلفون فى واضع الإنجيل نفسه ..؟! فلماذا ترون لأنفسكم ما لا ترونه لغيركم والواقعة التى اختلف حولها حكمكم واحدة ؟! هذا هو رد العقل عليكم.

أما الواقع فيقول : أن اليهود وجميع أهل الكتاب فهموا مقاصد الإسلام فى عصر النزول وجادلوا صاحب الدعوة وحاوروه، ولم يستعص عليهم فهم شىء فى الكتاب المنزل من عند الله هدى وبيانا لكل شىء.

ثم حين خرج الدعاة من جزيرة العرب يدعون الأمم إلى الإسلام، وفتح الله عليهم فتحا مبينا فإن الوثائق التاريخية تحدثنا أن اللغة العربية كانت أخت الإسلام فى الانتشار وإقبال الناس عليها. وأرجعوا أن شئتم إلى كتاب أخ لكم فى العقيدة هو الدكتور جوستاف لوبون فسترون فيه عجبا، وكتابه هو « حضارة العرب » ثم ارجعوا كذلك إلى كتاب « جورجى ريدان » تاريخ آداب اللغة العربية، وهو ثقة لديكم فيما كتب، وراجعوا عصر الترجمات فى العهد العباسى فسترون عجبا أيضا، وستجدون أخوة لكم فى النصرانية كاسحق بن حنين كان لهم باع طويل فى مجال الترجمات من وإلى اللغة العربية.

لقد كتب الله النصر للغة كتابه الحكيم . فأكلت اللغة الفارسية فى الشام وفارس وأكلت اللغة القبطية فى مصر. وأنتم الآن تتحدثون العربية كلغة وطنية وقومية ولا صلة لكم بلغتكم الأولى. لغة الآباء والأجداد. أليس كذلك فأين ذهبت تلك اللغات إذن. ابتلعتها لغة الإسلام حتى تقام الحجة على كل إنسان.

هذا هو الواقع يا قوم فتعالوا إلى كلمة سواء لا نعبد إلا الله، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فليس فى قلوبنا غل لأحد، ولا نحن حالمون بمدينة فاضلة ليس فيها إلا رنين «النواقيس» ولكن صدرنا رحب وأرض الله فيها ما يسد حاجة كل العباد. والدين للديان وحده.

أما أدلة النفى، أى نفى مدعاكم أن رسول الإسلام رسول للعرب خاصة فنقلية وعقلية كذلك.

فالأدلة النقلية كثيرة نذكر لكم منها ما يأتى :

قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [سبأ : ٢٨].

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧].

وقوله تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ** ﴾ [الفتح : ٢٨]، [الصف : ٩].

وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْراً لَّكُمْ** ﴾ [النساء : ١٧٠]. وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة : ١٩] وخرج الإمام مسلم أن الرسول الخاتم قال :

«والذى نفسى بيده، لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار».

فما رأيكم فى هذه النقول. أتقولون أنها غير ملزمة لكم، لأنها قرآن وسنة؟! إذا قلتم ذلك قلنا لكم:

ولماذا استشهدتم بهما حين ظننتم أنهما يؤيدانكم فى صدق مدعياتكم. فقولكم إذن هناك مرفوض. فإما أن تقبلوا الحق كله، وإما أن ترفضوه كله. فإن أبيتم

إلا هذا قلنا لكم من هو الذى يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض إذن. نحن أم أنتم نبئونى بعلم إن كنتم صادقين؟!

أم تقولون أن العرب وحدهم هم الناس، وأنهم وحدهم هم العالمون لأن نص الآيات يقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ** ﴾ ويقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ فإذا رضيتم بأن تخرجوا أنفسكم من «الناس» ومن «العالمين» فمن أنتم إذن؟ وحينئذ فلا كلام لنا معكم، لأن كلامنا مع «الناس» فحسب.

ولكن ما رأيكم فى الآية الأخيرة ﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ...** ﴾.

ألستم أنتم أهل الكتاب يا قوم؟! فأين المفر إذن؟! لقد حاصر الحق الباطل من كل جهة فأين تذهبون.

بل نستطيع أن ننقل لكم نصوصا من أناجيلكم غفلت عنها أصابعكم فلم تخفوها. وفيها دلالة على ما نقول:

فمن هو المعزى الذى يمكث فيكم إلى الأبد. وهذا نصه فى إنجيل يوحنا كم (١٧/١٤).

«وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث فيكم إلى الأبد»؟!

وقال فى شأنه أيضًا: «١٤/ ٢٦» وأما المعزى روح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم»[1].

أتقولون أن المعزى هنا هو روح القدس الذى منحه المسيح تلاميذه. إن قلتم هذا وأنتم قائلوه لا محالة قلنا لكم هل روح القدس ذاك كان واحدا أم متعددا بتعدد التلاميذ؟ فإن قلتم واحدا قلنا لكم: فيمن حل روح القدس من التلاميذ الاثنى عشر فيكون هو خليفة المسيح ويكون الآخرون أدعياء عليه من بعده؟ وإن قلتم كان متعددا قلنا لكم: الآن خرجت عقيدتكم من التثليث إلى ما هو أضعاف التثليث فعلام القول بالتثليث إذن؟

وهب أننا سلمنا لكم بكل هذه الفروض فهل أحد التلاميذ أو هم كلهم باقون معكم إلا الأبد أم أنهم ذهبوا كما يذهب كل مخلوق، وعادوا قافلين فى نفس الطريق التى جاءوا منها:

---

(١) ننقل هذه النصوص على «علاتها» لا لأننا فى حاجة إليها ولكن لمجرد تذكير الخصوم بما يرونه لديهم «مسلما» وإن تأولوه على غير وجهه؟!

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى » .

وكفانا هذا من أدلة النقل التى لا تخلو من العقل . فتعالوا إلى أدلة العقل التى لا تخلوا من النقل :

ولنتفق من الآن على مقدمة نلتقى عندها نحن وأنتم يا أهل الكتابين . وهى « أننا جميعا نؤمن بأن عدالة الله تقتضى أن يبين للناس الطريق الموصلة إليه ببيان العقائد الصحيحة . وطرق العبادات والمعاملات، والتشريعات التى تحدد الجائز والممنوع والحلال والحرام . والواجب وغير الواجب فى كل ما يعرض لنا فى هذه الحياة سلما وحربا . فى الداخل والخارج أو بعبارة أوضح : برنامج السلوك العام والخاص . وبعد هذا البيان يحاسب الله الطائع ويعاقب العاصى أن شاء » هذه هى المقدمة التى ندير عليها ما يأتى من حوار بغية الوصول إلى الحق، والحق وحده .

فهيا انثروا كتابكم المقدس بعهديه . وقسموه إلى :

آلهيات — نبوات — سمعيات . شرائع — نسك وعبادات، فلسفات كونية . ثم ضموا إلى هذا التراث النظرى التجارب العملية التى صنعت ما يسمى بالتاريخ الكنسى .

ونحن من جانبنا ننشر قرآننا وما تولد عنه من مصادر تشريع . ثم نقسمه إلى نفس الأقسام التى قسمتم إليها كتابكم مع ملاحظة جداول الزيادة أو النقص حسبما يسفر عنه المنهج المتبع فى التقسيم .

هذه هى الخطوة الأولى . أما الخطوة الثانية فتعالوا :

أولا — نقارن بين « المعطيات » هل هى متساوية عندنا وعندكم أم أن أحدنا سيكون أبز من الآخر؟ فإذا لم نتساو وكنتم أنتم الأبز فسوف نعترف لكم . وإذا كنا نحن الأبز فعليكم أن تعترفوا لنا . أما إذا تساوينا فليكن أساس المفاضلة هو « الكيف » وليس « الكم » .

ثانيًا — ننظر فيما لديكم وفيما لدينا أيهما أمس رحما بالعقل والفطرة وأقدر على توجيه الحياة من الآخر، وأعم نفعا للناس جميعا، وأوفى بحاجة البشر فى الحياة فى العلاقة بين :

الإنسان وربه . الإنسان وأخيه . الإنسان ونفسه، الإنسان وزوجه وولده ثم تحديد ما هو واجب، وما هو حق . ثم تحديد طرق الفصل فى الخصومات وتحديد طرق الكسب المباح، والكسب الممنوع، وتنظيم علاقة مجتمع بآخر : فى السلم فى الحرب .. إلخ .. إلخ .

فإذا أسفرت المقارنة عن وفاء كتابكم المقدس فى إقامة الحياة على سنن الحق والعدل سلمنا لكم بأنكم أهل كتاب تستطيعون أن ترودوا المجتمعات نحو الأنفع والأصلح. ولا نطالبكم بشىء.

أما إذا ثبت أن كتابكم المقدس بعهديه قاصر كل القصور عن مواجهة الحياة - ونكتفى هنا بوصف القصور فقط - فعليكم أن تسلموا لنا، بل للحق الذى شرعه الله ليكون هو الرائد والموجه والمرشد، لا لشىء فى أنفسنا فنحن طلاب حق. ولكن لأن الله أودع فيه خوالص وحيه. فهو طبعة الوحى الأخيرة. بعدها جفت الأقلام، وطويت الصحف. فتعالوا نحكم عقولنا، ونجرد أنفسنا من كل هوى. ونبحث أى الطرق تؤدى بنا إلى الله فإذا ظفرنا به فلعنة الله على المعوقين.

- **ثامنًا - دعوى سريان التثليث فى الإسلام ؟!**

من أكذب الأكاذيب أن يقال أن الإسلام يشايع عقيدة التثليث كما هى عند النصارى يوجه مباشر أو غير مباشر. هذه أكذوبة مفضوحة أنى وجدت وكيف وجدت.

ومما هو معلوم للعامة قبل الخاصة أن الإسلام هو دين التوحيد الخالص، والتجريد والتنزيه على صورة رائعة لا تعرف فى غيره من الأديان والنحل والمذاهب قديمها وحديثها. أن التوحيد فى الإسلام هو المثل الأعلى، وعقيدة المسلم فيه كما يستقيها من القرآن والسنة المطهرة هى أرقى عقيدة فى «الله الواحد الأحد، الذى لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» **ليس كمثله شىء وهو السميع العليم**. واحد لا شريك له فى ملكه. واحد فى حقيقته، واحد فى صفاته، واحد فى أفعاله أول بلا بداية، وآخر بلا نهاية، قدرته فوق كل القدرات، وإرادته فوق كل الإرادات. مدبر الأمر فى السموات والأرض، أمره نافذ، وحكمته بالغة يعطى ويمنع، ويعز ويذل. ويرفع ويخفض، ويغنى ويفقر، ويهدى ويضل. ويحيى ويميت، بيده مقاليد الأمور وإليه مراجعها، وهو الغنى الحميد. كل شىء يسبح بحمده، ويسجد له بالغدو والآصال. له المثل الأعلى، وله الأسماء الحسنى عالم الغيب والشهادة جامع الناس ليوم لا ريب فيه، يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وما هو بظلام للعبيد.

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ

اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر : ٢٢ – ٢٤] . ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟ ﴾ .

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ /

﴿ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ..؟! ﴾ .

﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ؟! ﴾ .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ ؟!

﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ . أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ ﴾ ؟!

﴿ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

﴿ أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النمل: ٥٩ – ٦٤].

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢١– ٢٣] .

﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٨٨ - ٩٥] .

هذا غيض من فيض من دلائل التوحيد الفطرى فى كتاب الإسلام، وتلك هى مائدة المسلم التى يستمد منها غذاء طيبا لروحه وقلبه وعقله ومشاعره ووجدانه. أنه دين أخص خصائصه التوحيد المقام عليه أقوى البراهين، المستقى من مرآة الكون المجلوة، الماثل أمام النظر فى كل حركة، وفى كل سكون، وفى ذرة من ذرات الوجود.

ومع هذا النور الأبلج الوضاء يزعم - ويا لسوء ما يزعم - كتاب «الاستحالة ومخرجوه أن عقيدة التثليث واضحة أو هى من الأمور الواضحة فى الإسلام. هكذا والله يقولون، ثم يتوارون وراء زيفهم أو يوارون زيفهم فيقولون، ولكن بطريق غير مباشر[1]»؟!

يا سبحان الله ..؟! القوم يريدون أن يجعلونا «مثلثين» من الدرجة الثانية بعد أن احتلوا هم «المركز الأول» فى التثليث. أو يجعلونا «مثلثين جبناء» بعد أن حازوا هم قصب السبق فى «الشجاعة» فاعلنوا وأسررنا ..؟!

وان شئت أن تضحك من الأعماق فتعال أسمع ما قالوه عن «تثليث الإسلام» فى فن «الكوميديا» الاستحالية الحديثة.

- **وإليك النصوص :**

١- البسملة المسيحية كالآتى : «بسم الآب، والابن، والروح القدس» والبسملة الإسلامية : بسم الله، الرحمن، الرحيم.

هذا هو النص المسرحى الكوميدى الاستحالى الحديث. فانظر الآن إلى المخرج القدير كيف أخرجه، مع ملاحظة أننى سأنقل النص كما هو غير مصحح لما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرا إلى موضع الخطأ بخط ثقيل.

---

(١) كتاب «الاستحالة» (ص ٢٣١) .

يقول المخرج :

« **وهاتين البسملتين** هما صورة طبق الأصل من بعضهما (!) فالمسيحية تعرف الاقنوم الأول بالأب، بينما الإسلام **فيعرفه** بالله، والمسيحية تعرف الاقنوم الثانى بالابن، بينما يصفه الإسلام بالرحمن ... أما الاقنوم الثالث الذى تعرفه المسيحية باسم الروح القدس فإنه يوصف فى الإسلام بالرحيم »...؟!

وهنا يتخيل المخرج أن جمهوره قد استرسل فى ضحكاته، ومتع نفسه بمتعة فنية رائعة، فاسترسل المخرج فى « تغريب » ادائه طلبا للمزيد من الاعجاب فاستمع إليه وهو يؤدى هذه « اللقطة » الهوجاء :

« .. وعلى هذا نجد أن عدد حبات السبحة التى يتم تسبيح اسم الله القدوس بها هو ٣٣ حبة، بينما نجد أسماء الله الحسنى هو ٩٩ اسما عبارة عن ٣٣ حبة للعادل (الاقنوم الأول) و٣٣ حبة للرحمن (الاقنوم الثانى) و٣٣ حبة للمنعم أو الرحيم (الاقنوم الثالث) » ؟! كتاب الاستحالة (٢٢٢) .

ثم يلتفت غبطة المخرج البارع وهو على خشبة مسرحه « الهوائى » ويخاطب أحد المسلمين قائلاً [١] :

« أليست هذه أقوال **علماءكم** ؟ ! كما أننى أتساءل مع الذين يقولون بأن المقصود بذكر الله الرحمن الرحيم هو التأكيد . أننى أسأل من يقول بذلك ولماذا لم **نكتفى** بالقول باسم الله الرحمن فقط ؟! أليس المثنى **توكيد** ؟ ! أو لماذا لم يكونوا أربعة أو أكثر فنقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرءوف العادل .. إلخ . لماذا نكتفى مثل النصارى بذكر ثلاثة فقط »؟! كتاب الاستحالة (ص ٢٢٢) .

انتهى الفصل الأول من كوميديا المسرح « الهوائى » الاستحالى الحديث . وكان من اليسير - أخى القارىء - أن نهمل كل ما ورد فيه من هراء وزيف وباطل ولكن آثرنا أن نقول - هنا - كلمة لئلا يقع أحد شبابنا فريسة هذه الأوهام الغريبة . فنقول ومن الله الواحد التوفيق :

غريب ما يقوله هؤلاء من تشابه الإسلام للمسيحية فى تثليثها وشركها ووثنيتها . فنحن نقول بسم الله، الرحمن الرحيم . هكذا بدون توسط حرف العطف

---

(١) الكاتب هنا يناقش الدكتور أحمد شلبى الأستاذ بدار العلوم حول عبارة وردت فى كتابه « مقارنة الأديان » .

« الواو » فنذكر « الله » ثم نصفه بوصفين : احدهما الرحمن والثانى الرحيم . والوصف هو ما قام بموصوف . ومعلوم - بداهة - أن الوصف ليس له تحقق فى الخارج بل هو قائم بموصوفه . وعلى هذا فإذا ذكرت « شخصا » محمدا مثلاً ثم أجريت عليه ما يستحقه من أوصاف فقلت : محمد الفقيه اللغوى الناقد الزاهد الكريم . . أن كان شخص اسمه محمد كائنا فى الواقع كذلك . فإن معك فى هذه العبارة ذات واحدة هى « محمد » وخمسة أوصاف هى ما ذكرت .

وهذا لا يعنى وليس من معانيه التعدد فى الذات . بل هى ذات واحدة موصوفة بعدة أوصاف هى وموصوفها « شىء واحد » .

أما النصارى فيقولون : « باسم الآب ، والابن ، والروح القدس » فيوسطون حرف العطف « الواو » بين الآب والابن ، وبين الابن والروح والعطف بالواو - كما هو معلوم لصبية المكاتب - فضلا عن العلماء والباحثين يقتضى المغايرة . أى مغايرة المعطوف للمعطوف عليه . فإذا قلت جاء الكاتب والشاعر والقصاص . كان معنى هذه العبارة أن الجائى ثلاثة هم كاتب وقصاص وشاعر .

أما إذا قلت جاء الكاتب الشاعر القصاص . فيكون الجائى واحدا موصوفا بهذه الأوصاف الثلاثة . والسر فى هذه التفرقة بين المعنيين هو وجود حرف العطف « الواو » كما علمت .

ومن هذا يتبين لك أن العبارة المسيحية : « باسم الآب ، والابن ، والروح القدس » تفيد أن المسمى به ثلاثة « شخوص » آب + ابن + روح لأن عبارتهم من باب « عطف الذوات » وليست من باب « عطف الصفات » فهم إذن « مثلثون » وان ادعوا التوحيد . والتفسير الواقعى عندهم لهذه العبارة تفيد ذلك بوضوح . فالله الآب شخص مستقل لأنه وجد قبل الابن ضرورة . والابن شخص مستقل . أما الروح القدس فهى شخص مستقل كذلك والدليل أنهم يعتقدون أن عيسى بعد قتله وصلبه على زعمهم . وهب تلاميذه الروح القدس فهى فيهم إلى الأبد ، وإلا فمن يصدق أن أبا الولد هو الولد نفسه ، والولد هو الآب .

إن كتاب الاستحالة يحمل غلافه اسم : وهيب عزيز خليل . فهل يصدقه أحد إذا قال : أن وهيبا وعزيزا شىء واحد . فعزيز هو وهيب لأنه ابنه ووهيب هو عزيز لأنه أبوه . هل يصدق العقل هذه الدعوى . دعوى الاتحاد الكمى والكيفى بين الأبوة والبنوة ، والبنوة والأبوة . ورحم الله المعرى حين قال :

هذا كلام له خبىء معناه ليست لنا عقول

لا . بل لنا عقول . ومع العقول نقول نفرق بهما بين الحق والباطل أما مسألة التوكيد الذى يثيرها مخرجو الكتاب . فمن الذى قال لهم أننا نريد من الرحمن الرحيم التوكيد .؟! لا . . أبدا . . نحن لا نريد منهما توكيدا يا سيادة « المخرج » ولكننا نبدأ أعمالنا وعباداتنا باسم الله والله وحده . ورغبة فى نجاح مقاصدنا وقبول عباداتنا نثنى على « الله » الأحد فنقول : الرحمن الرحيم . وهما نعتان أو وصفان لله، والله هو الاسم الأعظم أما الثمانية والتسعون اسما الأخرى فهى فى الواقع « صفات » وليست أسماء . فليس لله فى الحقيقة غير اسم واحد هو « الله » وسميت صفاته الثمانية والتسعون « أسماء » من باب المجاز لأن الاسم من خصائصه الثبوت والدوام، والصفة من خصائصها المفارقة، ولما كانت صفات الله لها من ثبوت مواهبها وآثارها ما للأسماء، سميت أسماء لهذا المعنى، ولهذا يفصل بينها وبين الاسم الحقيقى بأنه الاسم الأعظم وهو « الله » والدليل على ما تقول أن كل أسماء الله بعد الاسم الأعظم « الله » كلها مشتقة مثل : القوى العزيز الوهاب الكريم . والمشتقات صفات فى الأصل .

فنحن يا سيد لا نريد من الرحمن الرحيم التوكيد بل نريد التبرك والتيمن وهما وصفان لله من ثمانية وتسعين وصفا . والدليل أيضًا أننا نقول فى إعراب هذه العبارة : الرحمن نعت أو صفة، والرحيم نعت أو صفة لله كذلك . ولو كنا نريد التوكيد أو التعدد فى الذوات يا سيد لأعربنا كلا من الرحمن والرحيم بدلا . فلا تزج بنفسك فى لجة لم تحسن السباحة فيها .

نحن لا نريد التوكيد، ومع هذا فنحن بعيدون كل البعد عن « مثلثكم » بأضلاعه المختلفة . أما لماذا لم نقل : بسم الله الرحمن . فنكتفى بالمثنى . أو لماذا لم نقل : « باسم الله الرحمن الرحيم العليم الرءوف . . » كما تقول أنت . فتعال نقل لك : أننا نقول : باسم الرحمن . . ونقول باسم الله الرحمن الرحيم العليم الحكيم الخبير الأول، والآخر الظاهر، الباطن . . إلى نهاية الشوط . نقول ما نقول ومع هذا فنحن موحدون يا سادة وليست بيننا وبينكم صلة فى « مثلثكم » فاجتنبونا واعتقدوا ما شئتم واياكم والتمسح فينا . كونوا شجعانا واستقلوا برأيكم والله وحده يفصل بيننا وبينكم .

ولكى تطمئن أكثر من أننا لا نقف عند الاثنين فى الثناء على ربنا الواحد الأحد فاقرأ معى هذه الآية :

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وارجوك ان تعد الصفات التى نثنى بها على الله الواحد - كما علمنا هو فى كتابه - إذا عددتها فستجدها ثمانية والموصوف بها واحد لا شريك له .فهل نحن أذن « مثمنون » يا قوم اتقوا الله فينا وفيكم . فقد قبح الله اللجاج .

أما حكاية حبات السبحة، فهى لطيفة جداً، ومسلية جداً . لكنها فارغة من كل مضمون .

لأن المسلم - يا سادة - يقول وهو يسبح ربه سواء كانت معه سبحة أو لم تكن، يقول :

سبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة .

والحمد لله ثلاثا وثلاثين مرة كذلك .

والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة أيضاً .

فهو يسبح « الله » ويحمد « الله » ويكبر « الله » ثم يقول فى النهاية لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. يبدأ موحدا، وينتهى موحدا، ويموت موحدا، ويبعث موحدا لم يعرف فى حياته قط أن يقسم ثروة « التسبيح » بين آب وابن وروح أنه لا يعرف إلا الله الواحد الذى ليس كمثله شيء المنزه عن الصاحبة والولد ؟!

أما الفصل الثانى من « كوميديا المسرح الهوائى الاستحالى الحديث » فهو وإن كان اقصر عرضا من الفصل الأول . فإنه عسر الهضم جداً . وقد صوره المخرج فيما يأتى :

« عندما يقسم الشخص المسلم **فبما** يقسم؟ أنه يقول : والله العظيم **ثلاثة** لماذا لم يقل والله العظيم والله العظيم ويكتفى، أى والله العظيم **اثنين** بدلا من « **ثلاثة** » ووالله العظيم **أربعة** و **خمسة** . وإذا كان المقصود هو التوكيد فإن الأفضل فى هذه الحال ان نردد بدلا من **ثلاثة** القول بأعداد أكثر كثيرا لضمان التوكيد . ولكن المعنى الصحيح فى القول : والله العظيم **ثلاثة** هو :

« والله للآب » و « والله للابن » و « والله للروح القدس » لذلك قيلت : والله العظيم **ثلاثة** . أى والله لله ، و ، والله للرحمن ، و ، والله للرحيم كتاب الاستحالة ص ٢٢٢ .

انتهى النص المسرحى الهوائى الاستحالى الحديث ..؟!

وبادىء ذى بدء ألفت نظر القارىء إلى **الخطوط** التى وضعناها تحت كلمات العدد كلها : ثلاثة، واثنين، وأربعة، وخمسة. وقد سبق أن اصطلحنا على أن هذه الخطوط ترمز إلى خطأ لغوى أو نحوى، وهو كذلك هنا. والمطلوب الآن أن نتعرف وجه الخطأ ثم وجه الصواب الذى ينبغى أن يكون، وهذا التصحيح مهم جدا هنا. والحق يظهر من معنى ومن كلمة كما يقولون.

السيد المخرج أو السادة المخرجون الذين أخرجوا هذا العمل قالوا فى النص السابق « والله العظيم ثلاثة » وصحة العبارة « والله العظيم ثلاثا » والفرق بين خطئهم وصوابنا أن المعدود فى الجملة مؤنث هو « مرة » واحدة المرات، وما دام المعدود مؤنثا فيجب تذكير العدد معه، أى يحذف تاء التأنيث فيقال : « ثلاث » ولا يقال **ثلاثة**. لأن تأنيث لفظ العدد هكذا « ثلاثة » يقتضى أن المعدود مذكر. ومعنى هذا فإن المسلم وهو يقول : « والله العظيم ثلاثا » إنما يريد الاشارة إلى عدد المرات التى يقسم فيها. فكلمة « ثلاثا » عنده عوض عن : « والله العظيم، والله العظيم، والله العظيم » وليس المراد للمسلم – بداهة – أن يشير إلى عدد من يقسم به لأنه هو هو واحد لا شريك له. وذلك التعدد بالنسبة للمسلم لا يقع إلا فى وهم مريض ؟!

هذه واحدة. أما الثانية، فنقول فيها للسادة المخرجين أن المسلم ليس بلازم عنده أن يقول « والله العظيم ثلاثا » بل كثيرا ما يقول : والله العظيم فلا يثنى ولا يجمع، وأن ثنى أو جمع ثلاثا أو أربعا أو خمسا أو حتى ستا[1] فليس فى عقيدته آب، ولا ابن ، ولا روح قدس. وإنما يعنى الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد. فعلام هذا « التمسح » إذا عجزتم أن تقنعوا شبابكم بما تروجون فلا تتوقعوا أنه سوف يقتنع بما تقولون عندما « تلصقونه » بالإسلام وهو منه براء. فالإسلام قادر على أن ينفى عن نفسه الخبث كما تنفى النار خبث الحديد ..؟

اعتمدوا على مصادركم فيما تعتقدون. فالعقائد لا تستعار ولا ترقع. فهل رأيتمونا نؤيد رأيا عندنا، أو نقوى عقيدة بما ليس فى مصادرنا الموثوق بها. أن الإسلام يعترف لكل مخالفيه بحرية الاعتقاد، وحرية العبادة، ولكنه لا يسمح ولن يسمح أن

---

(١) تصل صور القسم فى الإسلام إلى « خمسين مرة » وهذا ما يسمى فى الفقه الإسلامى بالقسامة فى بعض صور القتل. فهل يصبح الآباء والأبناء وأرواح القدس المقسم بها خمسين فتكون النتيجة خمسين إلآها ؟

يستدل بحق فيه على باطل في سواه. ما جاء هو إلا للتحذير منه وبيان سوء المغبة فيه . . ؟!

وننتقل للفصل الثالث من نفس المسرحية . وعنوانه زواج وطلاق . . ؟!

يقول المخرج :

« الزواج والطلاق فى الإسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم، ومعلوم أن الطلاق فى الإسلام يتم **بالثلاثة** . . لماذا يتم **بالثلاثة** . لماذا لا يكون أكثر أو أقل من **ثلاثة** . أن ذلك يرجع إلى أن زواجنا المسيحى يتم باسم **الآب** والابن والروح القدس . وأن ذلك نقل إلى الإسلام مع بعض التعديلات » ص ٢٢٣ .

وهنا يقول المخرج أى كلام، أى شىء وله العذر فقد أجهد نفسه فى الفصلين الأول والثانى، فأصابه اعياء شديد من فرط اخلاصه فى الأداء . وكلامه هنا ينبىء عن تلك الحالة السيئة التي وصل إليها . وقديما قالوا : ما فيك يظهر على فيك ولا غرابة فالكوميديا – عموما – غايتها الاضحاك ووسيلتها الهذيان . . ؟!

الزواج والطلاق فى الإسلام يتم باسم الله الرحمن الرحيم ؟! من أين له هذا الكلام؟! أتنبئنا بما لا نعلم من شريعتنا؟! رحم الله مالكا والشافعى وأبا حنيفة وابن حنبل فقد ترأسوا مراكز الفتيا ورادوا ميادين الاجتهاد وخرجوا من الدنيا وهم لا يعلمون هذا العلم الغزير . قل باسم الله الرحمن الرحيم تصبح زوجا، ثم قل باسم الله الرحمن الرحيم تفقد زوجا . فلا إيجاب ولا قبول، ربما ولا مهر ولا شهود ثلث تتزوج، ثم ثلث فتطلق . ؟!

وهذا التثليث انتقل من المسيحية إلى الإسلام مع بعض التعديلات؟! بم نسمى هذا الكلام؟ نسميه هذيانا، أو هراء، كل هذا كثير عليه . فليبق هكذا بلا اسم . والليالى من الزمان حبالى // مثقلات يلدن كل عجيب . . ؟! ومتى انتقل يا سيادة المخرج؟ وبأى وسيلة نقل كان . الخفيف أم الثقيل أم هو نقل « هوائى » استحالى؟ ومن منا دفع تكاليف النقل؟ نحن؟ لا ثم لا . أتدرى لماذا . لأنه لم يصل شىء إلينا، ولن يصل . وان وصل طردناه شر طردة . وهانت قد جربت . ندفع عن حقنا كل باطل . ولا نتمسح فى ركاب أحد عقيدتنا حياتنا، وحياتنا عقدتنا، بيضاء نقية ليلها كنهارها . خالصة من أوضار الشرك، نقية من رجس الشيطان . دليلها فيها . وبرهانها منها . والله حاميها والحق راعيها .

ثم تعالى معى – أخى القارىء – إلى الفصل الرابع وهو عبارة عن مقارنة بين ما يسمى بالمعمودية فى المسيحية، وبين الوضوء فى الإسلام، وبقدرة غير قادر أصبح الوضوء « تعميد المسلم » استغفر الله – لأنه – أى الوضوء – مأخوذ عن المعمودية . ولكن – كما يقول المخرج – مع بعض التعديلات (!؟) ومما يقوى هذا « التمسح » أن الوضوء يتم باسم الله الرحمن الرحيم .. وقد علمت عزيزى القارىء أن المخرج يأبى إلا أن يتخذ من الله الرحمن الرحيم رمزا لخرافة التثليث عندهم. فإذا كان هذا هو دليلهم على تلك الخرافة فإن حالهم ومثلهم حال من يستضىء بمصباح جار لا سلطان له عليه فكيف يصنع إذا أطفأ جاره مصباحه، أو أحكم غلق النافذة المطلة عليه، ثم تركه يهيم فى ظلماته وظلامه .؟!

وها نحن أولاء قد بينا مرات أن ما نقوله نحن من الثناء على الله الرحمن الرحيم ليس بنافعهم شيئًا. لأن الفرق بين ما نقوله نحن ونعتقده وبين ما يقولونه هم ويعتقدونه فرق ما بين النهار والليل، والنور والظلمات فلا صلة البتة بين الله الرحمن الرحيم، وبين آبهم وابنهم وروحهم القدس ولا صلة البتة بين طهارتنا فى وضوئنا وبين معموديتهم وغطساتهم، فقليلا من « الانضباط » يا سادة، وخذوا ما عندكم أودعوه. ودعوا ما لله لله.

أما الفصل الخامس والأخير من كوميديا المسرح الهوائى الاستحالى الحديث فقد جمع إلى غرابة التصور شناعة الجهل باللغة واعرابها واستولدوا فيه نهاية فصولها كلها على ذينك الأساسين: غرابة التصور، وشناعة الجهل.

ونقل للقارىء ما قالوه حرفيا فى هذا الفصل الخاتم:

« يقال فى الإسلام صلى الله ... »[1] وعندما تعرب كلمة صلى الله باللغة العربية نجدها **فعل متعدى. لابد أن يكون له مفعول به**، وعندما تعرب كلمة الله نجدها **فاعل ... وكما قلنا لابد أن يكون للفعل صلى مفعول به. لأنه فعل متعدى. فالى** من يصلى الله. أن الشخص يصلى دائمًا إلى الأعلى. **إلى الأقوى** ليأخذ منه قوة. الله عندما يصلى **فلمن** يصلى. هل هناك أحد أقوى من الله. حاشا . **فلمن** اذن يصلى الله ... أن هذا واضح أشد الوضوح فى الثالوث المقدس (؟!) فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى. وكانت الصلاة موجهة إلى الآب « المصلى إليه » وكانت

---

(١) يقصد « ﷺ » ؟!

الصلاة هي الروح القدس نفسه الذى يصل بين الابن والآب . أى أن الله الآب « مصلى إليه » الله الابن « مصلى » الله الروح القدس « الصلاة نفسها » ص ٢٣٤ .

والآن لا أملك إلا أن أقول :

« اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا . ولغيرك لا تكلنا يا أرحم الراحمين » .

أن الدعاء برفع البلاء هنا واجب .. واجب، واجب، واجب .. واجب .

لأن هذا القول الشنيع « تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدا » .

أما غرابة التصور، وشناعة الجهل باللغة وإعرابها فإليك بيانهما فى إيجاز :

يقول مخرجو كتاب الاستحالة أن الفعل « صلى » فعل متعد، وهذا جهل فاضح فى اللغة التى يكتبون بها . فهذا الفعل فعل « لازم » يكتفى بمرفوعه فلا يحتاج إلى مفعول به كما يقولون، ومن حق الفعل اللازم أن يخرج عن لزومه ولكن بواسطة حرف الجر فيقال مثلا فى الفعل « وقف » وهو لازم « موقوف عليه » إذا أردنا تعديه إلى مفعول . ومن المؤسف حقا أن مخرجى كتاب الاستحالة حين أرادوا التوصل إلى مفعول الفعل « صلى » قالوا : « مصلى إليه » وهذا يدل على أن الفعل « صلى » لازم ولكنهم حتى مع هذا لم يتنبهوا إلى حقيقة الفعل، وهذا يؤكد ما قلناه من جهل اللغة لدى مخرجى الكتاب . وسبب ذلك الجهل معروف هو الزهد فى اللغة العربية عندهم، لأنها ترتبط تاريخيا بما يرفضه المخرجون وهو الإسلام .

ولا غرابة فى ذلك فالذى يجعل الواحد ثلاثة من اليسير عنده أن يصبح المتعدى لازما واللازم متعديا .

هذا من حيث شناعة الجهل باللغة وإعرابها وما كان أغناهم عن هذا الخلط لولا التمسح والانقياد وراء الأوهام، وتصيد ما حسبوه سندا وما هو بسند ؟!

أما غرابة التصور فتراه فى هذه الافتراضات :

المصلى له : الله الآب ..؟!

المصلى : الله الابن ..؟!

الصلاة : الله الروح القدس ..؟!

ثلاثة آلهات ؟! أى والله الواحد الأحد الذى لا شريك له خالق كل شىء واحد مصل، وواحد مصلى إليه، وواحد هو الصلاة نفسها ؟! أى عقل يعير هذا الهراء اهتماما ..؟!

ومما يزيد هذا التصور الغريب غرابة أن هناك قطيعة بين الله الآب، والله الابن، ولهذا فإن الله الروح القدس «الرجل الطيب المصلح» يقوم يوصل الله الابن بالله الآب؟! أى والله الواحد الأحد هكذا قالوا. وإليك قولهم بالحرف الواحد :

«وكلمة يصلى معناها يتصل **فيمن** يتصل الله. أن هذا واضح أشد الوضوح في الثالوث المقدس. فعندما صلى السيد المسيح له المجد كان هو المصلى، وكانت الصلاة موجهة إلى الله الآب المصلى إليه، وكانت الصلاة هى الروح القدس نفسه الذى يصل بين الابن والآب ...» كتاب الاستحالة (ص ٢٢٣).

تأكدت أخى القارىء أن هناك قطيعة بين الله الابن، والله الآب مهمة الله الروح القدس (رقم ثلاثة) أن يصلح بين الابن وأبيه. نحن لم نقل هذا عليهم، ولكنهم هم – أعنى مخرجى كتاب الاستحالة – الذين قالوه عن أنفسهم .. فهل هذا كلام تنبنى عليه عقيدة تقنع أحدا مهما كان نصيبه من الوعى والإدراك.

وأعود فأذكرك بأمر خطير جدا، وهو أن كاتبهم القدير، كما يسمونه – الأستاذ يسى منصور، سبق أن نقلنا عنه فى غير هذا الموضع أن هؤلاء الثلاثة الآب والابن والروح القدس متساوون فى السلطان ..؟! هذا نقلناه عنه هناك. وتعليقا عليه نقول:

صدقناكم – جدلا – أن هؤلاء الثلاثة متساوون فى السلطان. فلماذا أذن يصلى الله الابن لله الآب. أليس فى هذا نقض لقضية التساوى التى تؤمنون بها. أليس هذا ظلما من الله الآب لله الابن حيث يستعبده بالصلاة وهو مساو له فى السلطان؟!

والله الروح القدس، ألم تقولوا أنه ذات لها كيان مستقل وأن كانت غير منفصلة عن الجوهر الإلهى. فكيف تصبح الذات صلاة والصلاة معنى من المعانى أو هى الأصح عبادة فيها دعاء وترتيل.

ثم أَلَمْ تقولوا أن الروح القدس هى السيد المسيح عند ردكم على من قال أن الروح القدس هى رسول الإسلام.

أوَلَمْ تقولوا أن الروح القدس هى «المعزى» الذى وعد به السيد المسيح تلاميذه بعد صلبه وقتله – كما تزعمون – فانظروا كم تفسير فسرتم به الروح القدس ونحن نعرض عليكم حصيلته نقلا عما وعيناه مما كتبتم وقلتم» وإليكم البيان :

(أ) الروح القدس هو الله الأزلى خالق كل شىء وقادر على كل شىء ..

(ب) الروح القدس هو السيد المسيح ..

(جـ) الروح القدس هو المعزى الذى وعد به السيد المسيح ..

(د) الروح القدس هو الصلاة التى تصل بين الآب والابن ..

فمن من هؤلاء هو الروح القدس يا سادة . فهذه أربع تفسيرات له : واحد للأستاذ يسى منصور فى كتابه « التثليث والتوحيد » وثلاثة لكم فى كتابكم الاستحالة . ومن يدرى فلعل هناك تفسيرات أخرى لم نطلع عليها . أو اطلعنا ونسيناها . أن هذا الكلام الذى تقولونه إن دل على شىء فإنه يدل على أنه ليس وراءه شىء ؟! وددنا أن نفهم ولكن . . ؟!

* * *

أباطيل المقارنات

أشرنا من قبل إلى أن مخرجى كتاب الاستحالة لجأوا أحيانا إلى جدولة أفكارهم التى يدينون بها رسول الإسلام تارة، ويدينون بها الإسلام تارات أخرى أو قل: يتهمون فيها رسول الإسلام والإسلام نفسه من خلال أوهام اصطنعوها واستولدوها من النصوص القرآنية، وما كتبوه فى أناجيلهم. وحينا آخر لا يسعفهم النص القرآنى فيلجأون إلى إثبات أقوال مقتضبة لبعض المفسرين وكان هدفهم المسيطر على كل ما سطروه هو « تعرية رسول الإسلام ﷺ من كل فضل، هذا إذا كانت الموازنة بين رسول الإسلام، وبين عيسى عليهما صلوات الله وسلامه. مع إجلال عيسى (عليه السلام) واضفاء ما ليس هو له عليه ؟!

أما إذا كانت الموازنة بين القرآن والإنجيل أو التوراة فالنجس والادانة والتعرية من نصيب القرآن (!) والفضل والجلال من نصيب التوراة والإنجيل طبعا (!) .

وإذا كانت الموازنة بين الإسلام والمسيحية فالويل كل الويل للإسلام، والحق كل الحق مع المسيحية طبعاً آخر (!) .

هذا هو سلوك مخرجى كتاب الاستحالة فى جدولة أفكارهم. وها نحن أولاء نعرض أمام القارىء نماذج من تلك الجداول كاشفين عما فيها من زيف وباطل كشفا لا زيف فيه ولا باطل.

وقبل أن نبدأ عملنا فى هذا الفرع أرجو من الأخ القارىء أن يستشعر هاتين الحقيقتين :

أولاهما : أننا حين نناقشهم فى شأن ما جاء فى هذه الجداول فإننا نقارن بين رسول الإسلام ﷺ وبين عيسى الذى يصورونه هم فى أناجيلهم لا عيسى الرسول النبى الذى يصوره القرآن، والفرق بين عيسى القرآن وعيسى الإنجيل كبير جدا؟!

وثانيتهما : وحين نقارن بين القرآن والإنجيل أو الإسلام والنصرانية فإنما نقصد الأناجيل التى بين أيديهم، ولا نقصد الإنجيل الذى أوحاه الله إلى عيسي القرآن ولا النصرانية التى أقرها إنجيل عيسى القرآن، بل النصرانية التى عليها القوم الآن. وهذا احتراس تمليه علينا عقيدتنا التى تحترم كل رسول وكل وحى وكل ملة نزل بها وحى.

والآن نبدأ عملنا وبالله التوفيق.

نماذج من الجدول الأول :

تجد هذا الجدول على ص ١٢٥ من كتاب الاستحالة، قدموه بقولهم: « والجدول التالى يوضح أقوال العهد الجديد « الإنجيل » عن رب المجد يسوع المسيح، وأقوال القرآن عن رسول الإسلام، وهو يشغل ثلاث صفحات، كل صفحة شطروها شطرين من أعلى إلى أسفل. وجعلوا الشطر الأيمن خاص برسول الإسلام، والأيسر خاص بعيسى الإنجيل. ثم قسموا كل شطر إلى مستطيلات أو مربعات حسب طول النص وقصره. وكان أول نص من القرآن مع أول نص إنجيلى هكذا :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام :	ما قاله الإنجيل عن المسيح :
﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [فصلت : ٦] والهدف من ذكر هذا النص أن رسول الإسلام بشر فليست له ميزة إذن عليهم	(أنا والآب واحد) يوحنا ١٠ / ٣٠ والهدف من ذكر هذا الكلام أن عيسى الإنجيل هو وآبوه واحد فليس هو – إذن – من البشر ...

العمل والملاحظات :

النص الذى ذكروه فى جانب رسول الإسلام جزء من الآية المشار إليها وإليك نصها كاملا :

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾.

أما ما ذكروه فى جانب عيسى الإنجيل فيحمل رقم ٣٠ وهو آية كاملة من إنجيل يوحناهم الاصحاح العاشر.

وأرجو القارىء أن يتلو الآية القرآنية تلاوة متانية فاقهة. ثم يقرأ النص الإنجيلي. فإنه سيجد هيبة الوحى وجلاله وصدقه فى النص القرآنى الحكيم. أما عبارة الإنجيل

فهي لا تخرج عن كلمة « مجاملة ومحاباة » نرددها كثيرا حين يريد أحدنا أن يجامل صديقا له فيقول : أنا وأنت واحد، أو أنا وهو واحد. تبعا لحضور المخاطب أو غيبته. أليس كذلك ؟!

هذه ملحوظة أولى : أما الملحوظة الثانية فإننا نسأل فيها مخرجي كتاب الاستحالة لماذا لم تذكروا النص القرآني كاملا كما ذكرتم النص الإنجيلي كاملا ؟!

فقد وضعتم كل بضاعتكم في كفة فلم تبخسون بضاعتنا ولا تضعونها كاملة في كفتنا؟

أننا نسألكم ولا نريد جوابا لأنه معروف لنا، ولا بأس أن نذكره هنا لتعلموا أننا ندرك سبب هذا البخس، وهو أنكم لا ترضون أنه أن يكون - رسول الإسلام موحى إليه، ولا تحبون أن تسمعوا أن الله واحد، لأنه عندكم ثلاثة ولأن الآية تدعو بالويل على المشركين. هذا هو الجواب، ونحن نعذركم في حذف بقية الآية لأن قول الله فيها :

﴿ **إنما إلهكم آله واحد** ﴾ يبدد في ثوان قولكم « أنا والآب واحد » أليس كذلك يا أمناء الإنجيل .

ونموذج آخر :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٢٩] .

ما قاله الإنجيل عن السيد المسيح :

« قال له يسوع اذهب يا شيطان » متى ٤ / ١٠

العمل : وردنا على هذه المقارنة موجز جدا. وخلاصته من هو المتفوق في هذه المقارنة محمد رسول الإسلام ﷺ. أم عيسي الإنجيل. رسول الإسلام أثر في الشيطان تاثيراً عظيماً حيث جعله يستمع القرآن وينصت إليه ويؤمن به. ثم يذهب إلى قومه وينذرهم .

وعيسى الإنجيل قال للشيطان : اذهب يا شيطان. وهنا احتمالان، أحدهما أن يمتثل الشيطان لكلام عيسى الإنجيل فيذهب، ولكن حين ذهابه فهو شيطان لم تتغير

طباعه. والاحتمال الثانى أن لا يمتثل الشيطان لأمر عيسى، وفى هذه أيضًا فهو شيطان. وهو على كل حال شيطان امتثل فذهب. أم لم يمتثل فبقى ولم يذهب.

أما محمد عليه السلام فقد اهتدى به الجن وآمن وصاروا يدعون قومهم إلى الحق. ما رأيكم فى هذا ؟! أليس حقا يا قوم.

النموذج الثالث :

ما قاله القرآن عن رسول الإسلام :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾

[الزمر : ٣٠].

ما قاله الإنجيل عن السيد المسيح :

« أنا حى فأنتم ستحيون »

(يوحنا ١٤/١٩).

العمل : النص القرآنى يقضى بأن كل حى سوف يموت نبيا كان أم غير نبى، حيوانا أو طيرا، مؤمنين وكافرين، فلا ينجو من الموت أحد.

أما النص الإنجيلى فيحتمل معنيين، أحدهما افتراضى تقديرى، والثانى قريب منه وهما: أما أنه يعنى أن عيسى الإنجيل يعد أتباعه بأنهم لم يموتوا أبدا. وهذا هو الافتراضى التقديري بحسب مدول العبارة لفظا. والثانى أنهم سيحيون حياة هداية وتكريم.

وعلى كلا الأمرين فمخرجو كتاب الاستحالة مخطئون كل الخطأ فى هذه المقارنة لأنهم أن اختاروا المعنى الثاني وهو حياة الهداية والتكريم فلا تصح المقارنة لأن النص القرآنى فى واد، والعبارة الإنجيلية فى واد آخر. والمعروف أن المقارنة تكون بين متماثلين. وهذا هو وجه تخطئتهم على هذا المعني .. وأن أرادوا المعنى الثانى وهو أن أتباع عيسى الإنجيل لن يموتوا أبدا فإن جسامة خطئهم فيه تهتز منها رواسى الجبال. لأننا نرى أتباع عيسى الإنجيل يموتون كما يموت اتباع محمد وموسى عليهما صلوات الله وسلامه ويموتون كما يموت كل الناس ولم نر نصرانيا واحدا منح الخلود فلم يمت. أن قانون محمد عليه السلام، وهو « أنك ميت وأنهم ميتون » هو الذى يطبق عليهم وليس قانون عيسى الإنجيل الذى يقول: « أنا حى فأنتم ستحيون »؟!

إن الخاسر الوحيد فى هذه المقارنة ليس هو الإسلام ولا رسول الإسلام ولا المسلمين ولا القرآن. بل الخاسر الوحيد هو مخرجو كتاب الاستحالة، وعيسى الإنجيل .. ولو أن مخرجى كتاب الاستحالة فكروا قليلا قبل عقدهم هذه المقارنات لعزفوا عنها لأنها ضدهم وليست لهم.

نماذج من الجدول الرابع [1] :

تمهيد : كلمة « الإنجيل » الآن لها دلالتان : **الأولى إسلامية** وهى أن الإنجيل هو الكتاب الذى أوحى به الله إلى عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام. وهو فى جوهره لم يختلف عن الكتب السماوية من الدعوة إلى التوحيد وهداية البشر.

والثانية نصرانية وهى تعنى الأناجيل الأربعة التى تنسب لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا.

وهى تصور السيد المسيح بصورة تختلف كل الاختلاف عن:

(أ) منهج الرسل والأنبياء فى الدعوة إلى الله.

(ب) ما يقرره القرآن عن عيسى عليه السلام.

والفرق كبير جدا بين الدلالة الإسلامية لكلمة، إنجيل، وبين الدلالة النصرانية المسيحية. فالمسلمون يؤمنون بأن الإنجيل كتاب موحى من الله. والنصارى يؤمنون بأنه ليس وحيا بل هو كلام عيسى نفسه، كما تقدم.

وعلى هذا فإن الإنجيل الموحى به لا وجود له الآن، وهذا ما يوسع دائرة الاختلاف بيننا وبين النصارى.

والمطلع على الأناجيل الأربعة يجد أن كتابها قد استفادوا كثيرا من الإنجيل المنزل على عيسى قبل ضياعه، فنقلوا عنه بعض الوقائع التى لا طريق إلى العلم بها إلا الوحى المنزل من عند الله. ثم أضافوا إليها عقائد وآراء وتوجيهات ليس لها أدنى صلة لا بالوحي المنزل، ولا بكلام رسول مرسل من عند الله.

وعلى هذا فإن التشابه بين القرآن، وبين بعض ما ورد فى كل من التوراة، والأناجيل الأربعة أمر « مسلم عندنا نحن المسلمين. إذ لا ضرر أن يتحدث القرآن عن أمور هى من بقايا الوحى فى كل من عهدى الكتاب المقدس، لأن مصدرها كلها فى الحقيقة هو الله. فالتوراة وحى، والإنجيل وحى. والقرآن وحى. وكلها فى الأصل كتب سماوية استهدفت هداية الناس إلى الحق.. وقد ترد واقعة بعينها فى كل من المصادر الثلاثة: التوراة والإنجيل والقرآن. وهذا هو ما يسميه مخرجو كتاب الاستحالة باقتباسات القرآن من التوراة والإنجيل. ونحن نقول لا. ليس الأمر اقتباسا، لأن المقتبس (بكسر الباء اسم فاعل) محتاج إلى « المقتبس منه » (بفتح الباء اسم مفعول).

---

(١) كل من الجدولين الثالث والرابع معقودان من أجل هدف واحد هو بيان اقتباسات القرآن من التوراة والإنجيل – على زعمهم – ومناقشة أحد الجدولين تغنى عن الآخر لأن الهدف من مناقشتنا لهم فيها إنما هى لبيان الزيف الذى توهموه من عقدها. وإنما اخترنا الجدول الرابع دون الثالث لأنه خاص بالإنجيل. وأهل الإنجيل هم الذين نحاورهم فى هذه المواجهة الموضوعية..

فالقرآن لم يأخذ أو يقتبس من التوراة أو الإنجيل، وإنما هو تصوير أمين لحقائق الوحى التى تلقاها من مصدرها الحقيقي وهو الله.

ولنضرب لهذه الفكرة مثلا هو الآتى:

(أ) هو رمز لمحيط ضخم متدفق بالمياه الصافية العزية.

(ب) فرع صغير استمد مياهه الجارية فيه من المحيط الضخم المرموز له بـ(أ).

(جـ) فرع آخر استمد مياهه من (أ).

(د) فرع ثالث أكثر عمقا وأكبر عرضا وأطول مجرى من الفرعين ب، جـ، استمد مياهه من نفس المصدر الضخم (أ) وظل محافظا على صفاء المياه الجارية فيه وعلى لونها وطعمها ورائحتها رغم طول مجراه وعظم عمقه. بينما تعفنت المياه فى كل من الفرعين ب، جـ. وترسبت فيها رواسب غيرت الطعم واللون والرائحة، فلم تعد صالحة للاستعمال.

هذا هو المثل فهل يقال أن (د) استمد ما فيه من ب، أو جـ. أو يقال أنه استمد مياهه من (أ) المصدر الكلى للجميع؟ هل مجرد التشابه بين الفروع الثلاثة يسوغ لعاقل أن يقول أن (د) أخذ بعض مياهه من (ب) أو (جـ) لأن فيها ماء شبيها بما فى (د). وإذا ساغ لأحد أن يدعي هذا فهل يصدقه عاقل.

أن المصدر الرئيسى المرموز له بـ(أ) هو « الوحى الإلهى » والفرع المرموز له بـ(ب) هو التوراة، والمرموز له بـ(جـ) هو الإنجيل. أما الفرع العظيم المرموز له بـ(د) فهو القرآن. فالتوراة والإنجيل غيرتا من حقائق الوحى تغييرا افقدنا الثقة فيهما معا. وهذا ما نعنيه بتلوث المياه الجارية فيهما. أما القرآن فقد حفظ حقائق الوحى حفظا تاماً فلم ينله تغيير ولا تبديل. وهذا ما نقصده بصفاء المياه الجارية فيه وعذوبتها، لأن مجرى هذه الأنهار جميعا قدر أن يكون (د) هو المسقى الخالد للناس خلودا لا يضر معه جفاف المياه فى غيره أو فساد طعمها. ما دام هو وافيا بحاجة الجميع.

فتعال معى أخى القارىء ننظر فى بعض ما توهموه هنا اقتباسا. وهأنت قد علمت وجه الصواب فى هذه الأمور. فإليك البيان على الوجه الآتى:

الحقيقة المقارنة	مكانها فى الإنجيل	مكانها فى القرآن
بشارة زكريا بابنه يحيى	لوقا ١ /٧ — ٢٢	آل عمران ٣٨ — ٤١ مريم ٢ — ١٥

والمطلوب منا الآن أن نحول رموز هذه البطاقة إلى نصوص حية وكلمات ناطقة وها هي ذا :

● **أولاً – نصوص الإنجيل :**

لم يكن لهما ولد : إذ كانت اليصابات عاقرا، وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما. فبينما هو يكهن في نوبة غرفته أمام الله، حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل إلى هيكل الرب وينجز، وكان كل جمهور الشعب يصلي خارجا وقت البخور. فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب وقع عليه خوف. فقال له الملاك لا تخف يا زكريا، لأن طلبتك قد سمعت، وامرأتك اليصابات ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا. ويكون لك فرح وابتهاج، وكثيرون سيفخرون بولادته، لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلآههم. ويتقدم أمامه بروح أيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء، والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيىء للرب شعبا مستعدا. فقال زكريا للملاك كيف أعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها. فأجاب الملاك وقال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله، وارسلت لأكلمك؛ وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنك لم تصدق كلامي الذي سيتم في وقته. وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائه في الهيكل. فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ففهموا أنه قد رأى رؤيا في الهيكل. فكان يومىء إليهم وبقي صامتا لوقا : ١ / ٧ – ٢٢ .

● **ثانيا : نصوص القرآن :**

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ * فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ

مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران : ٣٥ – ٤١][(١)].

والنصوص القرآنية الآتية من سورة مريم :

﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم : ١ – ١٥] .

هذه هى النصوص التى أشار إليها مخرجو كتاب الاستحالة فى هذه المقارنة وها نحن قد نقلناها من مصادرها نقلا وافيا. وها هى ذى النصوص بين يدى القارىء فليقرأ النصوص الإنجيلية مرات، وليقرأ النصوص القرآنية مرات، ولا ينسى أن القضية هنا هى ادعاء مخرجى كتاب الاستحالة اقتباس القرآن هذه الواقعة من أناجيلهم. وليحاول القارىء فى وعى تام المقارنة الدقيقة بين النصوص التى أدعوا أنها مقتبس منها، وبين النصوص التى أدعوا أنها اقتبست مع ملاحظة أن عهد الأناجيل أسبق زمنا

---

(١) ألفت نظر القارىء – هنا – إلى أن مخرجى كتاب الاستحالة قد أهملوا من النص القرآنى ثلاث آيات هى ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ونحن ذكرناها كما ترى وستعلم سبب الحذف قريبا.

من القرآن إليها . وهذه القرابة تقتضى أن النصوص الإنجيلية قد صورت الواقعة المقصوصة تصويرا كاملا بحيث تسد كل المنافذ أمام القرآن فلا يأتى بجديد لم تذكره هى . والواقع يخالف ذلك كله .

فالقرآن مع أنه لاحق فى النزول وليس سابقا قد قام بمهمتين جليلتين بالنسبة للنصوص الإنجيلية وهما :

(أ) تصوير الواقعة المقصوصة تصويرا كاملا .

(ب) تصحيح أخطاء وقعت فى النصوص الإنجيلية .

هذا بالإضافة إلى دقائق نلحظها فى النصوص القرآنية ، لا وجود لها فى النصوص الإنجيلية . وإليك البيان ومن الله وحده نستمد التوفيق والالهام .

ففى جانب المهمة الجليلة الأولى ذكر القرآن ما يأتى :

(أ) نذر امرأة عمران ما فى بطنها محررا لله . وهذا لم يأت فى النص الإنجيلى .

(ب) وضعتها أنثى وكانت ترجوه ذكرا ودعاؤها ربها بحفظ مولودتها وذريتها وهذا أيضاً غير وارد فى النص الإنجيلى .

(جـ) كفالة المولودة زكريا عليه السلام ووجود الرزق عندها وسؤال زكريا عن مصدر هذا الرزق وجوابها على هذا السؤال . وهذا لا وجود له فى النص الإنجيلى .

(د) الربط بين قصة الدعاء بمولود لزكريا وبين قصة مولودة امرأة عمران . وهذا مفقود فى النص الإنجيلى .

(هـ) دعاء زكريا نفسه منصوص عليه فى القرآن نصا صريحا . أما النص الإنجيلى فأشار إليه من خلال كلام « الملاك » وهو « لأن طلبتك قد سمعت » ولا شىء أكثر من هذا .

هذا بالنسبة إلى نص آل عمران . أما نص سورة مريم ففيها الإضافات الآتية :

(أ) ما رتبه زكريا عليه السلام من هبة الله له وليا . وهو وراثته ووراثة آل يعقوب .

(ب) السبب الذى حمل زكريا على أن يدعو ربه بهبته الولى ، وهو خوفه الموالى من بعده .

(جـ) كون زكريا أوحى إلى قومه بتسبيح الله بعد خروجه من المحراب .

(د) الثناء على المولود « يحيى » من كونه بارا بوالديه عطوفا مسلما عليه من الله حين ولادته ويوم موته ويوم يبعث حيا . إلخ .

(هـ) الأمر يأخذ يحيى الكتاب وكونه « حاكما » في صباه . وكل هذه الأمور مفصلة في النصوص القرآنية بينما خلا منها النص الإنجيلي؟

(و) تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام في آل عمران وثلاث ليال في مريم ولم يرد ذلك في الإنجيل.

أما المهمة الثانية الجليلة. وهي تصحيح الوقائع وعرضها عرضا أمينا في القرآن فحسبك أن تعرف :

أولاً : جعل النص الإنجيلي الصمت الذي قام بزكريا بعد خروجه من المحراب عقوبة من الملاك . فصحح القرآن هذه الواقعة وجعلها استجابة لدعاء زكريا عليه السلام :

﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا** ﴾ [آل عمران : ٤١].

﴿ **قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا** ﴾ [مريم : ١٠].

ونحن لا ننكر أن بعض مفسري القرآن الكريم قد ذهب إلى القول بأن صمت زكريا كان عقوبة له، ولكن من الله لا من « الملاك » ولكن الحقيقة التي نحب أن يعيها الجميع أن النص القرآني نفسه خلا من هذا الجعل. بل أن سياق الكلام فيه يدل دلالة قوية على أن ذلك الصمت كان تكريما لزكريا باستجابة دعوته. بينما النص الإنجيلي نفسه يشتمل على هذا الجعل بوضوح وليس هو واردا في كلام مفسريه واذن لهان الخطب ولكي يطمئن مخرجو كتاب الاستحالة أننا لا نرفض القول بجعل الصمت عقوبة، لأنه ورد في إنجيلهم، فإننا نقول لهم : إننا نرفضه أيضا في مصادر إسلامية ولعلماء مسلمين لأننا نرفض الباطل ومشتقاته مهما كان القائل به مسلما أم غير مسلم. وكفانا اقتناعا أن نصوص القرآن خلت منه ولا عبرة بقول تعارضه طبيعة النصوص في منطوقها ومفهومها. وهذا هو ما نريد اثباته هنا، لأن المقارنة منصبة على نصوص إنجيلية، ونصوص قرآنية، ولا عبرة بغيرها أبدا.

ووفاء لأمانة العلم نقول أن جمهور مفسري القرآن رفضوا أن يكون الصمت عقوبة لزكريا عليه السلام، لأنه لم يخطىء فكيف يعاقب وهو بريء، ولسانه يلهج بشكر ربه وتسبيحه.

ثانيا : النصوص الإنجيلية تجعل البشارة على لسان ملاك واحد. بينما القرآن الحكيم يسند تلك البشارة إلى جنس الملائكة، أي أن جمعا منهم قد ناداه وبشره ﴿ **فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ** ... ﴾ [آل عمران : ٣٩].

﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٧].

ففى آل عمران كانت كلمة ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ ﴾ وفى مريم ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ ﴾ بضمير الجمع. وبعيدا جدا أن يكون المنادى ملكا واحد. ويقول القرآن ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ ﴾ فالوحدة هنا لم تقل بها حقيقة ولا يتحملها مجاز وعلى هذا فإن النص القرآنى قد صحح واقعة أخطأ فى عرضها الإنجيل. ولهذا دلالته التى لا تخفى على ذي نظر وتأمل.

ثالثًا: النصوص الإنجيلية تفيد أن « التسمية » يوحنا[1] « هى من اختيار زكريا وكل ما في الأمر أن الملاك تنبأ بها ». بينما النص القرآنى يقرر أن التسمية هى من اختيار « الله » بدليل أن القرآن عبر عن الفكرة بالجملة الإسمية « اسمه يحيى » وهى من معانيها الثبوت. بينما عبر الإنجيل بالجملة الفعلية « تسمية يوحنا » ومن معانيها الحدوث والتجدد.

ويؤكد المعنى الذى يفهم من النص القرآنى خاتمة الآية نفسها ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾.

وهذا تصحيح ثالث قامت به النصوص القرآنية للوقائع التى وردت فى الإنجيل.

رابعًا: أن النصوص الإنجيلية تقرر أن زكريا عليه السلام حين جاءه الملاك « اضطرب ووقع عليه خوف » وخلا النص القرآنى من تسجيل هذه الواقعة. فدل خلوه منها على أنها لم تقع.

وليس هذا تعصبا منا لنصرة النص القرآنى على النص الإنجيلى، وإنما تسجيل لما نراه حقا. ودليلنا على ذلك:

أن القرآن الحكيم عودنا فى قصه للوقائع المناظرة لهذه الواقعة أن يقصها إذا وقعت ولا يهملها بدليل أنه حكاها عن موسى عليه السلام فى واقعة السحرة فقال: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ [طه : ٦٧] وقال فى حقه أيضاً: ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص : ٣١].

وحكاها عن إبراهيم عليه السلام حين جاءته الملائكة تبشره بغلام حليم فقال سبحانه: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴾ [الحجر : ٥١ – ٥٢].

---

(١) المقابل لـ « يحيى فى القرآن ».

وحكاها عن مريم حين دخل عليها الملك فى صورة بشر فقال: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم : ١٨] .

والمنهج القرآنى فى حرصه على النص على هذه المواقف المناظرة لما حكاه الإنجيل عن زكريا يدل بخلوه من النص عليها أنها لم تحدث. إذ لو حدثت لذكرها كما هو متبع فى منهجه. هذا دليلنا. وما أظن أحدا ينكره علينا. وعلى هذا فإن سكوت القرآن عن ذكر ما نسبه الإنجيل إلى زكريا من خوف واضطراب يعتبر تصحيحا لتلك الواقعة، وأنها لم تحدث. وهذا هو التصحيح الرابع للنصوص الإنجيلية تقوم بها نصوص القرآن اللاحق للإنجيل فى الترتيب النزولى !!

والحال قارئنا الكريم ينتظر منا الآن أن نذكر له دقائق التعبير القرآنى والتى خلا منها النص الإنجيلى. وها نحن أولاء نلبى ذلك الرجاء بقليل من كثير.

- **دقائق النص القرآنى :**

فى سورة مريم جاء تحديد مدة الصمت عن الكلام بأنها ثلاث ليال سويا . فإذا وضعنا فى الاعتبار سبق سورة مريم لسورة آل عمران فى النزول، لأن الأولى مكية وآل عمران مدنية كان معنى هذا أن الصمت الذى أجيب به دعاء زكريا كان خاصا بالليالى الثلاث دون نهاراتها.

وفى سورة آل عمران المدنية جاء تحديد مدة الصمت بثلاثة أيام. ولليوم دلالتان : أحداهما اختصاصه بالنهار دون الليل. وأخراهما شموله لليلة والنهار اللاحق بها وعلى هذا فإن التحديد الذى جاء فى آل عمران قد أوضح أن الصمت كان شاملا لليل والنهار سواء فهمنا من النص دلالته الأولى فيكون مكملا لما بدأته سورة مريم : ليال هناك + نهارات هنا. أو فهمنا من النص دلالته الثانية وعلى هذا يكون التحديد فى آل عمران مؤكدا ومكملا لدلالته على الليالى ونهاراتها الثلاثة ومجيء الليل فى مريم لأن الليل أسبق من النهار وجودا. وعلى كل فإن هذه الواقعة استكملت فى آل عمران وهذا هو شأن القصة فى بنائها وتكوينها.

* وصف الهيئة التى كان عليها زكريا حين نادته الملائكة وبشرته بيحيى جاء فى النص القرآنى مبينا تبيينا دقيقا يتخيله الشعور من العبارة الدالة عليه فلا يخطىء الإدراك « وهو قائم يصلى فى المحراب » وليس لهذا الوصف الدقيق نظير فى النص الإنجيلى.

* طهارة السلوك وسلامة الفطرة التى من الله بها على يحيى دل عليها النص القرآنى دلالات قوية جامعة. فهى فى مريم ﴿ **وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا** ﴾ .

وهى فى آل عمران : ﴿ **وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ أما النص الإنجيلى فاكتفى بهذه العبارة « لأنه يكون عظيما أمام الرب، وخمرا ومسكرا لا يشرب » وليس الصلاح مقصورا على ترك الخمر والمسكر. بل كلمة « وكان تقيا » الواردة فى النص القرآنى لهى أجمع لمناقب الفضل والخير مما ذكر فى النص الإنجيلي، وكذلك شهادة القرآن ليحيي فى آل عمران « ومن الصالحين » وصف جامع لكل فضل .

ولو رحنا نستتبع كل صور المقارنة فى هذه النصوص لوضعنا فى كفة القرآن نفائس لم نجد فى النص الإنجيلى نظيرا لها نضعه فى كفته. فحسبنا من القلادة ما أحاط بالعنق كما يقولون.

- **وقفة مع دعوى الاقتباس:**

موضوع الدعوى هنا أن مخرجى كتاب الاستحالة يدعون أن القرآن اقتبس من الإنجيل بعض الوقائع.

والواقعة التى هى موضوع دعوى الاقتباس - هنا هى **حادثة تاريخية دينية** محددة ببشارة زكريا عليه السلام بيحيى نبى الله ورسوله. ووثائق تسجيلها هى **الإنجيل والقرآن** الأمين.

وصلة الإنجيل بالواقعة المقصوصة أنه سجلها بعد زمن حدوثها بقليل لأن عيسى كان معاصرا ليحيى عليهما السلام.

وصلة القرآن بالواقعة أنه سجلها بعد حدوثها بزمن طويل (سبعمائة سنة) تقريبا.

وقرب الإنجيل من وقوع الحادثة المقصوصة، وبعد القرآن الزمنى عنها يقتضى إذا سلمنا بدعوى الاقتباس المطروحة أن يأتى الاقتباس فى القرآن على إحدى صورتين:

إحداهما : أن يقتبس جزءاً مما ورد من القصة الكلية فى الإنجيل. وتظل القصة فيه ناقصة عما هى عليه فى المصدر المقتبس منه (الإنجيل) على حسب زعمهم !!

والأخرى: أن يقتبس القرآن القصة كلها كما هي فى « الإنجيل » سواء أخذها بألفاظها أو صاغها فى أسلوب جديد بشرط التقيد بالمعانى الواردة فى المصدر المقتبس

منه، لأن الفرض قائم – حتى الآن – على أن القرآن لم يكن له مصدر يستقي منه « الواقعة » غير الإنجيل المقتبس منه (!) ومحظور على القرآن عملا بهذه القيود التي تكتنف قضية الاقتباس للوقائع التاريخية من مصدرها الأوحد، محظور على القرآن أن يأتي بجديد، أو يضيف إلى الواقعة ما ليس في مصدرها الأوحد.

فماذا صنع القرآن إذن ؟! هل اقتبس من الإنجيل جزء الواقعة المقصوصة موضوع الاقتباس ؟ أم اقتبس الواقعة كلها دائرا في فلك المصدر الأوحد (الإنجيل) .

لو كان القرآن قد صنع هذا: اقتبس جزد الواقعة أو الواقعة كلها، ولو مع تغيير في الصياغة لكان لدعوى الاقتباس « تلك » ما يؤيدها من الواقع. ولما اختلف مع مخرجي كتاب الاستحالة أحد في التسليم بها وتصديقها؟!

ولكننا رأينا القرآن لم يقتبس جزء الواقعة، ولا الواقعة كلها، وإنما صورها تصويرا رائعًا. سجل كل حقائقها. والتقط بعدساته كل دقائقها، وعرضها عرضا جديدا نقيا صافيا، وربط بينها وبين وقائع كانت بالنسبة لها كالسبب الموجد لها في بناء محكم وعرض أمين. وهذا يرد على مدعي دعوى الاقتباس دعواهم خاسئة وهي حسيرة.

ولم يقف القرآن عند ذلك الحد من العرض الأمين المستقل. بل قام بتصحيح الكثير من الأخطاء الواردة في النص الإنجيلي – كما قد رأينا – أما بالنص وأما بالسكوت. وهذا لا يتأتى من مقتبس ليس له مصدر سوى ما اقتبس منه. وإنما يتأتى ممن له وسائله وسلطانه المتفوق بحيث يتخطى كل الحواجز ويسجل الواقعة من « مسرحها » كما رآها هو، وعقلها هو، وسجلها هو. وكان هذا هو القرآن.

أن المصدر الوحيد لما قصه القرآن علينا من وقائع التاريخ السحيق الضارب في أعماق الزمن، إنما هو الوحي الأمين، وليس ما سجله الأحبار والكهان والكتبة في توراة أو أناجيل. ولو كان القرآن مقتبسا لهذه الواقعة – مثلا – من الإنجيل لانبعثت منه رائحة البخور الإنجيلي – مثلا آخر – ومخرجو كتاب الاستحالة يدركون معنى ما أقول..؟!

وتعالوا معنا الآن نناقش نموذجا آخر من نماذجكم التي أدعيتم فيها اقتباس القرآن من الإنجيل نموذج من قسم الأمثلة – المضروبة، وليس من قسم الوقائع، فكفانا الذي قدمناه فيها.

وهذا النموذج مثل مختار بغير اختيار. وهو الذى اشرتم إليه بالرقم ١٧ كما هو مبين فى الجدول الآتى :

الموضوع	مكانه بالإنجيل	مكانه بالقرآن
مثل استحالة دخول الجمل من ثقب إبرة	مرقس (١٠/ ٢٥)	الأعراف (٤٠)

ولنفرغ هذه البطاقة فنحول رموزها إلى نصوص.

النص الإنجيلى : « مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من دخول غنى إلى ملكوت الله » مرقس (١٠/ ٢٥) .

النص القرآنى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

وبادىء ذى بدء نقول لكم: أن صياغة المثل فى الإنجيل غير متكافئة مع الفرض الذى عنونتم له بـ« استحالة دخول الجمل من ثقب إبرة » أن صياغتكم للمثل هنا قاصرة عن الوفاء بحق المعنى. اتدرون لماذا؟ لأنكم صغتم أفعل تفضيل من يسر. فقلتم « أيسر ». ومنطوق هذه الصياغة ومفهومها يدلان على أن مرور الجمل من ثقب الإبرة « ممكن » وكذلك دخول « الغنى » إلى ملكوت الله، لأن قاعدة أفعل التفضيل « لعلمكم » تفيد أن اثنين اشتركا فى صفة، وهى هنا اليسر بمعنى الإمكان. غير أن أحدهما وهو المفضل الذى هو مرور الجمل فى ثقب الإبرة أزيد فى تلك الصفة من المفضل عليه وهو هنا دخول الغنى إلى ملكوت الله. هذه واحدة والثانية :

أنكم عبرتم بالغنى. وليس الغنى ذنبا يا سادة. بل قد يكون الغنى سببا فى اجتياز صاحبه كل العقبات حتى يستقر فى رضوان الله. وهذا إذا كان صاحب المال مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، شاكرا لأنعم الله عليه، معطاء منفاق مبذال للمال فى مرضاته. ومن الأمثلة التى تقال فيكون القائل بها صادقا هذا المثل : الغنى الشاكر خير من الفقير الصابر.

● **وبقيت الثالثة وهى :**

أنكم عبرتم بـ « ملكوت الله » وهذه العبارة تصلح لعدة معان منها كون الله، ومنها جنة الله ورضوانه، ولا جدال أن الأرض وما عليها وما فيها من « ملكوت الله » والغنى والفقير والجن والطير كلها داخلة فى ملكوت الله، لأنها تعيش وتمرح فى الحياة الدنيا ولم يقل أحد أن الدنيا ليست من « ملكوت الله » فلله ما فى السموات وما فى الأرض وما تحت الثرى .. ولهذا فإن عبارتكم هذه بالنسبة لبناء المثل الذى به تفخرون – ليست دقيقة فى مدلولها إذ كيف تحظرون على الغنى الدخول إلى « ملكوت الله » وهو فيه بالفعل ؟!

ثم تعالوا الآن إلى النص القرآنى الذى زعمتم أنّه مقتبس من إنجيل مرقسكم ذاك وحسبنا – رغبة فى الاختصار – أن نبين لكم أنه ترفع عن المآخذ الثلاثة التى أبناها لكم فى مثلكم القدوة.

فأولاً : أنه لم يعبر بالغنى كما عبرتم وإنما جاء فيه :

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا** ﴾ وهذان الوصفان : التكذيب بآيات الله، والاستكبار عنها يستوى فيهما الغنى والفقير. فليس الغنى – دائمًا – أثمًا وليس الفقر – دائمًا – فاضلا . بل قد يلتقى الغنى والفقير فى الفضل كما يلتقيان فى اللؤم والمعصية. فالمعول عليه هو صلاح السريرة واستقامة السلوك.

وثانيًا : أنه لم يعبر بـ« ملكوت الله » كما عبرتم وإنما جاء فيه :

« لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة » أى أنهم فى جزء من ملكوت الله، يستوى فى الانتفاع به مؤمنو عباده وكافروهم، ولكن جزءًا آخر من ملكوت الله وهو الجنة ونعيمها هو محرم عليهم.

وثالثًا : أنه لم يعبر بـ« أيسر » كما عبرتم وإنما جاء فيه :

« حتى يدخل الجمل فى سم الخياط » والجمل لن يدخل فى سم الخياط، فهذا مستحيل والمعلق على المستحيل مستحيل مثله ؟!

وبعد هذا العرض الموجز هل يستساغ لديكم القول باقتباس القرآن من الإنجيل؟ وإذا قلتم نعم فهل تظنون أن أحدا سيقتنع بما تقولون؟ .. فكروا .. ؟!

وعند هذا الحد نقف فى رد دعواكم الاقتباس. وفى ما قدمناه كفاء لدحض هذه الفرية، ولن نسترسل استرسالكم فى تعدد نماذج المقارنة، فإن لنا معكم جولات أخرى فى ادعاءاتكم الباقية.

وأكرر فاقول : وعند هذا الحد نقف لا عجزا ولا تسهيبا، وإنما لأن جدولكم هذا الذى ناقشنا نموذجين من نماذجه، وبقية جداولكم إنما هى « بالونات » ملأتموها بنفخكم الهواء فيها . ويكفى أن تثقب « البالونة » بطرف دبوس أو إبرة فى أى موضع فيها فلا تلبث أن تفرغ كل ما فيها من هواء فاسد . هكذا صنعتم « بالونات »؟ وهكذا صنعنا؟ « ثقبا » فيها . فلن تلبث أن تزول . وإن عدتم عدنا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٦ – ٣٨] .

- **الجدول الخامس :**

هذا الجدول تراه على الصفحتين (٢٨٢ / ٢٨٣) وقد قدموه بهذه العبارة « ليس معنى استشهادنا بالقرآن أننا نتفق معه تماما . لكن مما لا شك فيه أن هناك كثيرا من نقاط الخلاف نورد بعضها على سبيل المثال فقط » .

ثم خصصوا هذا الجدول للمقارنة بين نصوص من القرآن الحكيم، وضعوا بازائها نصوصا إنجيلية تختلف معها فى الأسس والمبادىء . وهدفهم من هذه المقارنة أن المبادىء التى تنص عليها النصوص القرآنية مرفوضة عندهم، لأن النصوص الإنجيلية تختلف معها . جاعلين النصوص الإنجيلية تشغل الجزء اليمينى من الجدول من أعلى الصفحة إلى أسفلها . والنصوص القرآنية تشغل الجزء اليسارى منها كذلك . وهى سبعة نصوص إنجيلية وسبعة نصوص قرآنية .

وإليك النموذج الأول منه :

ما جاء فى الإنجيل	ما جاء فى القرآن
« أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » متى (٥ / ٤٤)	**﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾** [البقرة : ١٩٤] .

نقدم للقارىء بين يدى هذه المقارنة كلمة قصيرة، مؤداها أنه ينبغى أن يدرك وهو يوازن بين النص الإنجيلي والنص القرآنى الحكيم، أننا لا يمكن أن نجزم بأن السيد المسيح عبدالله ورسوله هو قائل هذا الكلام، ولا يمكن – كذلك – أن نجزم بأنه لم يقله. فالأمر عندنا قائم على الشك، فقد يكون هذا من وعظه وقد لا يكون . كما أننا نذكر القارىء بأن الفرق شاسع جدا بين رسالة جاءت ملحقة برسالة أخرى تدخل عليها بعض «التعديلات» الوقتية، وتخفف عن بني إسرائيل بعض التخفيف وهى رسالة عيسى بالنسبة لرسالة موسى عليهما السلام، وكلتاهما رسالتان مؤقتتان فى علم الله.

وبين رسالة خالدة جاءت لتبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهى رسالة الإسلام فبينما اقتصرت رسالة السيد المسيح على التوجيهات الروحية نظرا للمادية المظلمة التى كانت متفشية فى بنى إسرائيل فإن الله قد أودع فى الإسلام مقومات البقاء الأبدى. فجاء الإسلام بصدره وجناحيه ليجوب أجواء الأفق الفسيح. أما الصدر فهو العقيدة الصحيحة فى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وثوابه وعقابه ووعده، ووعيده وصلة الإنسان بالله وبالكون، ووظيفته فى الحياة، وصلته ببنى جنسه سلبا وإيجابا.

وأما أحد جناحيه فهو العبادات التى تصقل روح المؤمن وترقى بمشاعره وتهذب خلقه وسلوكه، وتشعره دائما بأنه مربوب مصنوع لقوة لا حد لسلطانها.

وأما الجناح الثانى فهو مجموعة التشريعات التى تحقق استقامة السلوك الفردى والجماعى فى الحياة. وتضع فى يمين المكلف منهاج العمل: هذا واجب، وهذا حرام وهذا ... وهذا .. ليهلك من هلك عن بينة. ويحيا من حيى عن بينة. ولهذا كله فإنه ليس من الأنصاف أن تسوى جرعة روحية موقوتة برسالة عامة خالدة خلود الحياة نفسها. ولكن مخرجى كتاب الاستحالة قد عصبوا أعينهم عن هذا كله وأبوا إلا أن يوازنوا لا ليسووا بين المرجوح والراجح، ولكن ليقلبوا أوضاع الحقائق فيجعلوا المرجوح راجحا والراجح مرجوحا. وإذن فلتتسع صدورهم ليسمعوا ما نقول. ولن نقول إلا ما هو حق لا ينازعنا فيه عاقل.

إن مبدأ القصاص الذى تنكرونه على الإسلام لا تصلح شريعة بدونه، ولا يكون لها ذرة من تقدير إذا هى لم تحم الحقوق، ولم تكن وافية بحاجة الناس فى دينهم ودنياهم. فالظلم والاعتداء طبع أصيل من طبائع البشر، وإقرار العدالة بينهم وصون

الحريات وحماية الحقوق من أوجب الواجبات فى شريعة قدر لها أن ترود مواكب الحياة فى شرق الأرض وغربها وشمالها وجنوبها. فمن للضعيف إذا أهملت الشريعة شأنه تتلاعب به أهواء الأقوياء، ويذيقونه الهوان صنوفا، إذا لم يجد فى الشريعة نصيرا له، وحاميا لحاضره ومستقبله. ومن يستطيع أن يكبح جماح النفوس الفاسدة إذا استمرأت انتهاك الحرمات وعاثت فى الأرض فسادا، إذا لم يكن فى الشريعة قصاص عادل من أولئك الوحوش الضارية التى ليس لها طعام إلا الولوغ فى الدماء والالتذاذ بإذاية الآمنين الوادعين .. ولو أحسنتم التقدير، ونظرتم إلى الإسلام نظرة حق فاحصة لأدركتم أن التسامح الذى تفخرون به خلق أصيل في الإسلام، بل هو المصير الذى يرغب فيه من له حق الاقتصاص ولكن لكل من التسامح والاقتصاص المثلى فى الإسلام مجاله وساحاته. فإذا كان التسامح ادعى للتحاب وتآلف القلوب دون أن يترتب على هذا التسامح اغراء بتكرار الاعتداء فالأخذ به أولى.

ونصوص الإسلام فى ذلك لا تكاد تحصر. فاسمعوا للقرآن الذى يقرر شرعية الاقتصاص بالمثل إذ يقول: ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١) وإذ يقول: ﴿ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ (٢)، وإذ يقول: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ (٣).

والقرآن حين يرغب فى العفو والصفح بشرطهما فإنه يرغب من عفى عنه برعاية هذا الجانب ليقابله بالحسنى فيقول: ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ﴾ (٤).

كما يبين قيمة العفو فيقول: ﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ (٥) ويجعل العفو والصفح من مستوجبات غفران الذنوب فيقول:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٦) ويقول رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ :

« أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها » ثم يذكر منها: « وأن أصل من قطعنى، وأعفو عمن ظلمنى، وأعطى من حرمنى »(٧).

وغير ذلك كثير وكثير. ومن الخلق النبوي الكريم المأمور به من ربه الذى أدبه فأحسن تأديبه قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف** ﴾ (٨).

ذلكم هو الإسلام يا سادة. وتلك هى شريعته. نعفو فى مقام يستحسن فيه العفو. ونقتص فى مقام المفيد فيه هو القص. وما أصدق الشاعر الذى يقول :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا
مضر كوضع السيف فى موضع الندى

أى أن التسامح فى موضع لا يفيد فيه إلا التشدد مضر بالحقوق، مثل ضرر وضع الشدة فى موضع اللين. لأن لكل من المسلكين مجاله النافع فيه.

فإذا كان المعتدي خسيس الطبع، لئيم السلوك لم يزده العفو إلا تماديا فى شروره، فهذا لا ينفع معه لين وإنما يدفع شره ولؤمه بشر مثله .ونعود فنشهد بالصدق للشاعر الذى قال :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما
فليقس - أحيانا - على من يرحم

أن الأخذ على يد الظالم بالشدة رحمة له وللمظلوم على حد سواء . فالظالم مريض وانتشاله من ذلك المرض رحمة له، والمعتدى عليه مغبون. ودفع الغبن عنه رحمة له وانتصاف.

والخلاصة أن الإسلام إذ يقر القصاص فيجعله حقا للمعتدى عليه، يقر فى نفس الوقت العفو ويجعله واجبا على المعتدى عليه إذا ترتبت عليه مصلحة محققة أو مظنونة ظنا قويا. أو كان المعتدى ممن يثوبون إلى حظيرة الاستقامة بادنى توجيه ولما كان هذا هو الجو الذى يشيعه الإسلام بين بنيه فإن من أخطأ فى حق أخ له لم يكن ذلك الخطأ ضربة لازب فى إفساد العلاقات بينهما، وأن الأمور لا يمكن أن تستقر إلا بأن يقتص المعتدى عليه من المعتدى، ولا شيء غير ذلك. بل أن من الكرامة أن يعفو المعتدى عليه عن المعتدى. فإذا عفا كان ذلك العفو جميلا منه ويداً بيضاء يسديها إلى أخيه المعتدى. وما ذلك إلا لأنه يملك - مع العفو - أن يقتص . لأن القصاص حقه. واقرأوا معنا هذه الأبيات الوضيئة التى أثمرتها حديقة العدل والانصاف فى الإسلام. وهى أبيات يرددها أخ اعتدي على أخ ثم صحت نفسه فندم وأرسل إلى أخيه يقول:

إن كـــــان ذنبـي عظيـــــمـــــا
فـــــأنـت أعـظـم مـنـه

إن لـم أكـن فـي فـــعـــالـي
مـــن الـــكـــرام فـكـــنـه

وخـــــذ بـحـــــقـك أولـى
وأصـــــفـح بـعـــفـــوك عـنـه

ولاشك أن عفو القادر على الانتقام فضيلة من فضائل النفس العالية أما إذا كان العفو – دائمًا – حقا للمعتدى على المعتدى عليه . فلا فضل إذن لمن يعفو ولا تفاوت بين عفو وعفو . والغاء أريحية الإنسان – هنا – أمر مفروغ منه، إذ هو مقهور مقسور على ما يفعل ولا فضل له فيه .

والعبارة الإنجيلية مع اقتصارها على وجوب العفو دائمًا وفى جميع الأحوال، وقد علمنا قصور هذا المبدأ عن صون الحقوق واقرار العدالة .

نقول : أن العبارة الإنجيلية مع هذا فإنها تكلف النفوس ما ليس من طبعها أبدًا، ولا تستطيع تحقيقه أبدًا . إذ أن النفوس طبعت على حب من يحسن إليها، لأن الحب حالة نفسية تنشأ داخل طوايا النفس متى توافرت أسبابها . فكيف – إذن – تؤمر النفس بحب عدوها، ومباركة لاعنها .

من الميسور على الإنسان أن يحسن إلى من أساء إليه، وأن يصنع المعروف مع عدوه ومبغضه . أما أن تكلف النفس بحب أعدائها وتبريك لاعنيها فهذا تكليف بما لا يطاق . وهذا هو الذى تقرره العبارة الإنجيلية؟!

وإذا غضضنا الطرف عن هذا كله، وسلمنا لمخرجى كتاب الاستحالة بهذا المبدأ المشطور فإن أول من خرج عليه، بل وآخر من يخرج عليه ويهدره هم الإنجيليون أنفسهم . فإنهم يؤمنون به قولا، ويحتجون به جدلا . أما العمل به واقعا فهذا ما لا نعرفه عنهم، لأنهم لم يخرجوا عن المبدأ الذى يدعو إليه الإسلام الذى يناوئونه هم ويحتجون . فهم مثلنا يطالبون بحقوقهم ويقتصون ممن يعتدى عليهم ودوائر القضاء فى كل بلدان العالم تعرض عليها ملايين الخصومات التى يكون أحد أطرافها إنجيليين أو هم يمثلون كل أطرافها . ولو كانوا مؤمنين حقا بهذا المبدأ لما رفع إنجيلي واحد خصومة واحدة ضد مسلم أو يهودى أو إنجيلى مثله، أو غيرهم . فعلام هذا التهجم – يا سادة – على مبدأ أنتم منتفعون به مثل أبنائه لتنصروا عليه مبدأ أو نظرية فارغة من كل مضمون عملى، أنتم أول وآخر من يخرج عليها . والله ما هذا بعدل . . !

إننا وأنتم يعرف كل منا الآخر، فلا يخفى على أحد شأن الآخر. فكفى متاجرة بكلام لا نصيب له إلا أن يقال ويكتب ؟!

وكلمة أخيرة نقولها لكم قبل الانتقال إلى مقارنة أخرى:

أن مبدأ القصاص الذى تعيبونه فى الإسلام لم يخل منه قانون وضعى فى أى بلد من بلدان العالم. بل أن الكثير منها قد انتفع ببعض نظريات الإسلام فيه. ومن هذه البلدان ما يدين بالنصرانية نفسها. ولم يخل منه عهدكم القديم «التوراة» وهو ما نقضتموه على لسان عيسى الإنجيل الذى رويتم قوله :

« سمعتم أنه قيل: عين بعين، وسن بسن، وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضًا ... » متى (٥ / ٢٨ – ٢٩).

فكأن هذا نقضا من العهد الجديد «الإنجيل» للعهد القديم، وأنتم تدعون أن عيسى (عليه السلام) ما جاء لينقض بل ليكمل[١] ...؟!

ونقول: لولا مبدأ القصاص الإسلامى لتورمت بلايين الأنوف ، ولكن بالإسلام الله سلم !

ما جاء فى القرآن	ما جاء فى الإنجيل
﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩].	« فأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا إلى شوارعها، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا ننفضه لكم ... » لوقا (١٠ / ١٠ – ١١)

هذان آخر نصين قابل بينهما كتاب الاستحالة. وهما إن كانا قريبين من المقارنة السابقة إلا أنهما يغيبان أمرا آخر هو مشروعية القتال فى الإسلام وخلو الإنجيل منها.

ومن هذه المقابلة بين النصين ندرك أن مخرجى كتاب الاستحالة يرفضون المبدأ الإسلامى وهم يزهون فخرا بالمبدأ الإنجيلى الذى يفهم من النص وهو الاستسلام لارادة المخالفين محقين كانوا أو مبطلين .

(١) سنعود لهذه القضية فى فصل خاص إن شاء الله .

وها نحن أولاء ندير معهم حوارا حول هذين المبدأين من حيث هما مبدآن ثم من حيث الواقع العملى لدينا ولديهم وما ترتب عليهما إيجابا وسلبا من منافع وأضرار.

فمن حيث هما مبدآن فإن مشروعية القتال فى الإسلام كانت ضرورة من ضرورات الدعوة الإسلامية التى قدر لها الشمول والعموم والخلود، والإسلام نفسه جاء بمنهج يضاد كثيراً من مناهج العقيدة والسلوك التى كانت تسيطر على حياة الشعوب فى ذلك الحين، سواء فى ذلك شبه الجزيرة العربية أو الممالك المجاورة لها. وقد زاد من تفشى المذاهب الضالة والأهواء بعد عهد الناس عن رسالات السماء، فبين رسالة عيسى عليه السلام ورسالة النبى الخاتم ﷺ ما يقرب من سبعة قرون. ومنهج التغيير الشامل الذى واجه الإسلام به نظم الحياة كلها كان من أبرز آثاره قيام حركات جماعية وفردية تناوئه وتعاديه فكان لابد من التصدى لهذه العداوة وردها بنفس السلاح الذى تقاوم به دعوة الإسلام لتامين حاضرها ومستقبلها وحماية متبعيها. ولا خير فى دعوة لا تحمى أبناءها أو لا تملك حق حمايتهم من خطر قائم أو متوقع.

وقد كان أعداء الدعوة يضطهدون أبناءها بالفعل، بل أن صاحب الدعوة نفسه ﷺ لقى صنوف العذاب من أولئكم البغاة الأشرار.

وكان فى مواجهة الدعوة دولتان تملكان من أسباب القوة المادية رصيدا ضخماً، وهما - مع هذا - تعيثان فى الأرض فسادا الروم فى الغرب والفرس فى الشرق. فكيف كان يواجه الإسلام هذه القوى لو لم يكن القتال مشروعا فيه، بل هو من أجل خصائصه. ولهذه الاعتبارات كلها، وفى مقدمتها حماية الدعوة وحماية أبنائها كان التشريع القتالى فى الإسلام مبدوءا بهذا القرار العظيم :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٣٩ - ٤٠].

فالمسلمون الأوائل ووجهوا بالقتال من أعدائهم قبل أن يواجهوا هم أعداءهم. أو كما يسمى القرآن هذه الحالة « انتصروا من بعد ظلم » أما النصرانية فلانها كما قلنا

مرارا: دعوة ملحقة موقوتة كانت تهدف أول ما تهدف إلى «جلاء الصدأ» عن وحى الله إلى موسى بسبب انحرافات علماء بنى إسرائيل وليهم السنتهم بالكتاب ليأكلوا أموال الناس بالباطل فجعلوها شريعة «هوائية» يصرفونها حسب أهوائهم، ثم التخفيف عن بنى إسرائيل فأحل الله لهم على لسان عيسى عليه السلام بعض ما حرم عليهم. ولا غرابة فإن الله كان يجعل القاضى والواعظ فى بنى إسرائيل فى درجة نبي مثل داود وسليمان. لأن علماءهم لم يكونوا أمناء على وحى الله وشرائعه. هذه فروق مهمة جدا بين الإسلام وما سبقه من شرائع تجب مراعاتها فى هذا المجال.

ومع هذا فإننا نجد فى الأناجيل عبارة تكررت أكثر من مرة تفيد أن عيسى عليه السلام كان يود أن يستعمل السيف، وأنه لم يجىء ليلقى سلاما على الأرض وهذا هو نص تلك العبارة:

«لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض، ما جئت لألقى سلاما؟ بل سيفا...» متى (١٠ / ٣٤).

ووردت هذه العبارة مرة ثانية مع اختلاف الصياغة هكذا:

«جئت لألقى نارا على الأرض ... أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض؟ كلا أقول لكم: بل انقساما» ؟! لوقا (١٢ / ٤٩ – ٥١).

فهل يستطيع مخرجو كتاب الاستحالة أن يبينوا لنا ما المقصود بالنار والانقسام والسيف التى جاء المسيح ليلقيها على الأرض؟ وما هو معنى السلام الذى ينفى بشدة أن يكون هو قادما من أجل نشره على الأرض. أنها أمور نود أن نفهمها ولكن لا سبيل إليها إلا ان يتطوع مخرجو «الاستحالة» بالتأويل فهم فى مثل هذا مهرة متفوقون.

● **المبدآن من حيث الواقع والمنافع والأضرار:**

أن عظمة المبادىء لا تقاس بجودة صياغتها والترويج لها. وإنما هى تقاس باختباراتها فى ميادين العمل والتطبيق، وما يسفر عنه تطبيقها من آثار. فما هو إذن الأثر الذى أسفر عنه التطبيق فى المبدأ الإنجيلى وما صلة الإنجيليين به فى العمل والسلوك؟ وما هو الأثر الذى أسفر عنه تطبيق المبدأ القرآنى وما صلة المسلمين به فى العمل والسلوك هذا ما نوجز الحديث عنه الآن:

● **المبدأ القرآنى: أثرا وصلة:**

لم يرق المسلمون قطرة دم واحدة قبل أن يؤذن لهم برد العدوان الواقع عليهم من أعدائهم، بل أنهم اضطروا للهجرة من مساقط رءوسهم ثلاث مرات: مرتين إلى

الحبشة. والأخرى إلى المدينة المنورة. وكانوا فى هذا طائعين ممتثلين لتوجيهات دينهم لم يخرجوا عليها قيد أنمله.

وحين أذن لهم بقتال أعدائهم امتثلوا الأمر ولم يتهيبوا عدوا مهما كانت عدته وعدده. فجالوا فى أرض الله يبلغون العالم أوامر الله ونواهيه، ويدعونهم إلى قبول الحق الذى أمروا بتبليغه. وكانت كل معاركهم التى خاضوها مضرب المثل فى الشجاعة والنجدة والالتزام بالحق والواجب. فلم يقاتلوا إلا من حمل السلاح ليصد عن سبيل الله. لم يقاتلوا شيخا فانيا ولا امرأة ولا طفلا ولا راهبا فى صومعته يهوديا كان أو نصرانيا. ولم يهدموا بناء ولم يقطعوا شجرا، وإنما كانوا منصفين عدولا حتى مع ألد خصومهم. لم يتجاوزوا الحق ولم يخرجوا على موضع «الخصومة» واستطاعوا فى ربع قرن من الزمان أن يقشعوا سحائب الباطل وغيومه من الوجود. فاسقطوا أعتى قوتين عرفهما التاريخ فى ذلك الحين، وهما قوتا الفرس والروم. وشرقوا حتى فتحوا بلاد الصين والهند والسند، وغربوا حتى وصلت مواكبهم إلى شواطىء المحيط الأطلسى. ووضعوا أقدامهم فى أوروبا الجنوبية فأقاموا دولتهم فى الأندلس، وزحفوا نحو شمال أوروبا فتوقف زحفهم عند جبال البرانس بجنوب فرنسا. وانحدرت موجاتهم نحو الجنوب حتى وصلوا إلى بلاد النوبة. واتسعت رقعة الفتوحات الإسلامية حتى قال أحد أمرائهم يوما يخاطب سحابة تجرى فى الفضاء نحو الغاية التى سيرها الله من أجلها:

«امطرى أين شئت فسياتينى خراجك»؟! يكنى عن انتشار الإسلام فى عهده تلك هى صلة المسلمين بمبداهم القرآنى. قوة فى أيديهم استثمروها فى مواضعها فكان حصادها خيرا للدعوة وللبشرية كلها مسلمين وغير مسلمين ولو قدر للإسلام أن يكون دعوة معزولة عن السلاح يلطم المسلمون فيها على خدودهم اليمنى فلا يملكون إلا أن يديروا لأعدائهم خدودهم اليسرى ليلطموهم عليها مثل اليمنى، لأن المساواة فى الظلم عدل (!) لو أنهم فعلوا هذا لدمرت الدعوة فى مهدها. ولاستؤكل المسلمون واحدا واحدا ولم يبق لهم ولا للدعوة أثر. ولا اقتيد صاحب الدعوة ﷺ إلى خشبة «صليب» فيراق دمه وحفنة من تلاميذه ينظرون. ولم لا ..؟! والذين سعوا إلى صلب عيسى عليه السلام كانوا يجاورونه ويحيكون المؤامرات ضده وضد دعوته حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم أنه الحق، وبين أيديهم شاهد من توراتهم.

وكم من مرة حاولوا اغتياله فلم يردهم إلا قوة السلاح وسواعد الأبطال المؤمنين..؟! وكلمة نقولها لمخرجي كتاب «الاستحالة» الذين أعلنوا استنكارهم لمبدأ القتال في الإسلام . نقول لهم فيها :

«أن أقباط مصر الذين يتربعون على كرسي كرازتهم» كانوا من أسعد الشعوب بثمرات الفتوحات الإسلامية. إذ لولا الفتح الإسلامي لمصر لأباد الرومان الشعب القبطي من الوجود. ولما بقي لهم أثر إلى الآن ليكتب ضد الإسلام الذى هو ولي النعمة على آبائه وأجداده الأقدمين.

أن مخرجي كتاب «الاستحالة» يعلمون دقائق تاريخ آبائهم، واضطهاد الرومان لهم قبل اعتناقهم للنصرانية وبعدها.

فلم يمنع الرومان اشتراكهم في العقيدة مع قبط مصر أن يحرقوا كنائسهم ويقتلوا أبرياءهم ويضطهدوا «قساوستهم» ويقدم أقباط مصر آلاف الشهداء دفاعا عن عقيدتهم حتى سمي ذلك العصر بـ«عصر الشهداء»..؟! أن أمرا واحدا هو الذى خلص قبط مصر من ذلك الشقاء المر، ذلك الأمر هو الفتح الإسلامي لمصر الذى أطاح بعروش روما وأجلى بني الأصفر عن هذه الديار المصونة.

أن اتحاد عقيدة الرومان مع قبط مصر في اعتناق النصرانية لم يمنع الرومان من اضطهاد القبط، وأن اختلاف عقيدة الفاتحين الإسلاميين لم يمنعهم من نصفة القبط واسترداد حرياتهم، وتأمين كنائسهم واستمتاعهم بحقوقهم في الحياة. ونسأل مخرجي كتاب الاستحالة ! سؤالا مؤداه أين كان بطريك القبط حين قدم المسلمون الفاتحون؟! ألم يكن مختفيا خشية فتك الروم به؟ ثم ما الذى حدث له بعد أن كسر المسلمون الفاتحون شوكة بني الأصفر (الروم).

ألم يحدث أن أعطاه عمرو بن العاص قائد موكب النصر أمانا على نفسه ووجه إليه نداء ليعود لرعاية شعبه؟ فظهر البطريرك بنيامين حين عادت الطمأنينة إلى نفسه وتولى رعاية القبط وهو آمن على نفسه وشعبه؟ من الذى أتاح هذا الجو الآمن أليس هم المسلمين الفاتحين ؟!

عن عقبة بن عامر الجهني قال: «كان لأهل مصر عهد وعقد. كتب لهم عمرو ابن العاص أنهم آمنون على أموالهم ودمائهم ونسائهم وأولادهم لا يباع منهم أحد وفرض عليهم خراجا لا يزاد عليهم، وأن يدفع عنهم خوف عدوهم..»[1].

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري (جـ١ ص ٥٥ ، ٥٦).

ونبى الإسلام ﷺ لم يوص المسلمين برعاية حقوق شعب تفتح بلاده مثلما وصاهم بشعب مصر :

« إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم ذمة ورحما » .

فها أنتم قد انتفعتم بثمرة القتال فى الإسلام، ونحن لا نريد امتناناً على أحد فالمنة لله وحده، وإنما الذى نرجوه – ونلح فى الرجاء – ألا يغمط الحق، وألا تبطر النعمة . فلولا شرعية القتال فى الإسلام لذهبنا – جميعا – ضحية الظلم والظالمين، ولما نجا من مخالب الأسد منا أحد ؟!

هذا شأننا مع مبدئنا ، وتلك هى ثماره نستمتع بها نحن كلنا . فما أعظم النعمة فيها، وما أقل الشاكرين . . ؟!

● **المبدأ الإنجيلى : أثرا وصلة :**

فما هو – أذن – أثر مبدئكم الإنجيلى ؟ وما هى صلتكم به فى الواقع المشاهد المعلوم؟

أننا نعتقد – مع تسليمنا بأن ما أراده الله كان – لو تجمع حول السيد المسيح عليه السلام فتية آمنوا بربهم وزادهم هدى . وتزود كل منهم برمح أو سيف لأوقعوا الرعب فى قلوب أعدائه اليهود، ولما لجأ المسيح نفسه إلى الاختفاء من أعدائه فرارا من بطشهم به، ولما استطاع أعداؤه ان يلقوا القبض عليه ويقتادوه بين مجامعهم ودوائر السلطة الرومانية ذهابا وجيئة، ويصر اليهود على ادانته، ويصر بيلاطس الرومانى على براءته – كما تذكرون فى أناجيلكم، كل هذا وتلاميذه أو حواريوه يتبعونه متخفين وإذا ووجهوا بصلتهم به أنكروها فزعين ناجين بأرواحهم . لو كان هؤلاء الحواريون يحملون فى أيديهم سلاحا لما اقتيد السيد المسيح عليه السلام إلى خشبه « المصلب » ولما « صلب »[1] أو على أقل الفروض لأرجأوا هذه النهاية ولو إلى أمد قصير؟!

أن الحق حق، ولكنه فى حاجة إلى قوة تحميه . والقوة التى تحمى الحق جزء من الحق نفسه .

فى غزوة أحد تعرض محمد بن عبدالله ﷺ إلى أشرس ما صنعه اليهود بنبى الله عيسى عليه السلام . ولولا أن قوة الحق كانت تواكب دعوة الحق فى الإسلام لنال مشركوا مكة من رسول الله ما يريدون . أفتدرون كيف كان المنقذ من ذلك الخطر؟

---

(١) نقول هذا مجاراة للقوم فى عقيدتهم . فهو فرض نظرى، لأن السيد المسيح لم يصلب وإنما صلب من ألقى الله عليه شبهه . وقد تقدم هذا .

فقد تجمع حول الرسول القائد ﷺ – بعد فرار الناس عنه – تجمع حوله رجال لا يزيد عددهم على حواريى عيسى الأحد عشر وأعملوا سيوفهم ورماحهم ونبالهم فى أعداء الله ليكفوهم عنه، وألقى أحدهم نفسه فوق الرسول القائد ليتلقى ضربات القوم الحاقدة الموجهة إليه، يتلقاها بجسمه ليسلم رسول الله. بل أن امرأة لم تنفك تدفع عنه أذى العدو. لقد دافعوا عنه بصدق حتى استشهد منهم الكثير. وكان محصلة ذلك أن نجا رسول الله من كيد المشركين، ولم يصب بسوء. ومثل هذا الموقف حدث فى حنين وفى كل منهما حمت قوة الحق الحق أن يضام.

هذان مثالان للحق الذى تصونه القوة. والحق الذى لا قوة معه تحميه – ويكفينا ما تقدم فى بيان ما أسفر عنه تطبيق المبدأ القرآنى من آثار، وما أسفر عنه تطبيق المبدأ الإنجيلى.

فتعالوا – يا مخرجى كتاب الاستحالة – نناقشكم فى صلتكم بهذا المبدأ الذى نصرتموه – فى كتابكم – على المبدأ القرآنى الحكيم ..!

ونستأذنكم فى أن نبدأ نقاشنا معكم بهذا السؤال:

هل أنتم جادُّون حقا فيما تقولون ..؟!

ولكى يشترك معنا القارىء فى تصور ما نقول نعيد له « نص المبدأ » مرة ثانية فقد طال عهده به:

« فأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم، فأخرجوا إلى شوارعها، وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا ننفضه لكم .. » لوقا (١٠ / ١٠ – ١١).

فهل أنتم – فعلا – جادُّون فى الإيمان بهذا المبدأ. وما المقصود من الإيمان عندكم؟

هل هو ترديد القول وكتابته وحفظه والاستشهاد به؟ أم أنه عقيدة تتحكم فى السلوك، ويأتى العمل على منوالها؟!

إن اخترتم المعنى الأول قلنا لكم أننا لا نقيم وزنا لهذا الإيمان، لأنه خلف من القول؟

وإن اخترتم المعنى الثانى قلنا لكم حسنا. ولكن تعالوا نستقرىء سلوككم فيما مضى. وسلوككم الآن. هل هو جار على هدى من هذا المبدأ أم هو خارج عليه؟!

فإن كان السلوك وفق المبدأ قلنا لكم « كل حزب بما لديهم فرحون » وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وأن كان السلوك على خلاف المبدأ فقد عدتم إلى ما فررتم منه وهو الإيمان اللساني القولي . وفي هذه الحالة نقول لكم:

أن خروجكم على مبدئكم دليل على قصوره في مواجهة الحقائق فحرى بكم أن تعترفوا بذلك القصور. لا أن تزهوا بمبدأ أنتم به غير مؤمنين بل عليه متمردون.

● دلائل من الواقع :

أن دلائل الواقع تثبت أن المجتمعات المسيحية قديما وحديثا هي مجتمعات بشرية لها غرائز البشر ومطامعه. وأنها لجأت إلى الحروب بالحق والباطل. وإلا فبم تفسرون حروبكم الصليبية للشرق التي دامت سنين طوالا، حروب متوالية عبرت الجيوش الإنجيلية البحار والمحيطات لتقتل الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال ولم يكن لتلك الحروب سبب قريب سوى الحقد باسم الصليب. فأين موقع ما قمتم به من عدوان على الآمنين من هذا المبدأ الذى يوصيكم فيه المسيح بأن تنفضوا الغبار الذى لصق بكم إذا دخلتم مدينة لم يقبلكم فيها أهلها ..؟!

وكيف تفسرون قيام دول هى أضلع ما تكون فى المسيحية بضرب الشعوب وإذلالها ثم فرض سلطانها عليها واستيلائها على خيراتها وامتصاص دمائها. أسألوا انفسكم كم بلدا استعمرتها فرنسا وبريطانيا وايطاليا وأمريكا وهولندا أليست هذه دول تقف فى الصف الأول من مجموعة الدول التي تدين بالمسيحية وتنتشر كنائس «الرب» فى ربوعها وتدق نواقيسها صباح مساء. فأين هذا المسلك من «صوفية» المبدأ الذى حلا لكم أن تزهوا به وأنتم أول من ضرب به عرض الحائط ؟!

وبم تفسرون ما جرى لمسلمي الفلبين على أيدى أخوة لكم فى الدين ؟ أما كان مبدؤكم هذا – لو صدقتم معه – كفيلا بكف الظلم الذي وقع على عشرات الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، وهدم المساجد، وحرق المصاحف، وترويع الآمنين، وتشريد آلاف الأسر والاستيلاء على أملاكهم من أراض ومنازل ومقتنيات. فأين مبدأ نفض الغبار أذن وقد كان الظلمة يسيرون حاملين الأرض نفسها فوق رءوسهم ؟!

وبم تفسرون ما جرى ويجري فى أريتريا والصومال من إراقة للدماء المصونة واغتصاب للأرض والثروات. أليست أثيوبيا عاصمة من أعرق عواصم «الإنجيل» وفى كنائسها ترتل آياته ومنها آية الغبار الذى يجب أن ينفض ..؟! فما الذى حملها على هذا العدوان وهى من شعوب الإنجيل وبم تفسرون ما جرى ويجرى الآن فى لبنان من مجازر وأنهار للدماء لا يجف لها مجرى ..؟!

أليس أحد طرفي النزاع إنجيليين مثلكم، ويدينون بما تدينون به أنتم ..؟!

فما قيمة المبدأ إذا لم يكن له مثال واحد من واقع أهله أفرادا وجماعات ودولا وطوائف يحترمه ويسير على هداه ..؟!

إننا قاتلنا ونقاتل، لأن القتال شريعة لدينا لها موجباتها .. فلماذا تقاتلون أنتم والإنجيل يوصيكم بنفض الغبار - إذا قوومتم - ويعدكم باقتراب ملكوت الله منكم..؟!

هذه صلتكم بمبدئكم، وواقعكم معه .. وقد علمتم صلتنا بمبدئنا، وواقعنا معه فتفكروا أي الفريقين أقوم منهجا وأهدى سبيلا ..؟!

* * *

نصوص من الكتاب المقدس .. عرض ونقد

ناقشنا فى الفصول السابقة من هذه المواجهة أهم « القضايا » التى آثارها البابا شنودة فى مقاله المشار إليه قبلا، والتى أثارها مخرجو كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » وهو الوثيقة الثانية من الوثائق الثلاث التى نواجهها هنا. **ونريد - الآن - وقبل التعرض لما جاء** فى الوثيقة الثالثة أن نعرض نصوصا من الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد (التوراة والإنجيل) ثم نقوم بنقدها مشيرين إلى ما يسفر عنه النظر فيها، ليتأكد القارىء « المحايد » أو خالي الذهن، وليتأكد غيره ممن لهم مواقف سابقة من هذه القضايا موضوع المواجهة – سلبا أو إيجابا – أننا لا نميت للقوم حقا، ولا نشايع لهم باطلا، وإنما نستهدف، – فيما نستهدف – أن للإسلام سلطانه المستقل فى إقرار الحق، وتشديد النكير على الباطل. وأنه حين وقف موقفه المعروف من عقائد أهل الكتاب، وما استحدثوه منها مخالفين به ما بين أيديهم من نصوص التوراة والإنجيل المنزلين من عند الله. وما أملته عليهم أهواؤهم من التحريف والتبديل اللذين الحقوهما بنصوص الوحى. حين وقف الإسلام موقفه المعروف من هذه الأمور، فإنه لم يكن يعادى حقا، وإنما كان يحارب باطلا حتى يحيا من حيى عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة. ولا ينبئنك مثل خبير والخبير – هنا – هو القرآن المهيمن على الكتاب كله.

ومنهجنا فى هذا الفصل أن نشطره شطرين: **الأول** نعرض فيه نصوصا من التوراة ثم ننقدها نصا نصا، **والثانى** نعرض فيه نصوصا من الإنجيل، ثم ننقدها نصا نصا، تاركين للقارىء حرية الرأى والاعتقاد . فلنبدأ والله يسدد خطانا، فما أردنا إلا نصر حقه. ويجنبنا مهاوى الزلل. ويعيننا على دحر الباطل. ويجمعنا على الحق. والحق وحده.

- **عرض ونقد نصوص من التوراة** [1] :
- **أولا – فى حق الله** :

أن أول ما يفجؤك فى التوراة ما جاء فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين فى الآيات الثلاث الأول (١ – ٣) وهى تقول بالنص :

---

(١) ينقسم الكتاب المقدس إلى قسمين : القديم وهو التوراة وتتألف من خمسة أسفار هى : التكوين والخروج، واللاويون، والعدد ثم سفر التثنية، ثم الحقت بها أسفار الرسل الذين جاءوا بعد موسى عليه السلام وغيرهم ويرمز لاسفار التوراة بكلمة « تخلعت » فكل حرف من هذه الحروف الخمسة رمز لسفر : التاء للتكوين، والخاء للخروج وهكذا. أما العهد الجديد فيشمل أربعة أناجيل هي : متى ومرقس ولوقا ويوحنا ثم ما يسمونه بأعمال الرسل. وأساس هذا التقسيم هو مبعث عيسى عليه السلام فما قبله هو العهد القديم، وما تلاه هو العهد الجديد.

« فاكملت السموات والأرض وكل جندها . وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل (!) فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل (!) . وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا » . . ؟!

هذا هو نص التوراة . فبم أظهرت التوراة الله ؟!

أظهرت التوراة الله — سبحانه — فى صورة « عامل » أخذ يعمل أسبوعا — تقريبا — ثم أنهى عمله فى نهاية الأسبوع، وفى اليوم السابع منح نفسه « أجازة » فاستراح فيه، وفرح به فرحا فباركه وقدسه (!) . لأنه استراح فيه من جميع عمله الذى عمل .

أن الذى يشعر بالراحة يشعر بالتعب . هذا هو شأن الله فى التوراة : يعمل ويتعب . ثم يستريح ويفرح بالراحة . سبحان الله عما يقولون وتعالى علوا كبيرا؟!

● **القرآن يدحض هذه الفرية :**

من نعمة الله على المؤمنين، وحجته على الكافرين أن ختم رسالات السماء بالإسلام، وختم كتب السماء بالقرآن، وجعله مهيمنا على ما بين يديه من الكتب يصحح أخطاءها، ويقوم معوجها، ويكشف زيفها، وينقيها من أهواء المبطلين . ومن مظاهر هذه « الهيمنة » ما قرره القرآن الأمين فى مسألة خلق الكون هذه، وفيها يقول :

﴿ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف : ٣٣] .

﴿ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [ق : ١٥] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] فهذا هو القرآن المهيمن ينزه الله عما تصفه به التوراة . آية الأحقاف تنفى أن يكون الله قد أصابه « إعياء » من خلق الكون وما فيه . وآية (ق) الأولى تنفى عن طريق الاستفهام الانكارى « أفعيينا » ذلك الأعياء المنسوب إليه — سبحانه — فى التوراة لأن معنى « أفعيينا » : لم نعي . والأعياء التعب .

وتأتى آية ق الثانية فتنفى أن يكون الله قد أصابه شيء من لغوب حين خلق السموات والأرض وما بينهما . واللغوب : التعب .

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى « الله » سبحانه التعب والإعياء . والقرآن ينفى ذلك الزعم . فأى العقيدتين أليق بخالق السموات والأرض وخالق كل شيء . . ؟! نترك هذا للقارىء .

- **التوراة تصف «الله» سبحانه - بالجهل والتعدد ..؟!**

ولن نمضي بعيدا حتى تفاجئنا التوراة بنسبة الجهل إلى الله - سبحانه - كما تصفه بأنه «واحد» من مجموعة آلهة. وإليك نصها بالحرف وهي تتحدث عن قصة آدم وحواء في الجنة بعد أكلهما من الشجرة المحرمة.

«وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وأمراته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الاله آدم وقال له: أين أنت: فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ...» سفر التكوين الاصحاح الثالث (٨ - ١١).

أن نسبة الجهل لله - سبحانه - ظاهرة من سياق الكلام ظهورا لا يحتمل تأويلا أو جدلا أو مجازا، فآدم وحواء يختبئان حين سمعا صوت (أقدام) الرب ماشيا في الجنة. ونتج عن هذا أن نادى الله آدم يسأله أين هو؟! .. ثم يسأله من أعلمه أنه عريان؟ .. ثم يسأله هل أكل من الشجرة..؟ ويمضي النص بعد هذا فيذكر عدة أسئلة موجهة من الله إلى آدم، وهذه الأسئلة - كما يفهم من السياق - ليست هي من أسئلة العالم بمضمون الجواب فتكون مجازا. بل هي أسئلة من يجهل مضمون الجواب ولا يدركه إلا ظنا ..؟!

ولا يقال أن في القرآن نظيرا لهذا الأسلوب مثل قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ**﴾ [طه: ١٧]. لأن للسؤال هنا هدفا بيانيا هو اراءة موسي عليه السلام عظمة قدرة الله في قلب العصى حية. ومثل قوله تعالى لعيسى: ﴿**أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ**﴾ [المائدة: ١١٦]. لأن السر البياني في هذا السؤال هو أن يظهر الله براءة عيسى مما نسب إليه.

أما هذه المحادثة العجيبة التي ادارتها التوراة بين الله وآدم فلا تحتمل إلا المعنى الظاهر منها. ولا عجب فالذي ينسب إلى «الله» سبحانه التعب والأعياء والمتعة بالاجازة والراحة فليس ببعيد عليه أن ينسب إليه الجهل ولو بأظهر الحقائق..؟!

- **موقف القرآن من هذا التخريف؟**

يتعقب القرآن هذا التخريف فيدفعه دفعا. ويظهر لك هذا الموقف العظيم من مئات الآيات التي تصف الله بالعلم والإحاطة الشاملة. ونكتفي هنا بموضعين أحدهما

هو نص فى دفع الوهم الذى جاء فى التوراة فى هذه الواقعة. والثانى عام فى كل معلوم.

أما **الأول** فقد ورد فى سورة «الأعراف» وهى أسبق السور القرآنية التى ذكرت فيها قصة آدم نزولا. وإليك ما جاء فيها:

﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٩ - ٢٢].

فأنت ترى فى هذا النص الأمين جلال «الله» ظاهرا فى كل موقف.. واختفت فيه تلك «المحادثة» العجيبة أسئلة من الله - لا حد لها - وإجابات من آدم. ليس فى النص القرآنى شىء من ذلك.. والسر أن واحدا منها لم يحدث. أن لعبة «الاستغماية». التى وردت فى التوراة اختفت فى القرآن، لأنها لم تحدث أصلا. وهذه هى ميزة القصص القرآنى. أنه أحسن القصص. وحسنه راجع إلى صدقه وأمانته فى النقل والتصوير ماكان حديثا يفترى، ولكن تصديق الذى بين يديه من الحق.

وأما الموضع **الثانى** العام بكل معلوم لله، فهو قوله تعالى:

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

فأين يكون اختفاء آدم وراء أشجار الجنة؟ وهل يخفى على الله ما صنعه من أكل ثمار الشجرة المحرمة. الله الذى يعلم الحبة فى ظلمات الأرض أيخفى عليه موضع آدم بين الأشجار..؟!

والحاصل: أن التوراة تنسب إلى الله «الجهل» والقرآن ينزهه من هذا النقص الشنيع فهو يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

فأى العقيدتين أليق بالخالق العظيم ما تقوله التوراة؟ أم ما يقرره القرآن؟! على العاقل أن يوازن ويختار.

أما نسبة التوراة التعدد وكون الله واحدا من مجموعة آلهة فتراه فى قول التوراة تصف موقف الله بعد علمه - سبحانه - بما حدث من آدم وحواء:

« وقال الرب الاله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا (!) عارفا الخير والشر »؟! سفر التكوين الاصحاح الثالث (٢٢).

فتأمل أخى القارىء عبارة : « كواحد منا » « والمتكلم هنا هو الله » . وهذا النص دليل على أن الله واحد من جماعة الآلهة. وهذه الدلالة غير قابلة للصرف عن ظاهرها ولا يقال - كذلك - أن الله تعالى تحدث في القرآن عن نفسه بأسلوب الجمع كقوله تعالى مثلا « كما بدأنا أول خلق نعيده. وعدا علينا إنا كنا فاعلين ».

لأن ما فى القرآن إنما هو نون الجماعة. ويسمى فى اللغة العربية نون التعظيم إذا ورد فى سياق الحديث عن « المفرد » كقولك متحدثا عن نفسك: عاهدنا الله على أن ندفع كل باطل ونؤدى ما لله علينا من واجب مكان « عاهدت » و« ادفع » و« أؤدى » و« على » وهذا النون وأن كان فى الأصل خاصا بالجماعة. فإن دلالته عليها ليست قاطعة لوروده فى مقام الأفراد.

ولو جاءت عبارة التوراة على هذه الصورة « صار مثلنا » لما عابها أحد ولكن مجيئها على ما جاءت عليه « كواحد منا » بذكر الواحد منكراً مبينا ومفسرا بنون « جماعة الآلهة دليل قاطع على تورط التوراة فى نسبة التعدد لله الواحد الأحد ».

- **موقف القرآن من هذه الفرية :**

الآيات التى تتحدث عن « وحدانية الله » يصعب حصرها هنا. وحسبنا منها حديث الله لموسى الذى حرف اليهود توراته فاسمع إليه يقول:

﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤].

والحاصل: أن التوراة تنسب إلى الله التعدد، والقرآن ينفى ذلك التعدد فأى العقيدتين أليق بجلال الله الذى ليس كمثله شيء ..؟! ذلك هو دور العقل السليم والفطرة الصحيحة .

- **التوراة تنسب لله الندم والحزن :**

ويمضى محرفوا التوراة فى أباطيلهم فينسبون لله أنه ندم وحزن على خلق الناس (!) وإسكانهم الأرض حين رأى شرهم قد كثر. وهذا هو نص التوراة فى ذلك.

« ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض . . . فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض، وتأسف فى قلبه (!) فقال الرب أمحوا عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء، لأنى حزنت أنى عملتهم(!) » سفر التكوين الاصحاح السادس (٥-٧) .

هذا ما ترويه التوراة أحد عهدى الكتاب **المقدس**؟! ولا أرى القارىء فى حاجة إلى توضيح ما فى هذه النصوص من مزالق خطرة جدا . فالله يندم ويحزن (هكذا) لأنه خلق الإنسان وأسكنه (!) وأن هذا الندم والتأسف والحزن كان نتيجة جهل الله (سبحانه) عما سيكون عليه مستقبل الإنسان حين خلقه . إذ لو كان عالما بهذا لما خلقه ابتداء .

هذه صورة « الله » فى توراة الكتاب **المقدس** ؟! والمفروض أن التوراة كتاب منزل على موسى، والمفروض أن هذا هو كلام الله عن نفسه . . أليس - كذلك - فيا لضلال العالم لو لم ينزل الله القرآن ويسجل فيه بأمانة أصول العقائد التى جاءت بها الرسل، ونزل بها الوحى، ويحميها من ضلالات أصحاب الهوى والزيغ .

- **القرآن يصحح هذا الخطأ :**

لم يندم الله على شىء، لأن الندم وليد الجهل بالعواقب . والله حين خلق الناس كان عالما بكل ما سيكون منهم معدا لكل جزاءه وهو الغنى الحميد . وهذا هو القرآن يقول : ﴿ **هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾ [محمد : ٣٨] .

ويقول : ﴿ **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ [الواقعة : ٦٠ - ٦١] .

فلو حدث أن الله ندم على خلق الإنسان لما تركه يعمر الأرض ويتكاثر عاما بعد عام . وهنا تظهر فرية التوراة المحرفة فإن ما زعمته لم يحدث منه شىء . والذى زعمته التوراة هو محو الله الإنسان عن وجه الأرض فقالت : « فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته »؟! .

فهل محا الله الإنسان كما تزعم التوراة ؟! كلا . ولكن الذى حدث، ويحدث . أن تضاعف عدد الإنسان بلايين المرات من بعد نزول التوراة . فبقى زعم التوراة شاهد صدق على تحريفها وتبديلها، وسيبقى هذا ما بقيت حياة، وما بقيت التوراة .

والحاصل: أن التوراة تنسب إلى الله الندم والحزن والتأسف، والقرآن ينفى عنه كل هذه الأمور. فأى العقيدتين هى ملاك أمر المؤمن؟ ذلكم متروك لوجدان المؤمن نفسه واحساسه بالعجز المطلق أمام قدرة الله المطلقة.

● **التوراة تنسب لله خشيته من الناس ..؟!**

والعجب كل العجب أن التوراة تزعم أن بنى آدم كانت لهم لغة واحدة يفهمونها فاتحدوا شعبا واحدا وبدأوا يبنون لهم مدينة ليقيموا بها برجا يصل إلى السماء. ونزل الله ليرى هذه المدينة فلما رآها وعلم ما هم مجمعون عليه من إقامة البرج خشى الله (!) اتحادهم وقوتهم ومنذ ذلك الوقت فرق لغاتهم فجعل لكل طائفة لغة خاصة حتي لا يتحدوا ويقوى شأنهم. وإليك نص التوراة فى ذلك :

« .. وقال الرب هوذا شعب واحد، ولسان واحد لجميعهم (!) وهذا ابتداؤهم بالعمل والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلم تنزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض (!) فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة (!) -» تك (١١ / ٦-٨).

المدينة التى تقصدها التوراة - هنا - هى مدينة بابل ويقولون أنها سميت بابل اشتقاقا من كلمة «نبلبل [١]» الواردة فى هذا النص. ويجلوا لبعضهم أن يجعل هذه الواقعة الخرافية هى السبب الوحيد فى اختلاف لغات الشعوب ولهجاتها. وبالاطلاع على ما نقلناه لك من قاموس الكتاب المقدس يتضح لك أن الفكر الإنجيلى الحديث ما زال مرتبطا بأوهام وأباطيل القدماء[٢]. وكان الأجدر أن يكون له منها موقف آخر شجاع. ولكن شيئًا من هذا لم يحدث.

● **القرآن يرد هذا الزعم :**

يثبت القرآن لله سلطانا قويا لا يماثله ولا يدانيه سلطان. وقد تحدى الله بهذا

---

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس فى شرح هذه العبارة ما يلي: «إلا أن الرب لم يكن فى قصده تجمع الناس بعد الطوفان. بل انشأهم لتعمير الأرض. ثم لم يكن من صالح الناس أن يلجأوا إلى طرقهم وكبريائهم فى تحدى الرب، فبلبل الرب ألسنتهم» أنظر القاموس المذكور ص١٥٦ - ١٥٧.

(٢) صدرت الطبعة الأولى لقاموس الكتاب المقدس ما بين (١٨٩٤ - ١٩٠١م) وهذا النقل من طبعة (١٩٧١) وممن قام بتحريره الدكتور كامل مراد، وهو أستاذ معاصر بجامعة القاهرة وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. وآخرون ما زالوا أحياء يرزقون ؟ هذا كان فى وقت الطبعة الأولى من كتابنا هذا. أما الآن فالعلم لله بمن مات وبمن بقى حياً.

السلطان كل القوى. ومن يقرأ آيات القرآن في هذا المجال يشعر بهيبة جلال الله وعظمته وكبريائه الذى لا يزول . ومن تلك الآيات :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] .

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : ٣٣].

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾ [الأنعام : ٦١] .

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ [الشمس : ١١ – ١٥].

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] .

﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة:٢٤٢].

وغير ذلك كثير من الآيات التى تتحدث عن عظمة قدرة الله وسلطانه الباهر. فكيف يخشى الله حفنة من عباده أو كيف يخشى الله أية قوة مهما عتت. أنه خالق كل شىء وبيده مقاليد الأمور إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن: فيكون. وما أمر الله إلا كلمح بالبصر أو هو أقرب ؟!

● **اختلاف اللغات آية من آيات الله !**

إن القرآن الحكيم يعرض على الناس فكرة اختلاف اللغات والأصوات معرضا

خاليا من كل زيف أو تحريف . واضعا لها موضعها الأصيل من الفهم والاعتقاد وإليك نص القرآن فيها :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم : ٢٢] .

تتحدث هذه الآية الكريمة عن أربع آيات لله هى : خلق السموات – خلق الأرض – اختلاف الألسنة والأصوات – اختلاف الألوان . ولما كانت هذه الآيات لا تخفى صورها على أحد ، فإن الآية عرضتها عرضا أمينا للعالم كله باختلاف اجناسه : فلكل إنسان ميزة خاصة فى صوته تميزه عمن سواه ممن يتحدثون بلغته أو بغير لغته . ولكل طائفة أو مجموعة من الشعوب لغة خاصة يتحدثون بها ويتعلمونها منذ الصغر . ويعتبرونها لغتهم الأم وأن تعلموا غيرها .

واختلاف الألسنة والألوان معطوف على خلق السموات والأرض . والله لم يخلق السموات والأرض للسبب الذى تذكره التوراة فى اختلاف اللغات حتى يصح عطف المعطوف على ما عطف عليه . وإنما هى آيات عامة قدر الله شئون الخلق عليها تقديرا لم يخطىء فيه لا وسيلة ولا غاية . والله لم يقدر اختلاف الألوان للسبب الذى تذكره التوراة فى اختلاف اللغات . ومع هذا فإنه سبحانه جعل اختلاف الألسنة والألوان كالشىء الواحد مع أنهما شيئان فى الواقع . وما هذا إلا لأن هذه الآيات كلها إنما هى دلالات يتأملها المؤمن فيزداد إيمانا بعد إيمان . واختلاف الألسنة في الآية له دلالتان غير متدافعتين . ولا يمنع أن تحمل الآية عليهما معا وهما :

اختلاف اللغات . ثم اختلاف الأصوات . واختلاف اللغات كما نعلم يكون باختلاف رموز المعانى وهى الكلمات فكلمة « تودا » فى العبرية ، وكلمة « ثانك » هما بمعنى كلمة « شكرا » العربية .

أما اختلاف الأصوات فهو ما نلحظه من الشدة واللين ، والهمس والجهارة وهكذا . وكل هذا من آيات الله وصنعه ، واختلاف الألسنة بالمعنيين موجود من قبل موسى عليه السلام ، أما اختلاف الأصوات فموجود منذ بدء الخليقة ، وهذا كله يثبت أن ما ترويه التوراة إنما هو محض افتراء وباطل .

ولو كان الأمر كما تزعم التوراة لكان الأجدر – بالله – أن يبتلى الناس باختلاف قلوبهم فيملؤها حقدا وبغضا حتى لا يتحاب اثنان . ذلك أجدر ليأمن مكر الناس

وتحديهم له – سبحانه – لأن اختلاف اللغات – كما هو مشاهد – لم يمنع من قيام الترابط بين الشعوب والأمم.

● **المحظور في التوراة مأمور به في القرآن :**

رأينا أن التوراة تنسب إلى الله كراهة اجتماع الناس واتحادهم، وتزعم أن الله – تعالى عما يقولون – يعتبر اتحاد البشر تحديا له نفسه، ولذلك خالف بين لغاتهم حتى لا يكونوا شعبا واحدا لهم من القوة ما يوصلهم إلى ما يريدون. وقد رأينا دفع القرآن الحكيم لهذا الزعم.

وللقرآن دفع آخر يبطل ما ترويه التوراة، حيث جاء الاتحاد في القرآن أمرا مأمورا به مرة، ومنهيا عن ضده وهو التفرق مرة أخرى. جاء الأول في قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا** ... ﴾ والاعتصام هو الاتحاد والترابط القوي بين الناس.

ثم جاء النهي عن التفرق في بقية الآية المذكورة وهو : ﴿ **وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

وللنهي عن التفرق هذا نظير في القرآن الحكيم حيث جاء فيه قوله تعالى :

﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**(١) **وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال : ٤٦].

وهكذا. فما كان محظورا في التوراة جاء مأمورا به في القرآن ومنهيا عن مخالفته.

والحاصل : أن التوراة تنسب إلى الله – سبحانه – الضعف والخشية من خلقه أما القرآن فإنه ينزه الله من هذه « النقائص » ويثبت له السلطان المطلق والقدرة الفائقة وإنفاذ الأمر الذي يريده دون خشية العواقب، لأنه هو القاهر فوق كل المخلوقات.

فأي العقيدتين أليق بجلال الله، وأيهما : التوراة والقرآن. هو الصادق الذي يثري وجدان المؤمنين ومشاعرهم. ليفكر العقل ثم ينتخب..

التوراة : شيوخ اليهود رأوا الله .. ولكنه لم يصافحهم ..؟!

لم يرد وصف الله بأوصاف حسية مجسمة في كتاب كما جاء في أسفار التوراة

---

(١) الريح : القوة والعزة.

ونقل للقارىء – هنا – فقرأ من سفر الخروج ليعلم علم اليقين ما فى هذه الأسفار من أباطيل تنفى نفيا قاطعا أن تكون هى التوراة التي أنزلها على موسي عليه السلام. وأنها تثبت الشيء ثم تعود فتنفيه، وما هكذا وحى الله إلى رسله.

جاء فى سفر الخروج الاصحاح الرابع والعشرين الآيات التاسعة والعاشرة والحادية عشرة وهذا نصها :

« ثم صعد موسى وهارون، وناداب وأبيهو، وسبعون من شيوخ إسرائل ورأوا « إله إسرائيل » ؟ وتحت رجليه (!) شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السمات فى النقاوة. ولكنه لم يمديده (!) إلى أشراف بنى إسرائيل . فرأوا الله وأكلوا وشربوا »؟!

.... والله يسكن بين اليهود فى مسكن يوصى..؟!

وجاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر الخروج الآيتان الثامنة والتاسعة وهما تنصان على أن الله طلب من موسى أن يصنع بنو إسرائيل « مسكنا للرب » لكى يسكن الرب بينهم. وهذا نصها:

« فيصنعون لى مقدسا لأسكن فى وسطهم. بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن، ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون »؟!

ثم تمضى التوراة فتذكر أبعاد وهيئة المسكن كما يحددها الرب، والأدوات التى تستخدم فيه من خشب ومعادن وشعر معزى وجلود كباش .. إلخ. ثم جاء فى الاصحاح السادس والعشرين عدد الشقق المطلوبة مع بيان مساحاتها وهيئاتها وإليك النص:

« وأما المسكن فتصنعه من عشر شقق بوصى مبروم ... طول الشقة الواحدة ثمان وعشرون ذراعا. وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع. قياسا واحدا لجميع الشقق. تكون خمس من الشقق بعضها موصول ببعض. وخمس شقق بعضها موصول ببعض.. » الآيات (١ – ٣) ..؟!

● **واحدى عشرة شقة أخرى :**

كما تتحدث التوراة عن خيمة الاجتماع التي سيجتمع فيها الرب ببنى إسرائيل. وهكذا تقول :

« وتصنع شققا من شعر معزى خيمة على المسكن، إحدى عشرة شقة تصنعها طول الشقة الواحدة ثلاثون ذراعا، وعرض الشقة الواحدة أربع أذرع، قياسا واحدا للاحدى عشرة شقة، وتصل خمسا من الشقق وحدها، وستا من الشقق وحدها. وتثنى الشقة السادسة فى وجه الخيمة » سفر الخروج (٢٦ / ٧ – ٩) ..؟!

● **إضاءة خيمة الاجتماع ..؟!**

أما كيف تضاء خيمة اجتماع الرب ببنى إسرائيل فتتكفل الآيتان (٣٠ – ٣١) من الاصحاح السابع والعشرين من نفس السفر السابق بالبيان، وهذا نصهما :

« وأنت تأمر بنى إسرائيل أن يقدموا إليك زيت زيتون مرضوض نقيا للضوء لإصعاد السرج دائما. فى خيمة الاجتماع خارج الحجاب الذى أمام الشهادة يرتبها هارون وبنوه من المساء إلى الصباح أمام الرب، فريضة دهرية فى أجيالهم من بنى إسرائيل . . »؟!

كما تصف التوراة نهاية كلام الله مع موسى بعد مشوار طويل طويل فتقول :

« ثم أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء لوحى الشهادة . لوحى حجر مكتوبين باصبع الله؟! » سفر الخروج (٣١ / ١٨) . .؟!

هذه نقول « من التوراة وهى قليل من كثير، ولا اعتقد أن القارىء الكريم فى حاجة إلى توضيح حول ما جاء فيها . . ولكن الأمر الذى لافكاك منه أن من يصدق ما جاء في سفر الخروج مما نقلناه وما لم ننقله على أنه وحى الله إلى موسى فى التوراة، فإنه يخرج من عقله أو يخرج منه عقله، لأن سفر الخروج قد خرج عن كل معقول ومنقول . فهو سفر الخروج حقا وبلا أدنى نزاع . وأحيل القارىء إلى أن يطلع بنفسه على كل ما جاء فى هذا السفر الخروجى، وأوصيه بأن يستعين بالصبر الجميل على قراءته ومتابعته حتى النهاية والله يعصمنا وإياه من الردى ..؟ وهذا الضباب المتراكم الذى يسرده السفر يتبدد فى لحظات قصار عندما يرسل النهار اشعته هدى ونورا للسالكين . فتعال نستمع معا إلى القول الحق الأمين .

● **مع القرآن فى هديه الوضىء :**

يتعقب القرآن الأمين تلك الدعاوى كلها فيبطلها بما يقرره من حق . وفاء بالأمانة فى النص والبلاغ . ولكى ندرك دور القرآن فى دفع هذه المزاعم فإننا نقسم ما جاء فى التوراة إلى ما يلى :

● **أولاً – دعوى التوراة أن شيوخ بنى إسرائيل رأوا الله ... ثم أكلوا وشربوا بحضرته وكان دفع القرآن لهذه الفرية من وجهين :**

الوجه الأول : أنه بين فى وضوح أن موسى نفسه حين طلب أن يرى ربه وهو يتلقى كلامه على الجبل لم يمكنه « الجليل » من تلك الرؤية . وفي ذلك يقول القرآن الأمين ﴿ **وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ**

انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣]

فإذا كان هذا هو حال موسى فى عدم الرؤية، وهو افضل بنى إسرائيل، لأنه نبيهم فكيف يكون حال غيره من قومه مهما كانوا من الفضل والتقوى..؟!

الوجه الثانى : أن القرآن الأمين يقص علينا ما صنعه الله ببنى إسرائيل حين قالوا لموسى عليه السلام : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ...؟! وفى ذلك جاء قوله تعالى فى شأنهم .

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة : ٥٥ - ٥٦] .

وهذا نص قاطع فى نفى أن يكون بنو إسرائيل قد رأوا الله سبحانه. لأنه حين علقوا إيمانهم لموسى برؤيتهم الله - عيانا أماتهم الله ، ثم أحياهم مرة أخرى وأراهم بعض الآيات. أما الرؤية المطلوبة فلم يمكنهم منها. وبهذين الوجهين يندفع ما زعمته التوراة من رؤية بنى إسرائيل لله، وينهار بانهيار هذه الفرية كل ما رتبوه عليها من أوهام...؟!

● **ثانيًا : دعوى التوراة أن الله كلم موسى أن يصنع له بنو إسرائيل مسكنا ليسكن بينهم ؟ ويجتمع بهم أبد الدهر** : ومع أن هذا الوهم المريض لا يحتاج إلى مهارة فى دحضه لأن من يقرؤه لا يكاد يستسيغه ويفضل أن يحتسى السم فيجد له طعما أيسر على النفوس قبوله من هذا الكلام الغث الهزيل. فإن آية واحدة من القرآن الأمين تدفعه كله دفعة واحدة فإذا هو زاهق. وهذه الآية تلخص فى صدق وأمانة ما قاله الله لموسى عقيب الميقات الموعود، وإليك نصها :

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ .

ثم تتلوها آية مفصلة وفيها يقول الحق سبحانه:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٤ - ١٤٥]

وبهذا البيان الأمين اختفى الباطل بكل صوره: فلا مسكن للرب، ولا خيمة اجتماع ولا مذبح ولا بخور ولا بوص مبروم، ولا شعر معزى ولا شقق ولا كباش ولا سرج من زيت الزيتون المرضوض. لقد رض هذا كله ثم حرق ثم نسف فى البحر نسفا..؟!

والحاصل: أن التوراة تجعل من الله – سبحانه – الها مجسما يحل فى مكان ويخلو منه مكان، وهو «اله» يسكن فى مسكن بين بنى إسرائيل وفى مسكنه ألوان لا حد لها من الزخارف والديكورات الغريبة التصور والتكوين، يجتمع ببنى إسرائيل كل مساء حتي الصباح أنه «اله» لبنى إسرائيل وحدهم، وليس لغيرهم من الخلق.. ؟!

والقرآن ينزه الله عن التجسيم والحلول فهو فوق كل مكان وزمان. سلطانه عظيم وجلاله مهيب رب كل المخلوقات لا يشغله شأن عن شأن غنى عن العالمين موصوف بكل كمال، منزه عن كل نقص، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار..

فأى العقيدتين – يا ترى – يستحق الموصوف بها أن يكون «هو الله» الذى يملأ قلوب المؤمنين نورا وهدى ؟!

ولنترك – التوراة – فى حديثها عن «الله» فقد علمنا «منزلته» فيها «فيا ترى كيف يكون حديثها عن رسل الله..؟ ذلك ما سنراه فى الصفحات التالية.

ثانيًا: فى حق الرسل

إن كتابا يصور «الله» سبحانه بما قد رأينا من تصوير خرافى الله منزه عنه. ليس بغريب عليه أن يصور رسل الله فى صور شريرة ماجنة ومهووسة. وهذا ما صنعته التوراة مع بعض رسل الله المكرمين الأطهار. ونضع أمام القارىء صورا من تجريح التوراة للأنبياء والرسل واضعين كل اعتبار فى النقل والتفسير الموضع الأول من اهتمامنا:

● **لوط يسكر ويزنى بابنتيه: ؟!**

النص:

«وصعد لوط من صوغر وسكن فى الجبل، وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن فى صوغر، فسكن فى المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقى أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا فى تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة أنى قد اضطجعت البارحة مع أبى. نسقيه خمرا الليلة أيضًا، وقامت

الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا دعت اسمه مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمون. وهو أبو بنى عمون إلى اليوم» سفر التكوين (١٩ / ٣٠ - ٣٨).

فهذه وثيقة اتهام مكشوفة تصم بها التوراة نبى الله لوط عليه السلام ولو أن محاميا ملك كل ملكات التأويل والإخراج، وشهدت له كل مجامع القضاء والفصل فى الخصومات حاول أن يبرىء التوراة مع جريمة «القذف» العلنى المتعمد لضاقت عليه السبل وأعيته الحيل، ولقطعت «جهيزة» قوله، ولاستحالت براعته إلى عيى ووجوم.

فالزنا بغير المحارم شنيع ومسقط للمرءوة، فما بالك والزنا الذى تتهم به التوراة لوطا عليه السلام كان منه على ابنتيه. بل على نفسه فالبنت بعض من ولدها (!). وليست التهمة زنا فحسب، ولكنها زنا وسكر. هكذا نبى يسكر ويزنى بابنتيه. ولا يضير التوراة فى مجال الدفع أنها تقول: «ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها» لأنه كان سكرا فقد إدراكه ؟!

لأنه أن زنا وهو لا يعلم فهل كان حين سقته ابنتاه الخمر سكرا - كذلك - قبل أن يشربها ..؟!

وهب أنه شرب وسكر فى المرة الأولى وهو لا يعلم أن «المشروب» خمر، ثم زنا وهو لا يعلم أفلا تذكر بعد أن افاق أن عقله قد ذهب بالأمس، ولم يتخيل أنه واقع بكرته «الشيطانه»؟ فلماذا لم يتنبه فيمتنع عن تناول الخمر حين قدمتاها له فى المرة الثانية؟!

نحن نعلم أن السكير الآن يتحدث عن مغامراته التى خاضها وهو سكران. أما أن ينسيه السكر كل شىء فهذا أمر لا يصدق ؟

وكيف سمح لوط لابنتيه أن يصطحبا معهن الخمر من «صوغر» إلى «الجبل»؟! وهل كانت بنتاه تنويان هذا العمل بأبيهما قبل الذهاب إلى الجبل ولهذا فإنهما استعدتا للأمر قبل أن يكون ؟!

إن هذا - أيضاً - مدفوع، لأن رواية التوراة نفسها توحى بأن هذه «الفكرة» الشيطانية طرأت على ابنته البكر بعد الصعود إلى الجبل ..؟!

ولوط قد شاخ كما تروى التوراة عن إحدى ابنتيه، فكيف حملت منه ابنتاه — إذن — أم أن هذه « معجزة » صنعها الله مع « لوط » مثل معجزتى إبراهيم عليه السلام حين ولد بكره وهو شيخ وامرأته عجوز، وزكريا عليه السلام حين ولد ابنه يحيى على كبر منه ومن زوجه. وإذا كان الأمر — كذلك — فلم لم يقص القرآن علينا نبأ هذه المعجزة كما قص نبأى إبراهيم وزكريا ..؟!

وإذا غضضنا الطرف عن هذا كله فما هو مسلك لوط حين رأى ابنتيه قد حملتا وظهر ذلك عليهما. هل صمت ولم يسألهما عن مصدر حملهما. أم سأل؟ ثم ماذا كان الجواب ؟ أقالتا له الحقيقة أم خدعتاه فيه كما خدعتاه من قبل ...؟!

هذه تساؤلات نضعها أمام أمناء الكتاب المقدس بعهديه. ثم أمام القارىء وهو لابد — واصل إلى عرار ؟!

- **القرآن يبرىء لوطا وأهله :**

ونزل القرآن المهيمن ليدفع عن نبى الله لوطا وصمة الخسة والسقوط التى سجلتها أهواء المرضى فى أسفار التوراة. ونذكر فيما يلى نص القرآن القاطع ببراءة لوط وابنتيه من كل سوء، وليس من الخمر والزنا فحسب.

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ١٦٠ — ١٧٤] . هذا آخر بيان للوحى الأمين أودعه الله صدور الذين آمنوا. وفيه ترى لوطا النبى مشرق الصورة، نقى السيرة، محمود العاقبة. وهرعت إليه طوائف قومه ليفعلوا الفاحشة مع ضيفه ملائكة الله، فبرأ لوط من عمل قومه ويدعو ربه أن ينجيه وأهله من السوء أيا كان. ويستجيب له ربه فينجيه ويخبرنا فى أصدق كتبه بأنه نجاه وأهله إلا امرأته، فحفظ القرآن للوط وابنتيه

عفتهم وشرفهم، ليبقى ما يقال غير ذلك أكذوبة الدهر حتى يقتص الله ممن قد تهجموا على رسله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحاصل : أن التوراة تتهم نبى الله لوطا بالسكر والزنا . وابنتيه بالزنا والخداع(!) . والقرآن يبرئهم من هذا كله فأيهما أحرى بالاتباع ثم : أيهما كاذب وأيهما صادق؟ سؤالان جواباهما معلومان . . .؟!

- **ثلاثة من الأنبياء جدهم ولد زنا :**

الاتهام بالزنا أمر كثير الشيوع فى التوراة . كما حدث فى قصة لوط وابنتيه . ونذكر هنا قصة أخرى شبيهة، تلوث – لو صدقت – طهارة ثلاثة من الأنبياء هم : داود، وسليمان وعيسى عليهم السلام . ونظرا لطول النص فى التوراة فإننا نجتزىء منه ما فيه دلالة على ما نقول .

- **يهوذا بن يعقوب يزنى بزوجة ابنه :**

جاء فى الاصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين أن يهوذا بن يعقوب أخا يوسف عليهما السلام قد زنى بزوجة ابنه « عير » واسمها « ثامار » . وتحكى التوراة أن يهوذا هذا ماتت امرأته فأخبر جزار غنمه بأنه صاعد إلى موضع[1] غنمه ليجزها . وهنا تبدأ خيوط المأساه فتقول التوراة بالحرف :

« فاخبرت ثامار، وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى قمته ليجز غنمه(!) فخلعت عنها ثياب ترملها[2]، وتغطت ببرقع وتلففت وجلست فى مدخل عيتايم[3] التى على طريق تمنة (!) . . . فنظرها يهوذا، وحسبها زانيه . . . فمال إليها على الطريق، وقال : هاتى ادخل عليك . . فقالت ماذا تعطينى لكى تدخل على؟ فقال : أنى أرسل جدى معزى من الغنم! فقالت : هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ فقال ما الرهن الذى أعطيك؟ فقالت : خاتمك وعصابتك وعصاك التى فى يدك : فأعطاها ودخل عليها فحبلت منه . الآيات (١٣ – ١٩) سفر التكوين .

ثم تحكى التوراة وقائع ولادتها . إذ ولدت ولدين أحدهما دعى اسمه زارح . وأما الثانى « فدعى اسمه فارص » سفر التكوين (٣٨ / ٣٩) .

---

(١) ويسمى فى التوراة « تمنه » .
(٢) كانت ثامار فى زمن الحداد على زوجها « عير » كما فى التوراة .
(٣) اسم موضع .

وفارص هذا الذى تدعى التوراة أنه ولد من زنا هو جد كل من داود وسليمان وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه.

دليل هذا ما جاء فى إنجيل متى من أسفار العهد الجديد الاصحاح الأول وفيه يقول متى :

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم . إبراهيم ولد اسحق، واسحق ولد يعقوب، ويعقوب ولد يهوذا، ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . . » متى (١ / ١-٣) .

ثم يقول متى فى نهاية سلسلة النسب : « ومتان ولد يعقوب، ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى منها يسوع الذى يدعى المسيح . . » متى (١ / ١٥) . . ؟!

وهكذا فى يقين تدرك حسب ما جاء فى سفر التكوين، وإنجيل متى أن داود وسليمان وعيسى ينتهى نسبهما إلى فارص الذى حملت به أمه من زنا مقابل جدى من المعزى . . ؟!

● **القرآن يشهد بطهارة الرسل وسلامة معدنهم :**

مثلما علت عقيدة الإسلام فى « الله » علت عقيدته فى « رسل الله » فكلهم مصطفون مختارون مبرأون من المآخذ والعيوب المحسوسة والمعقولة. والقرآن الأمين بين فى مواضع متعددة منه سمو رسل الله واختيارهم من صفوة خلقه وأطيبهم معدنا وأنقاهم سيرة، فيقول فى شانهم :

﴿ **وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ** ﴾ [ص : ٤٧] .

● **ويقول فى آيات جامعة :**

﴿ **وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٨٧] .

وتلك هى شهادة القرآن الأمين الصادق لأنبياء الله ورسله بأنهم كلهم مبرأون من العيوب، لأنهم مصطفون مختارون. والاصطفاء هو تخير الأصفى كما جاء فى كتب التفسير[1]. أى أنهم خالصون سالمون من كل دنس أو مغمز، وحاشا لله أن يجعل فى نسب رسول أو نبى من أنبيائه مخلوقا من نطفة زرعت فى غير أرضها فنبتت منبتا حراما..؟!

والحاصل: أن التوراة تلصق نسب طائفة من رسل الله وأنبيائه إلى مولود من زنا آثم فيه أبوه وأمه. والقرآن يرفع شأن هؤلاء الرسل والأنبياء فهم من أنقى خلق الله وأكرمهم عنده ؟!

فأى العقيدتين أليق بطهارة الرسل الأعلام، والأئمة الهداة ؟! ما تزعمه التوراة أم ما يقرره القرآن ..؟! وازن ثم اختر والله يهديك.

● **وداود يزنى ويقتل زوج عشيقته: ؟!**

وجاء الدور على داود عليه السلام، وبالشناعة ما تصفه به التوراة إذ تحكى عن قصة لا مكان لها فى كتاب موحى به من عند الله. أما مكانها الجدير بها، والجديرة هى به أن تكون فى كتاب «ألف ليلة وليلة» ولا بأس أن تزداد لياليه ليلة أخرى أو ليلات بقدر ما يتسع لما تحكيه التوراة «الوقورة» عن داود نجاه الله مما يقولون وما يقولون إلا بهتانا عظيما.

ففى الاصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى تقرأ هذه المأساة التى بطلها داود عليه السلام.؟!

«وكان فى وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك. فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكان المرأة جميلة المنظر جدا، فأرسل داود وسأل عن المرأة. فقال واحد اليست هذه .. بنت اليعام امرأة أريا الحثى. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهى مطهرة[2] .. ثم رجعت إلى بيتها، وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت أنى حبلى ...» (٢ - ٥).

هذا هو نص الادانة. ويبدو فيه داود النبى نزقا شريرا، يحملق ببصره فى محارم الله، بل ويتعمق فى النظر حتى يفتتن قلبه فيثير كوامنه نحو المرأة الجميلة التى رآها تستحم (؟!) ثم يتبع هواه (!) فيسأل عنها من تكون، ولا يلبث أن يرسل إليها من

---

(١) انظر تفسير القرطبى (جـ٣ ص ١٣٣).

(٢) أى غير حائض.

أحضرها إليه، وسرعان ما خلا بها وضاجعها حراما (؟!) ولما قضى منها وطره أرسلها إلى بيتها. ولكن المرأة شعرت بأنها حبلت من داود، فأرسلت إليه تخبره خبرها.

وإلى هنا ينتهي النص الذى نقلناه آنفا. أما بقية القصة فنلخصها من بقية النصوص دون ذكر النصوص نفسها توخيا للايجاز ولمن شاء أن يطلع عليها فى مظانها فالأمر ميسور أمامه، ولنبدأ الآن من حيث انتهينا :

لم يطل التفكير بداود، فقد أمر أحد رجاله أن يخرج للحرب، وأن يصطحب معه فيمن يصطحب أوريا زوج عشيقة داود، وأوصاه أن يكون أوريا فى مقدمة الجنود فإذا دارت الحرب فعلى الجنود أن يتزحزحوا إلى الخلف تاركين أوريا بين يدى جنود العدو ليقتلوه (!؟).

ونفذت وصايا داود وقتل أوريا فى الحرب، وندبت المرأة زوجها حين علمت بموته ثم انتهت مدة النياحة (!؟) وضمها داود إليه فصارت له امرأة، وولدت له ابنا!؟ ثم تقول التوراة فى نهاية هذه القصة.

« وأما الأمر الذى فعله داود مقبح فى عينى الرب » صموئيل الثانى (١١ / ٢٧).

فداود – في التوراة – زان متعمد، وقاتل مخادع .. أليس كذلك ..؟!

والمؤسف كل الأسف أن هذه الفرية سيطرت حينا على بعض مفسرى القرآن العظيم حين تفسيرهم لقصة الخصمين اللذين تسوروا المحراب على داود(١) فإنك ترى التأثر بما ذكرته التوراة عن داود هنا واضحا كل الوضوح ومع هذا فإن فرقا كبيرا تلحظه بين أقاويل المفسرين وبين ما ورد فى التورة فبينما تصر التوراة على اقتراف داود للزنا بزوجة أوريا، ثم الزج به فى الحرب ليقتل فقتل. ترى المفسرين لا يقولون بوقوع الزنا منه قط، وإنما حصروا فتنته فى النظر وإرادة الزواج منها، وان شايع بعضهم التوراة فى مسألة دفع أوريا إلى الحرب.

وأيا كان الأمر فإن محققى المفسرين يلتمسون لفتنة داود أسبابا أخرى غير النظر إلى امرأة أو الزج بزوجها للقتل. ترى ذلك مبسوطا فى مظانه من كتب التفسير.

وداود عليه السلام برىء من هذه المعاصى التى حاولت التوراة أن تلصقها به لأنه نبى معصوم ولو صح ما تنسبه إليه التوراة – لو صح – لما أستحق أن يكون نبيا.

وقد تقدم ثناء الله عليه فى القرآن فى آية ﴿ **وتلك حجتنا** ﴾(٢). وفى سورة ص نفسها يقول الله عنه :

---

(١) انظرها فى تفسير سورة « ص ».

(٢) الأنعام : ٨٣.

«**وأذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**». ويبقى أثم هذه الفرية محمولا على محرفى التوراة. فهم المسؤلون عنها فى المصادر اليهودية والإسلامية ..؟!

وفى غير مجال الاتهام بالزنا، وردت صورتان فى التوراة إحداهما الصقت بنبى الله سليمان، والثانية بنبى الله هارون أخى موسى عليهم السلام، وهما صورتان لو صدقت كل منهما على صاحبها لأخرجته من كونه رسولا يدعو عباد الله إلى التوحيد الذى هو صلب الرسالات السماوية، إلى كونه وثنيا يعبد الأصنام. ونوجز فيما يلى القول فيهما.

- **سليمان يرتد ويعبد الأصنام ..؟!**

وردت هذه «الخرافة» المفتراة على نبى الله سليمان فى سفر الملوك الأول الاصحاح الحادى عشر من العهد القديم. والغريب أن التوراة تمهد للصق هذه الفرية بسيرة سليمان عليه السلام بأن السبب الذى جعل سليمان يترك عقيدة التوحيد فيعبد الأصنام فى حال شيخوخته، ويقيم لها المعابد ويقدم لها القربان. تمهد لهذه الفرية بأن سليمان خرج عن قانون «آله إسرائيل» فأحب كثيرا من النساء الغريبات، وكان قانون «اله بنى إسرائيل» يحرم عليهم أن يدخلوا على النساء الغريبات كما يحرم دخول الغرباء على نساء بنى إسرائيل.

ولكن سليمان عصى «اله بنى إسرائيل» فمال إلى نساء مؤابيات وعمونيات وآدوميات وصيدونيات وحثيات حتى بلغ عدد نسائه سبعمائة سيدة وثلاثمائة من السرارى (!؟).

ثم أسمع بعد هذا التمهيد الذى تراه فى مطلع الاصحاح الحادى عشر من السفر المذكور إلى نص التوراة فى فرية ارتداد سليمان عليه السلام ..؟!

«وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء **عشتورت**(*) الهة الصيدونيين. **وملكوم** رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة **لكموش** رجس المؤابيين ... **ولمولك** رجس بنى عمون، وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن. فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب آله إسرائيل، الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا أن لا يتبع الهة أخرى. فلم يحفظ ما أوصى به الرب» الآيات (٤-١٠).

(*) الكلمات السوداء أسماء أصنام.

هذا ما ترويه التوراة عن نبى الله سليمان. فلندعه – قليلا – ريثما نفرغ من رواية التوراة عن نبى الله هارون .

● وهارون يصنع العجل ويعبده من دون الله : ؟!

تقول التوراة أن موسى عليه السلام حين أبطأ فى العودة إلى قومه بعد خروجه من مصر ذهبوا إلى أخيه هارون، وطلبوا منه أن يصنع لهم آلهة لأنهم لا يدرون ما الذى حدث لموسي فلم يعد. فاستجاب هارون، ونترك التوراة، تحدثنا عن هذه الفرية :

« فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وآتونى بها. فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي فى آذانهم، وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا: هذه الهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه ونادى هارون وقال: غدا عيد للرب فبكروا فى الغد واصعدوا محرقات، وقدموا ذبائح سلامة. وجلس الشعب للأكل والشرب. ثم قاموا للعب »؟! سفر الخروج (٣٢ / ٢–٦).

● القرآن المهيمن يبرىء الرسولين :

لو لم يكن لهذا الكلام من حق يهيمن عليه ويدفعه لفقد الناس الثقة فى رسل الله وأنبيائه. إذ من الخطير جدا على عقائد الأفراد والأمم أن يرتد رسول « أو يشك أحد فى رسالته عن الحق الذى به بعث، وهو التوحيد، ثم يعبد الهة من دون الله ولكان كل وثنى أو ملحد له قدوة من رسل الله فى وثنيته وإلحاده. ومن رحمة الله بالناس أن جعل آخر رسالات السماء مهيمنة على كل الرسالات التى تقدمتها فى الوجود، لكى ترد الحق إلى نصابه، وتذب عنه هوى العابثين، وأباطيل المبطلين. وها نحن أولاء نستفتى أمانة الله فى الأرض « القرآن » فى أمر سليمان وهارون وما نسبته إليهما التوراة فى خروجها ؟!

● مكانة سليمان فى القرآن :

لسليمان بن داود عليهما السلام مكانة عالية فى القرآن الأمين لم يشبها زيغ أو انحراف. وفى ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ

لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ : ١٢ – ١٣] .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ [النمل : ١٥ – ١٦] .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٣٠] .

أترى لو كان سليمان قد ارتد وعبد الأصنام وأسرف فى شهواته كما تروى عنه التوراة أكان يستحق هذا الثناء من رب العرش العظيم ؟ أم أن مصيره كان سيكون مثل مصير فرعون وهامان : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ ألا قاتل الله الباطل وأهله .

- **عجل السامرى .. لا هارون : ؟!**

أما دفع القرآن عن هارون مما رماه به محرفو التوراة فيكفى فيه أن نذكر قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ * أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (١) [طه : ٨٣ – ٩١]

---

(١) نلفت نظر القارىء إلى أن كل هذه المواضع التى تعقب القرآن فيها التوراة وصوب ما فيها من أخطاء ودفع ما فيها من باطل . هذه المواضع كلها يعتبرها مخرجو كتاب « الاستحالة » اقتباسات القرآن من التوراة ؟!

ذلك هو الحق الذى يجب أن يقال وأن يعتقد . فعجل بنى إسرائيل صنعه السامرى ولم يصنعه هارون . وهارون عليه السلام نصح قومه حين رآهم يعبدون العجل بأنه فتنة لهم وأن ربهم هو الله الرحمن، فلم يستجب قومه له لأنهم استضعفوه فى نظرهم .

والحاصل: أن التوراة لا تتورع أن تلصق بأنبياء الله ورسله كل نقيصة ولو كانت تلك النقيصة ارتدادا وكفروا بالله الواحد القهار . وأن القرآن يدفع باطل التوراة ويدفع عن أنبياء الله ورسله المكرمين ما لا يليق. فأى المصدرين هو الكاذب، وأيهما هو الصادق : التوراة المحرفة أم القرآن المصون وأى العقيدتين أحرى بالاتباع؟ عقيدة التوراة أم ما يدعو إليه القرآن الأمين؟ إن فى ذلك لدلالة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ؟!

● **والخلاصة** :

وها نحن قد فرغنا من عرض بعض نصوص التوراة ونقدها، وبعد هذا ندعو القارىء أن يتأمل لماذا وقف القرآن الحكيم موقفه المعروف من التوراة التى لعبت بها أيد اليهود . ولماذا نبه إلى تعديهم عليها؟! والجواب واضح جدا فلا يحتاج إلى بيان . ولكن الذى ينبغى أن يقال ويعتقد أن القرآن لم يتجن على التوراة وإنما صنع معها ما يصنعه الناصح الأمين الصادق . ويا ويل البشرية لو خلت حياتها من القرآن ؟! والقرآن وحده . . ؟!

● **ثانياً : نصوص من الأناجيل . عرض ونقد :**

تمهيد : من الأمور التى أقرها كتاب « استحالة تحريف الكتاب المقدس » ما يأتى :

أولاً : ألوهية المسيح عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله . بل دعوه الله نفسه « هو الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى الذى أنشأها (أى العظام !) أول مرة »[١].

ثانيا : أن المسيح عيسى ابن مريم هو « الديان » : لأن الأب لا يدين أحد[٢]. بل قد أعطى كل الدينونة للابن . . . وها أنا آتى سريعا وأجرتى معى لأجازى كل واحد كما يكون علمه »[٣].

---

(١) كتاب الاستحالة (ص : ٩٣) الطبعة الثانية .

(٢) هكذا « أحد » وحقها أن تكون « أحدا » بالنصب لأنها مفعول !

(٣) كتاب الاستحالة (ص ٩٤) و (ص ٣٤) و (ص ٣٧) - (ص ٦٧ ، ص ٩٨ ، وما بعدها) .

ثالثًا: أن الكتاب المقدس يخلو من التناقض والخلل وهذا نصهم فى ذلك: «ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لا تناقض فيها ولا خلل»[1].

وبعد هذا بثلاث صفحات ترى عنوانا هكذا يقول:

(التوافق التام بين العهد القديم والجديد) [2]

رابعًا: خلو الكتاب المقدس بعهديه من البشارة برسول الإسلام وقد تحمس مخرجو كتاب الاستحالة لتأكيد هذه المقولة وأفرغوا فيها جهدا «مضنيا» فى مواضع متعددة من كتاب «الاستحالة»[3].

ونكتفى بإبراز هذه الأمور الأربعة فنعرضها واحدا واحدا على نصوص من الأناجيل، وننقدها نقدا علميا على ضوء ما نذكره من نصوصهم الإنجيلية ناظرين إلى ما تسفر عنه الدراسة أتسلم لهم هذه «المقولات» أم ترد ويثبت ضدها ...؟

- **موقف نصوص الأناجيل من دعوى ألوهية عيسى (عبدالله ورسوله) عليه السلام:**

جاء فى إنجيل متى الاصحاح الرابع فى مسألة تجريب أبليس لعيسى عليه السلام ما يأتى:

«ثم أخذه أبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملونك لاتصدم بحجر رجلك؟ قال له يسوع: مكتوب أيضًا لا تجرب الرب إلهك. ثم أخذه أيضًا إبليس إلى جبل عال جدا، وآراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له: أعطيك هذه جميعها! إن خررت وسجدت لى. حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب الهك تسجد، وإياه وحده تعبد» (٥-١٠).

فها هوذا عيسى عليه السلام يأبى أن يسجد لابليس، ولم يكتف بعدم السجود له بل يقول له: أن السجود لا يكون إلا لله، والعبادة لا تكون إلا لله وحده.

وهذا يتضمن اعترافين: **أحدهما** أن عيسى عليه السلام ليس هو الله ولا هو ابن الله. **وثانيهما**: أن السجود والعبادة إنما هما لله وحده وفى نفس إنجيل متى الاصحاح العشرين آية (٣٢) جاء قوله على لسان عيسى عليه السلام: «أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: «أنا إله إبراهيم، وإله اسحق واله يعقوب».

---

(١)، (٢)، (٣) كتاب الاستحالة (ص ٩٤)، (ص ٣٤)، (ص ٣٧ - ص ٦٧ - ص٩٨) وما بعدها.

وبعد ذلك من الاصحاح نفسه يجيب من يسأله عن الوصية العظمى في الناموس، فيقول عيسى عليه السلام حسب رواية الإنجيل المذكور: « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك، ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى العظمى: والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله « الأنبياء » (٣٧-٤٠).

وهذا اعتراف آخر باقرار السيد المسيح بأن الله هو – وحده – إله الأنبياء وإله الناس جميعا. واله عيسى نفسه. ولا ينازعنا منازع فى أن عيسى يعترف بأنه « مربوب » لرب الخلق جميعا. لأننا نذكر فى هذا نصا قاطعا من إنجيل متى نفسه يلزم الإنجيليين بأن يعترفوا بهذه الحقيقة، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا بأن هذا النص غير موجود. فنحن لم نات به من « عندياتنا » بل من كتابهم المقدس فهو حجة عليهم..

والنص وارد فى الاصحاح السابع والعشرين. وهو يحكى موقف المسيح وهو يقاد إلى خشبة الصليب. وإليك ذلك النص:

« ومن الساعة السادسة[١] كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا: ايلى ايلى لم شبقتنى؟ أى الهى الهى لماذا تركتنى » (٤٥-٤٦). هذا هو النص وشرح ما غمض من كلماته[٢].

- **وتعليقا عليه نقول:**

(أ) عيسى عليه السلام يقول – بالقطع – إلهى إلهى، فمن هو إلهه إذا كان هو نفسه الاها. أليس هو « الله » اله إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله أجمعين.

(ب) وإذا كان عيسى عليه السلام إلآها فلماذا يجزع ويصرخ هكذا بصوت عظيم كما يروى عنه تلميذه متى فى إنجيله؟

(جـ) تقرر الأناجيل، ومن بعدها كتاب الاستحالة أن يسوع المخلص كان يعلم نهايته. وأنه سوف يصلب، ليفدى البشرية من ذنوبها وأخطائها. فإذا كان الأمر كذلك فلماذا جهل وهو يقاد إلى الصلب وجه الحكمة فيما هو جاء من أجله، وما هو الآن مقبل عليه. وإذا لم يكن هذا جهلا مع أن سياق الكلام يقتضيه، حسب ما ورد فى النص المتقدم. إذا لم يكن جهلا فهو على الأقل « تنكر » لما كان يتحدث به مع

(١) تحديد الزمن هنا بالساعة أمر غريب جدا. يحتاج إلى مهارة فى التخريج..؟!
(٢) ووردت هذه العبارة فى إنجيل مرقس (١٥ / ٣٤) هكذا: الوى الوى لما شبقتنى »؟!

تلاميذه من قبل[1]. بل هو تنكر لجوهر المهمة التى جاء من أجلها وهى تقديم نفسه فداء للإنسانية من اخطائها كما تزعم الأناجيل.

ونحن مع كوننا نؤمن «بنبوة المسيح» ونقف به عند هذا الحد ولا نقول أنه «اله» مع هذا الإيمان «المتواضع» ننزه المسيح عن التنكر للمهمة التى جاء من أجلها وهى هداية قومه إلى الحق.

ويشترك يوحنا مع متى ومرقس فى وصف ساعة «الصلب» المدعاة فيقول فى الاصحاح الثانى عشر فى الآية السابعة والعشرين حكاية عن المسيح وهو يصلب:

«الآن نفسى اضطربت. وماذا أقول أيها الآب: نجنى من هذه الساعة ...».

والجديد فى هذا النص الذى نقلناه عن إنجيل يوحنا أن المسيح (عليه السلام) يقول: أن نفسه اضطربت. وأنه يطلب من «الآب» أن ينجيه من هول تلك الساعة.

فإذا كان المسيح الاها فكيف تضطرب نفسه؟! والاضطراب معناه الخوف الشديد. هل الاله يخاف؟ والخوف في مثل هذه المواقف هو وليد الضعف وقلة الحيلة. فهل يتصور العقل الاها هكذا: ضعيف قليل الحيلة يستغيث بمن ينقذه وينجيه؟!

- **اعتراف عيسى (عليه السلام) والأناجيل بأنه إنسان نبي:**

ونعرض فيما يلى نصوصا من الأناجيل تعترف بإنسانية عيسى ونبوته مرات يصف المسيح بهذه الصفات هو نفسه، ومرات يصفه بها كتاب الأناجيل ومن ذلك قول المسيح لجماعة من الكتبة ظنوا به الشر وهو يعالج مريضا مفلوجا بقوله: «يا بنى: مغفورة لك خطاياك» فقال الكتبة هذا يجدف» فقال لهم المسيح.

«لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم؟ أيهما أيسر؟ أن يقال مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قم وامشى. ولكن لتعلموا ان **لابن الإنسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا ..» متى (٩/٢ - ٦).

فهذا اعتراف مسطور فى أول الأناجيل الأربعة بأن عيسى (عليه السلام) يصف نفسه بأنه ابن الإنسان؟

وجاء فى متى أيضًا فى الاصحاح الحادي عشر آية (١٦): قول المسيح عن نفسه «جاء **ابن الإنسان** ياكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول شريب خمر»؟!

---

(١) جاء فى قاموس الكتاب المقدس (ص١٠٩) توجيه طريف لجزع المسيح وصراخه حين صلب لا نحرم القارىءمن الوقوف عليه هو: «قال بعضهم بأن المسيح كان فى تلك اللحظة يحمل خطية العالم بأسره. ولذا فقد شعر بالانفصال الوقتى عن الآب السماوى» ؟!

وفى إنجيل مرقس الاصحاح الثانى الآية (٩) روى مرقس نفس القصة التى رواها متى فى شفاء المفلوج وأن عيسى (عليه السلام) قال: « ولكن لتعلموا أن **لابن الإنسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا . . »؟!

وفى الاصحاح الثالث عشر يروى مرقس عن المسيح قوله [١] ! « وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا فى سحاب بقوة كثيرة ومجد »؟!

أما لوقا فيروى فى إنجيله نفس قصة المفلوج التى رواها من قبل كل من متي ومرقس، فيقول لوقا كما قالا أن المسيح قال عن نفسه « ولكن لكى تعلموا أن **لابن الإنسان** سلطانا على الأرض أن يغفر الخطايا . . . . » [٢].

وفى نفس الاصحاح يتحدث لوقا عن إحدى ليالى المسيح فيقول: « وفى تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلى، وقضى الليل كله فى الصلاة لله » [٣].

وفى الاصحاح السابع يروى لوقا ما سبق أن رواه متى من قول المسيح عن نفسه:

وهو : جاء يوحنا لا يأكل خبزا ولا يشرب خمرا فتقولون به شيطان. جاء **ابن الإنسان** (يقصد نفسه) يأكل ويشرب فتقولون هوذا إنسان أكول « وشريب خمر »[٤] . . ؟!

وفى الاصحاح الثانى والعشرين من إنجيل لوقا يروى لوقا قول المسيح عن نفسه وهو يتحدث عمن سيسلمه للصلب :

« ولكن هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة. **وابن الإنسان** ماض كما هو محتوم »[٥].

وفى الاصحاح نفسه يروى لوقا عن المسيح قوله عن نفسه « منذ الآن يكون **ابن الإنسان** جالسا عن يمين قوة الله »[٦].

أما رابع الأناجيل ، وهو إنجيل يوحنا فقد تعددت المواضع التى وصف فيها المسيح بابن الإنسان فيه ومن ذلك:

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا، لأنه **ابن الإنسان** »[٧].

---

(١) آية (٢٦) .
(٢) الاصحاح الخامس آية (٢٣) .
(٣) آية (١٢) .
(٤) الآيتان (٣٣ – ٣٤) .
(٥) الآيتان (٢١ – ٢٢) .
(٦) الآية (٦٩) .
(٧) الاصحاح الخامس آية (٢٧) .

وفيه أيضًا :

« فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم، أن لم تأكلوا جسد **ابن الإنسان**، وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من ياكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية . . »(١).

وفيه كذلك يقول المسيح عن نفسه وهو يخاطب اليهود الذين كانوا يسعون لقتله.

« ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله »(٢).

فهذه نقول « وآيات من الأناجيل الأربعة فيها وصف صريح لعيسى عليه السلام بأنه إنسان. إنسان مخلوق الله. وعبد له يصلى من أجله ويطلب منه النجاة. فكيف تستقيم لدى الإنجيليين فكرة « الوهيته » عليه السلام فقد اتفقت الأناجيل الأربعة على وصفه بأنه إنسان. كما خلت كل هذه الأناجيل من آية عبارة أطلق المسيح فيها على نفسه أنه « اله » لم ترد هذه العبارة فى أى من الأناجيل الأربعة لا عن لسان عيسى نفسه ولا فى « حشويات » كتاب الأناجيل. فمن أين إذن تستقى هذه الفكرة ما دامت الأصول الدينية الكبرى عند النصارى قد خلت منها.

صحيح أن الأناجيل قد ورد فيها وصفه بأنه « ابن الله » أو أنه « الرب » ولكن هذين الوصفين لا تكون نتيجتهما الحتمية أنه « الله الحى القيوم المحيى المميت الأزلى » كما جاء فى كتاب الاستحالة. وسوف نعود لهذين الوصفين فى نهاية هذا المبحث إن شاء الله.

- **نبوة عيسى فى الأناجيل :**

وقعنا فى النصوص المتقدمة على حقيقة الوصف العام الذى صرحت به الأناجيل الأربعة « عن رضى أم عن كره » فى حق السيد المسيح (عليه السلام) وهو أنه إنسان ابن إنسان. ونقف فى النصوص الآتية على حقيقة الوصف الخاص الذى تصرح به الأناجيل الأربعة فى حق السيد المسيح وهو **أنه نبى مرسل**. وبهذا تكمل شخصية عيسى عليه السلام وهو « أنه بشر رسول » بحيث يكون القصور أو التجاوز لهذا الفهم مغالاة وزيفا الحق منهما براء. وإليك النصوص:

---

(١) الاصحاح السادس آيتا (٥٣ / ٥٤) وهذا هو مبدأ العشاء الربانى المعروف عند النصارى.

(٢) الاصحاح الثامن آية (٤٠).

جاء فى إنجيل متى قول المسيح عن نفسه:

« من يقبلكم يقبلنى، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى. من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ »[1].

فمن هو الذى أرسل عيسى عليه السلام. أليس هو الله ؟ وما الذى تفيده هذه العبارة فى وضوح :

أن مفادها هو : عيسى – عليه السلام – نبى مرسل، وليس إلآها ، ولا ابن إله.

وفى إنجيل مرقس جاءت هذه العبارة مع اختلاف يسير فى الصياغة:

« ومن قبلنى فليس يقبلنى أنا . بل الذى أرسلنى »[2].

أما لوقا فيروى فى إنجيله رد المسيح على الفريسيين الذين نصحوه بالخروج من أورشليم لأن هيردوس يريد أن يقتلك . فكان رد المسيح عليه السلام كما يروى لوقا:

« بل ينبغى أن أسير اليوم وغدا وما يليه، لأنه لا يمكن أن يهلك نبى خارجا عن أورشليم »[3].

كما يروى لوقا ما يقطع بإيمان المسيح عليه السلام بوحدانية الله، وذلك فى رده على من قال: « أيها المعلم الصالح . . . » فكان رد المسيح عليه السلام كما يرويه لوقا:

« لماذا تدعونى صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله[4] »؟! فلو كان المسيح إلآها – كما يدعون – لما نفى الصلاح عن نفسه وعن غيره ليحصره فى واحد أحد وهو الله. ولو كان جزءاً من ثلاثة أجزاء « الله » سبحانه وتعالى عما يقولون – لكان صاحب حق فى الصلاح الذى نفاه بأسلوب قصرى وأثبته لله. فليس الصلاح المطلق إلا لله وحده فما تأويل هذا عند مخرجى كتاب الاستحالة؟! أنه طريق صعب وصعب اجتيازه.

ويفجؤك إنجيل يوحنا رابع الأناجيل وأول ما يفجؤك فى هذا الصدد قول المسيح الذى يرويه فيقول:

« لأنه – أى الله – لم يرسل ابنه (!) إلى العالم ليدين العالم. بل ليخلص به العالم. . . »[5].

---

(١) الاصحاح العاشر آيتا (٤٠ – ٤١) .

(٢) الاصحاح التاسع آية (٣٧) .

(٣) الاصحاح الثالث عشر آية (٣٣) .

(٤) الاصحاح الثامن عشر آية (١٩) .

(٥) الاصحاح الثالث آية (١٧) .

ويروى يوحنا أن مشاهدى بعض آيات المسيح قالوا حين أعجبوا بها « فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا: أن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى إلى العالم.. »[1].

ويروى يوحنا قول المسيح الآتى:

« لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى، بل مشيئته الذى أرسلنى »[2].

ويروى يوحنا قول المسيح عن نفسه:

« أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذى أرسلنى »[3].

كما يروى يوحنا قول الأعمى الذى أبصره (أى أعاد بصره) عيسى عليه السلام حين سأله اليهود ماذا تقول فى هذا الذى أعاد عليك بصرك؟ « فقال أنه نبى »[4].

ونختم هذه النقول بما يرويه يوحنا فى الاصحاح الثانى عشر الآيتين (٤٤-٤٥) حيث يقول المسيح:

« فنادى المسيح وقال: الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى، بل بالذى أرسلنى. والذى يرانى يرى الذى أرسلنى ».

أن هذه النصوص التى اتفقت فى روايتها كل الأناجيل بحيث لم يشذ عنها واحد تنبىء فى يقين بصحة مدلولها. وأن مسألة ادعاء الوهية المسيح إنما هى طارئة لم يقل بها أحد من الذين عاصروه أو الذين كانوا قريبى العهد بمبعثه وإلا لما بقيت هذه « الومضات » التى تضع المسيح عليه السلام موضعه الصحيح من حيث طبيعته، ومن حيث العقيدة فيه.

فطبيعته بشرية إنسانية. والعقيدة فيه أنه نبى مرسل أيده الله بمعجزات تصديقا لنبوته ولإقامة الحجة على مخالفيه.

ونعود الآن إلى الوصفين اللذين كثر وجودهما فى الأناجيل وهما: الرب يسوع. وابن الله سبحانه عما يقولون إذ أن إطلاق وصف « اله » عليه لم يأت مطلقا فى أى من الأناجيل الأربعة فيما نعلم بل فيما نستيقن.

---

(١) الاصحاح السادس آية (١٤) ثم فى الاصحاح السابع آية (٤٠).
(٢) الاصحاح السادس آية (٣٩).
(٣) الاصحاح الثامن آية (١٨).
(٤) الاصحاح التاسع آية (١٧).

فهل – يا ترى – هذا الوصفان صالحان لأن يرقيا بالمسيح إلى درجة الألوهية ؟!

- **مدلول كلمة الرب :**

تطلق كلمة « رب » في اللغة ويراد منها عند الاطلاق : الخالق والصانع أى الله عز وجل .

ودلالة كلمة « رب » على الله إنما تكون عند الاطلاق بحسب ما يتبادر إلى الذهن منها .

وتضاف هذه الكلمة « رب » إلى ما تصح تبعيته لغير اسم الجلالة من حيث العبارة فيراد منها حينئذ غير الله . فتقول : رب الدار . تعنى مالكها وسيدها ورب الأسرة تقصد عائلها وكبيرها . ورب الأمة أو العبد أى مالك رقه كما تضاف كلمة « رب » إلى ضمير المتكلم « ربى » أو غيره فيراد منها سيدى وهى كلمة اكرام ليس المقصود منها نفس المعنى عندما يكون المخاطب بها الله سبحانه . فهو رب الأرباب ومالك الرقاب .

ولهذا قال يوسف عليه السلام للذى ظن أنه ناج من صاحبي السجن « اذكرنى عند ربك » أى عند سيدك .

فكملة « رب » كما تطلق على الله إطلاقا حقيقيا تطلق على غير الله تعالى فيقال : رب الدار ورب الدابة بمعنى مالكها وسيدهما . فليس كل من قيل فى حقه أنه « رب » يلزم أن يكون الاها . أن هذا لم يقل به أحد ولم تعرفه الأعراف اللغوية .

وعلى هذا فإن اطلاقات كلمة « الرب » على المسيح فى الأناجيل ليس لها معنى سوى « سيد » تكريما له . أو معنى صاحب فى مثل : « رب المجد » أى صاحب المجد . فلا ضرورة لا لغوية، ولا دينية تقصر معناها على الوصف بالألوهية أبداً .

وإذا رفض مخرجو كتاب « الاستحالة » هذا التوجيه فنضع أمامهم ما جاء فى كتاب « قاموس الكتاب المقدس » الذى وضعه علماؤهم وقساوستهم من شتى البقاع . وإليكم ما جاء فيه فى شرح كلمة « رب » .

« ... وقد تستعمل بمعنى سيد أو مولى . دلالة على الاعتبار والاكرام »(١) . فنحن لم نكرههم علي هذا المعنى إكراها . وإنما هم قد صرحوا به من تلقاء أنفسهم . وهذا وحده كاف فى إثبات ما نقوله هنا من خلو رب من الدلالة القطعية على الوصف بالألوهية المدعاة . ولنعرض الآن لمعنى كلمة ابن الله سبحانه عما يقولون .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس (ص ٣٩٦) .

● **دلالة كلمة ابن الله فى الأناجيل :**

ونكتفى – هنا – بدلالتها عندهم هم. إذ لا ابن لله فى اللغة حتى نبحث فى دلالتها فيها. فهى كلمة خاصة بالأناجيل. فهل يلزم من اطلاقها فيها على السيد المسيح عليه السلام القول بأنه « اله »؟ ذلك ما نراه الآن ومرجعنا فيه هو كتاب « قاموس الكتاب المقدس » ونضع أمام القارىء خلاصة أمينة لما جاء فيه:

« أبناء الله. استعمل هذا التعبير « أبناء الله » فى العهد الجديد عن المؤمنين بالله بنوع خاص. فيصبح المؤمنون أبناء الله بالميلاد الجديد.. انهم مولدون من الله بالمعنى الروحى ».

ويؤيد هذا المعنى الذى يشير إليه قاموس الكتاب المقدس أن الأناجيل كثيرا ما ذكرت أقوالا عن السيد المسيح يخاطب بها التلاميذ والأتباع ويدعوهم « أبناء الله » ويقول لهم: « أباكم الذى فى السماء » ومن ذلك ما ورد – مثلا – فى إنجيل متى (٥ / ١٠): « طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون »؟!

هذه هى أقوالهم فى بيان المقصود من هذه الكلمة. فلو كان يلزم منها أن يكون من وصف بها الاها لكان كل اتباع المسيح آلهة. ولم يكن هو بأولى منهم بهذا الوصف. خاصة وأنهم يرددون فى صلواتهم: « يا أبانا الذى فى السماء ليتقدس اسمك... »؟! .

وخلاصة هذا كله :

أن دعوى ألوهية المسيح لم يقم عليها دليل من العقل ولا من النقل فها هى ذى الأناجيل تثبت له الاضطراب والخوف والجزع ومناجاته ربه الهى الهى.. وتصفه بأنه إنسان.. وأنه نبى، وأنه مرسل من قبل الله. وهى كلها تخلو من اطلاق وصف « اله » عليه. وذلك كله حق. ولكنه حق مهمل عند الإنجيليين إلا من عصم الله. وعلى هذا فإن دعوى ألوهية المسيح ليس لها من مصادر النصرانية سند ولا شبه سند؟!

● **كون المسيح هوالديان فى الأناجيل :**

فرغنا من رد هذه الدعوى – قبلا – وإعادتها هنا إنما هى من حيث موقف النصوص الإنجيلية منها أهى موجبة لها أم نافية. أو بصيغة أدق:

هل القارىء لنصوص الأناجيل يستطيع أن يكون فى نفسه عقيدة الدينونة فتصبح – عنده – اعتقادا غير قابل للجدل؟

إن نصوص الأناجيل قد بدا موقفها من هذه الدعوى فى ثلاث صور:

● **الأولى : أن الديان هو الله** . ومن أقوالها فى ذلك :

« احترزوا أن تصنعوا صدقاتكم أمام الناس لكى ينظروكم . وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماء »[1] .

« فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك ، لكى تكون صدقتك فى الخفاء فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية »[2] .

فمن يكون الأب الذى فى السماء ، ومن يكون الذى يرى فى الخفاء . أن هذه الأوصاف هى « لله » الواحد ولم يدع أحد من علماء الكهنوت أن المراد بها « غير الله » .

ومن ذلك :

« .. لأن من استحي بي وبكلامى فى هذا الجيل الفاسق الخاطىء . فإن ابن الإنسان يستحى به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين »[3] .

ويروى مرقس قول المسيح من أن الله وحده يعلم يوم القيامة والساعة التى تقوم فيها فيقول : « أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحدولا الملائكة الذين فى السماء ولا الابن إلا الآب » انجيل مرقس (٩ / ٢٢) .

فتأمل أخى القارئ هذا الكلام الصادق . ولو كان عيسى هو « الديان » كما يقولون لعلم متى سيكون ذلك

وكيف يكون هو الديان وهو لا يعلم متى تكون الدينونة . والله وحده هو الذى اختص بعلم ذلك .

أفليس هذا اعتراف من الأناجيل بهذا الحق الذى يجب أن يصار إليه ولوقا يذكر دعاء المسيح الذى يقول فيه : « يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون »[4] .

فلو كان هو الديان لغفر لهم ولما احتاج للدعاء لأن يغفر لهم الله فدل دعاؤه هذا على أنه ليس له من الأمر شيء .

وفى إنجيل يوحنا نرى هذه العبارة التى يقول فيها حاكيا — حسب روايته — ما قاله عيسى عليه السلام :

« إنى أصعد إلى أبى وأبيكم . والهى والهكم »[5] .

فها هو ذا — أذن — يقر بألوهية الله له وللناس . وهذا هو إنجيل يوحنا ينفرد بهذه العبارة الفريدة . وهى كلمة حق بقيت لتهيمن على كل ما عداها من ادعاءات .

---

(١) متى (٦ / -١) .
(٢) متى (٦/ - ٣) .
(٣) مرقس (٨/ - / ٠) .
(٤) لوقا (٢٣ / -٢٤) .
(٥) يوحنا (٣٠ / -١٧) .

بل أن يوحنا لينفرد بعبارة أخرى ما رأيتها في غير انجيله وهي قاطعة بنفي « الدينونة عن عيسى عليه السلام وفيها يقول يوحنا ناقلا عن عيسى عليه السلام » :

« .... وأما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين »(١) . فكيف يكون المدين ديانا ؟

هذا ما يقال عن الصورة الأولى لما بدا به موقف الأناجيل من دعوى دينونة عيسى عليه السلام. أما الصورة الثانية فهي : **أن المسيح هو الديان :**

لم يخل إنجيل من الأناجيل الأربعة من التصريح بنسبة الدينونة للمسيح عليه السلام. أو الإشارة .

ففي إنجيل متى في الاصحاح الرابع والعشرين نرى هذه النصوص :

« وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها »(٢). (الآيات ٣٠ – ٣١) .

● **ملاحظاتنا على هذا النص :**

يلاحظ على النص أمور :

١– أنه يخلو من نفخة الصعق التي يفنى بسببها كل حي إلا من شاء الله ؟!

٢– أنه جعل نفخة القيام خاصة بجمع مختاري ابن الإنسان ..؟!

٣– أضاف القوة والمجد والملائكة لابن الإنسان ؟!. وهذا معناه أنه صاحب الفصل والدينونة في ذلك اليوم. ومن العجيب أن متى يذكر بعد ذلك بقليل أن الله وحده هو الذي يعلم متى يكون هذا؟ »(٣).

● ونفس النص ورد في إنجيل مرقس مع اختلاف في الصياغة وها هو ذا نصه :

« وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيا في سحاب بقوة كثيرة ومجد. فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء »(٤).

ويلاحظ أن المقارنة بين نصي متى ومرقس تسفر عما يأتي :

١– لم ينص مرقس على نوح قبائل الأرض كما جاء في متى ؟!

---

(١) يوحنا (١٦ / – ١٠) .

(٢) المقصود من ابن الإنسان هو عيسى عليه السلام .

(٣) آية (٣٦) ونصها : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده »؟!

(٤) مرقس (١٣ / –٢٦ – ٢٧) .

٢- لم ينص مرقس على البوق ذى الصوت العظيم ولا عن المهمة المرادة منه؟!

٣- في نص متى كان جمع مختارى ابن الإنسان من أقصاء السموات إلى أقصائها أيضاً. بينما هذا الجمع فى مرقس من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء؟! وهذا الاختلاف بين النصين يحتاج إلى مهارة فى التخريج ؟!

أما لوقا فيشير إلى نسبة الدينونة إلى المسيح فى قوله الذى يرويه عنه وهو :

« فكونوا أنتم إذن مستعدين، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان »(١).

أورد لوقا هذا النص ضمن موعظة ألقاها المسيح على تلاميذه يذكرهم فيها بالاستعداد لليوم الآخر ؟!

أما الصورة الثالثة التى بدا بها موقف الأناجيل من مسألة دينونة المسيح عليه السلام. فقد أدخرنا لها إنجيل يوحنا وهما :

● **نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه :**

وإنما ادخرنا لها إنجيل يوحنا لأنه يمثل « قمة » التناقض فى هذا الفرع فلنضع ما جاء فيه أمام القارىء الكريم. وبدهى أن موقف هذا الإنجيل كما يبدو من العنوان المذكور ذو شقين: أحدهما إثبات الدينونة للمسيح. والثانى نفيها عنه. وإليك النصوص على هذا المنوال :

١- النصوص المثبتة :

« أن الآب لا يدين أحدا. بل قد أعطى الدينونة للابن »(٢).

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان »(٣).

« فقال يسوع: للدينونة أتيت أنا إلى هذا العالم حتى يبصر الذين لا يبصرون »(٤).

٢- النصوص النافية :

« لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص به العالم »(٥).

« وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم »(٦).

« لان ابن الإنسان قد جاء لكى يصلب ويخلص ما قد هلك »(٧).

---

(١) لوقا (١٢/ - ٤٠).

(٢) يوحنا (٥ / - ٢٣).

(٣) يوحنا (٥/ - ٢٨).

(٤) يوحنا (٩ / - ٤٠).

(٥) يوحنا (٣/ - ١٧).

(٦) يوحنا (١٢ / -٤٧).

(٧) لوقا (١٩ / ١٠).

هذا هو موقف الأناجيل وهى المصادر الأصيلة للنصرانية المعاصرة تختلف اختلافا بينا أو قل تتناقض تناقضا بينا فى مسألة إثبات الدينونة لعيسى الأناجيل وفى نفيها عنه. وهى نصوص متكافئة فى الإيجاب والنفى ولا تستقيم عليها عقيدة ثابتة تبنى عليها. فبأيها يأخذ الإنجيلى إذن؟

أيأخذ بنصوص الإثبات - كما هو المعتقد عندهم - أم يأخذ بنصوص النفى؟!

فإن أخذ بنصوص الإثبات فقد أهمل نصوصا مقدسة عنده تعارضها فما هو فاعل فيها؟!

وإن أخذ بنصوص النفى فقد أهمل نصوصا أخرى مقدسة عنده تعارضها كذلك فما هو صانع فيها؟.

إن نصوص الأناجيل فى مسألة «الدينونة هذه» غير صالحة بحسب تعارضها الظاهر لأن تكون عقيدة لمعتقد. مع أن هذه المسألة من أرسخ وأبرز ركائز الإيمان المسيحى فهى غير صالحة لتنازع الأدلة بين الإثبات والنفى. فالإثبات والنفى كانا مقبولين فى المسائل الفرعية فإنهما غير مقبولين لأنهما واردان فى المسائل الأصولية الكبرى التى يقوم عليها صرح الإيمان ..؟!

لأن المؤمن الذى لا يعرف أمام من سيقف!؟ ولمن سيقدم كشف حسابه؟، وممن يطلب الجزاء ؟! المؤمن الذى هذا شأنه إن كان سبب هذا التردد عنده لجهله بأصول شريعته فالنقص فيه هو وهو مطالب بالكمال. وإن كان سبب هذا التردد غموضا أو قصوراً فى الشريعة نفسها فالنقص فيها هى، وهى المطالبة بأن تستقيم ..؟!

- **خلو الكتاب المقدس من البشارة برسول الإسلام :**

قلنا أن مخرجى كتاب «الاستحالة» قد أفرغوا جهدا مضنيا فى محاولة إثبات أن الكتاب المقدس خلا من البشارة برسول الإسلام. وعلم الله أن هذه القضية لم تحتل عندنا موضع «الأهمية» وذلك للأسباب الآتية:

١- أن رسول الإسلام ﷺ قد ثبتت نبوته من طرق قاطعة بعضها باق حتى الآن، وسيبقى ما بقى الدهر.

٢- أنه ﷺ ليس فى حاجة إلى إثبات تلك البشارة فى التوراة أو الإنجيل. فثباتها أو زوالها سيان. فلا الإثبات بزائد فى الحقيقة ولا النفى منقص منها.

٣- أنه يكفينا - نحن المسلمين - إشارة القرآن إلى ورود تلك البشارة فى أسفار كل الرسل الموحى إليهم، وأخذ الله عهده عليهم بالإيمان به ونصرته لو بعث وهم أحياء.

ومع هذا فإن من يطلع على أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد تطالعه بعض النصوص التى يمكن حملها على أصل البشارة برسول الإسلام فيها. ونضع بين يدى القارىء بعض تلك النصوص ليشترك معنا فى هذا الفهم.

- **بشاراته - ﷺ - فى التوراة :**

جاء فى التوراة فى سفر التثنية الاصحاح الثامن عشر، الآية الثامنة عشرة ما يأتى:

« أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك، وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه ».

وقد تنازع كل من اليهود والنصاري هذا النص. فاليهود على طريقتهم فى التحريف يقولون ان هذا النص وان جاء فى صورة الخبر والوعد فهو فى الحقيقة نفى لأن يجعل الله نبيا فى بنى إسرائيل موصوفا بهذا الوصف. ويتوصلون إلى هذا الزعم بأن حقيقة النص هكذا « أأقيم لهم نبيا ..؟! بهمزتين أولاهما للاستفهام الانكارى. أى: لا أقيم لهم نبيا هذه صفته، ويقولون أن همزة الاستفهام هذه محذوفة ولكنها مقدرة فكأنها موجودة ؟!

وهذا نوع من التحريف لم يحملهم عليه إلا خشية تمسك المسلمين به باعتباره بشارة بمحمد ﷺ.

وأما النصارى فقد حملوه على أن المراد منه عيسى عليه السلام ..؟ وما ذهب إليه اليهود باطل، لأن الأمر ولو كان مبنيا علي الاستفهام الانكارى - كما يزعمون - لما كان للآية التاسعة عشرة التالية لهذه العبارة معنى . وهذا نصها:

« ويكون الإنسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه » فالآية نص فى الخبر والوعد وليست نفيا. وقد أحس اليهود أنفسهم بضعف تخريجهم لها على الاستفهام الانكارى ولهذا فإنهم لا يمنعون أن تكون إثباتا ووعدا. ولكنها خاصة بنبى من أنبيائهم : صموئيل أو يوشع. وكل هذا حملهم عليه تجريدها من البشارة برسول الإسلام.

وما ذهب إليه النصارى باطل - كذلك - لأن عيسى عليه السلام من بنى إسرائيل وليس من أخوتهم. ولأنه لم يجىء بشريعة وموسى عليه السلام جاء بشريعة. والنبى الذى بشرت به عبارة التوراة تصف النبى المبشر به بوصفين: أحدهما كونه من أخوة بنى إسرائيل لا منهم حقيقة. وكونه مثل موسى أى صاحب شريعة. وهذان الوصفان لا ينطبقان على عيسي عليه السلام. ولا على غيره ممن حمل اليهود البشارة عليهم كصموئيل ويوشع لأنهم - كلهم - من بنى إسرائيل لا من أخوتهم - أى بنى عمومتهم - وإذا انتفي حمل البشارة عليهم جميعا، فإن حملها حينئذ على رسول الإسلام محمد بن عبدالله ﷺ. يكون هو المصير الذى لا ينازع فيه إلا مكابر[1].

والوصفان اللذان ذكرا فى البشارة متحققان فى رسول الإسلام ﷺ. فهو من ولد إسماعيل أخى اسحق أبى يعقوب الذى هو إسرائيل. فهو من «اخوتهم» وليس منهم. وهذا هو أحد شرطى البشارة.

والثانى «المثلية» فى أنه صاحب شريعة كموسى عليه السلام ومحمد ﷺ كان «مثله» فى أنه صاحب شريعة مع التفاوت بين الرسولين (موسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم) وبين الشريعتين (اليهودية والإسلام). إذ بينهما فروق وفروق وكيف يرتضى النصارى حمل هذه البشارة على عيسى عليه السلام وهى تقتضى أن يكون بشرا نبيا وهم يقولون أنه أله حى قيوم محيى مميت ديان ؟ أليس فى تمسكهم بهذا تناقض لا يخفى أمره على ذى نظر؟!

وجاء فى سفر التثنية الاصحاح الثالث والثلاثين آيات (١-٣) ما يأتى !

«وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله نبى إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير. وتلألأ من جبل فاران ...».

وهذا النص يتضمن ثلاث نبوات: نبوة موسى ونبوة عيسى، ونبوة محمد ﷺ، لأن «جاء الله من سيناء» اشارة إلى تكليم الله موسى من فوق جبل سيناء. ومجيء الله هنا مجاز لا حقيقة: أى جاء أمر الله. وسعير قرية مجاورة لبيت المقدس وهى إشارة إلى نبوة عيسى عليه السلام.

أما «فاران» التى «تلألأ» منها الله - سبحانه - فهى مكة. وهذه إشارة إلى نبوة محمد ﷺ.

---

(١) راجع كتاب: «هداية الحيارى ...» لابن القيم (ص ٥٢) ففيه كلام مفيد جدا فى هذا الصدد لا مجال لذكره هنا.

وقد تحايل النصارى لطمس البشارة بنبوة رسول الإسلام فادعوا أن فاران هذه هي «ايلات» من أعمال الشام وليست مكة وليس لهم من قصد سوى الاجتهاد لاثبات خلو الكتاب المقدس من البشارة برسول الإسلام[١].

ويذهب بعض علمائنا – نحن المسلمين – أن القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين : ١–٣] جاء تأكيدا وتعظيما للأماكن الثلاثة التي سطعت منها تلك النبوات فالتين والزيتون كناية عن الأرض المقدسة التي ابتدأ منها عيسى عليه السلام نبوته وطور سينين هو جبل سيناء الذي تلقى عليه موسى كلمات ربه والبلد الأمين هو مكة مشرق الهداية ومهد محمد ﷺ[٢].

وفي مزامير داود من أسفار العهد القديم (التوراة) تكررات البشارات بنبي سيأتي. والأوصاف التي ذكرها داود في مزاميره لا تنطبق على رسول إلا على محمد ﷺ. وإليك بعض ما جاء فيها :

« تقلد سيفك أيها الجبار جلالك وبهاءك. وبجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف. نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك (يعني الله) شعوب تحتك يسقطون »[٣].

فمن هو الذي تقلد سيفه؟ ومن هو الذي سقطت تحته شعوب أو كل الشعوب. أليس هو محمدا ﷺ. فكان الجهاد في سبيل الله ومقاتلة أعداء الله بالسيف شريعة عنده. وقد اسقطت قوة الحق الذي جاء به كل الممالك التي كانت مجاورة كالفرس والروم وغيرهما وغيرهما.

- **وفي الآية السابعة عشرة من نفس المزمور يقول داود :**

« اذكر اسمك في كل دور فدور. من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد ».

وفي هذا إشارة إلى أمرين ليس لهما وجود في الإسلام. أحدهما: كونه هداية ورحمة عامة للناس أجمعين. وثانيهما: كونه شريعة خالدة خلود الدهر والأبد.

---

(١) أنظر قاموس الكتاب المقدس (ص).
(٢) انظر كتاب «ارشاد الحيارى» لابن القيم ص ٥٣ .
(٣) المزمور الخامس والأربعون آيات (٣–٥).

ولنكتف – الآن – بهذا القدر من بشارات العهد القديم. لنذكر بعض ما جاء من هذه البشارات في العهد الجديد «الأنجيل» وهي مازالت موجودة حتى الآن تتكرر فيها صفات محمد ﷺ ونعوته سواء في ذلك ما جاء على لسان عيسى كما تروى الأناجيل، أو لسان غيره :

بشاراته – ﷺ – في الإنجيل

أنا جيل العهد الجديد ورسائله حافلة بالبشارات التي لا أهل لها إلا محمد بن عبد الله ﷺ.

وتلك البشارات تعلن مرة في صورة الوعد بملكوت السموات أو الله ومرة بالروح القدس. ومرة أخرى بالعزى أو **الفارقليط**[1] الذي معناه الحامد أو الحماد أو المحمود. أو الأحمد. فمعنى هذه الكلمة «فارقليط» يدور حول الحمد ومشتقاته.

في إنجيل متى وردت هذه العبارة مسندة إلى نبي الله يحيى ابن زكريا المسمى عند النصارى بـ: يوحنا المعمدان : «تربوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» الاصحاح الثالث آية (١).

فمن هو ملكوت السموات؟ هل هو عيسى عليه السلام – كما يقول النصارى – أن متى نفسه يكذب هذا الادعاء، لأنه قد روى عن عيسى نفسه عليه السلام قوله: «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» الاصحاح الرابع آية (١٧).

فلو كان المراد من قول يحيى هو عيسى عليهما السلام لما ساق عيسى نفس العبارة التي بشرت به، لأنه قد بعث فعلا. فدل هذا بالقطع على أن عيسى عليه السلام لم يرد نفسه في عبارته بل أراد ملكوتا آخر غيره. ومن يكون هو إذن؟ إذا لم يكن رسول الإسلام ﷺ.

نحن لا نقطع بأن البشارة التي بشر بها يوحنا هي لرسول الإسلام فمن الممكن أن تحمل على عيسى. أم عبارة عيسى فلا تحمل إلا على التبشير بمحمد ﷺ.

ويروى متى صيغة الصلاة التي علمها المسيح تلاميذه، وقد جاء فيها «فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك ..» الاصحاح السادس آيات (٩ / ١٠)[2].

---

(١) هي كلمة يونانية وردت في بعض ترجمات الأناجيل.

(٢) وردت هذه الصيغة – كذلك – في إنجيل لوقا (١١ / — ٢).

فما هو – إذن – ملكوت الله الذى علمه المسيح عليه السلام تلاميذه أن يطلبوه من الله فى صلواتهم. أيصح أن يقال أنه هو عيسى وعيسى معهم يعلمهم ويرشدهم. أم الحق أنه كائن آخر غير عيسى عليه السلام.

ويذكر لوقا فى إنجيله أن المسيح جمع تلاميذه وعلمهم كيف يقهرون الشياطين ويشفون الأمراض ثم يقول:

« وأرسلهم ليكرزوا – أى يدعوا ويعظوا ويبشروا – بملكوت الله » الاصحاح التاسع (آية ٢).

وفى إنجيل مرقس أن المسيح – نفسه – بدأ يكرز – يعنى يبشر – بملكوت الله بعد أن أسلم يوحنا – يعني قتل – وهذا نصه:

« وبعد أن أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجبل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله، فآمنوا بالإنجيل » الاصحاح الأول آية (١٤–١٥).

● **وفى إنجيل يوحنا جاء قول المسيح عليه السلام:**

« الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى. بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بما قلته لكم » الاصحاح الرابع عشر آيات (٢٤/٢٦).

ويروى يوحنا فى إنجيله قول المسيح الآتى وهو يتحدث مع تلاميذه:

« أنه خير لكم أن انطلق، أن لم انطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن أن ذهبت أرسله إليكم، ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة... » الاصحاح السادس عشر آيتا (٧–٨) كما ينقل قوله الآتى:

« وأما إذا جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه. بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتيه ... » الاصحاح السادس عشر آية (١٣).

ومن هو المعزى، وروح الحق أو الروح القدس الذى لا يأتى إلا بعد ذهاب المسيح. فيخبر الناس بكل شيء ولا يتكلم من قبل نفسه بل بالذى يسمعه (يعنى من الوحى) من هذا الذى يرسله الله (الآب) فيبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونه؟

إن هذه الأوصاف كلها لا محل لها إلا أن يكون المقصود منها البشارة بصاحب شريعة عامة تقرر كل ما جاء به الرسل تبشر المؤمن وتنذر الكافر وترفع لواء الحق وتضع حلولا لكل شيء لأنها هي الرسالة الخاتمة.

إنها شريعة الإسلام. المنزلة على محمد ﷺ. أفليست هذه بشارات تضمنتها الأناجيل على اختلاف رواتها وكاتبيها. ويؤيد هذا ما نقله يوحنا نفسه فى أصحاحه الخامس عشر آيتى ٢٦ ، ٢٧ وفيهما يقول:

« ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق من عند الأب ينبثق فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضًا لأنكم معى من الابتداء »؟!

وقد جاء القرآن الكريم شاهدا بصحة الرسالات التى تقدمت ومنها رسالة عيسى عبدالله ورسوله. فعلام يتحمس مخرجو كتاب الاستحالة لنفى هذه البشارة وأناجيلهم بها ناطقة رغم محاولات الطمس والتحريف ..؟!

أما البشارة بلفظ « الفارقليط » فقد خلت منها الترجمة العربية للكتاب المقدس والتى أنقل منها هذه النصوص. ومعلوم أن الكتاب ترجم وطبع عدة مرات. حتى أن الترجمة العربية لتختلف من طبعة إلى طبعة اختلافا بينا.

وجاءت كلمة « الفارقليط » فى طبعات أخرى غير التى تحت يدى. فقد رأيت فى كتاب « إرشاد الحيارى » للعالم العلامة الإمام ابن قيم الجوزية كلمة « الفارقليط » مكان كلمة « المعزى » في الطبعة التى بين يدى كما رأيت فى كتاب « إظهار الحق » للشيخ الجليل رحمت الله الهندى نفس كلمة « الفارقليط » مكان كلمة « المعزى » وقد صرح الشيخ رحمت الله بأنه نقل هذه الكلمة « الفارقليط » عن ترجمات عربية تمت فى لندن فى سنوات ١٨٢١ ، ١٨٣١ ، ١٨٤٤ .

وبمقارنة يسيرة أدركت أن الطبعات العربية التى تنتشر عندنا فى مصر وفى البلاد الإسلامية فيها كثير من الاحتياط والحذر لدى مترجميها وطابعيها بينما هى ترسل على سجيتها فى البلاد التى لا ينتشر فيها الإسلام. أو الطبعات القديمة أو النسخ الخطية.

ولنقارن بين ما نقله ابن قيم الجوزية وبين ما هو موجود فى الطبعة العربية التى تحت يدى.

- **أولاً : نص الطبعة العربية المتداولة بيننا الآن :**

« أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمة فيكلمهم بكل ما أوصيه ... » التثنية (١٨ / ١٨).

● **ثانيًا : نفس النص كما هو فى ابن قيم الجوزية إرشاد الحيارى ص ٥٠ :**

« سأقيم لبنى إسرائيل نبيا من أخوتهم مثلك اجعل كلامى فى فيه وأقول له ما آمرهم به، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا انتقم منه ومن سبطه » .

ولا يخفى على القارىء قوة النص المنقول لدى ابن القيم على النص المدون الآن فى الطبعة العربية المشار إليها .

وسيرا على هذا المنهج فإن تلك الطبعة العربية قد خلت من كلمة « الفارقليط » لقوة دلالتها على البشارة برسول الإسلام ﷺ، لأنها - كما قلنا - تعنى الحامد أو الأحمد أو المحمود إلخ . . .؟ ووضعت كلمة « المعزى » موضعها سدا للباب .

ولنقارن - كذلك بين ما ينقله الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابة إظهار الحق وبين ما فى الطبعة العربية التى ننقل نحن عنها .

يقول يوحنا فى الطبعة العربية التى بين يدينا الاصحاح الرابع عشر آيات (١٥- ١٧) :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . أما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » .

وما نقله الشيخ رحمت الله عن طبعات عربية تمت فى لندن هذا نصه :

« إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد . . . » .

« والفارقليط روح القدس الذى يرسله الأب باسمى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كل ما قلته لكم » .

وبهذا يتضح أن كل موضع وردت فيه كلمة « الفارقليط » أثبت مكانها فى طبعتنا العربية كلمة « المعزى » فرارا مما تسببه كلمة « الفارقليط » للإنجيليين من مضايقات . وخاصة فى هذا العصر الذى نشطت فيه حركات التبشير[١] .

وأيا كان الأمر فإن جميع النصوص قد اتفقت على أمرين :

أحدهما : أن المعزى أو الفارقليط يعلم كل شىء وأنه مرسل من عند الله .

---

(١) اظهار الحق (ص ٥٣٨) تحقيق د. أحمد حجازى السقا . نشر دار التراث .

وثانيهما : أنه ماكث إلى الأبد . وفى هذا دلالة واضحة على أن المقصود من هاتين الكلمتين هو صاحب الرسالة العظمى الخالدة . وأن هذه العبارات التى تضمنت أمر البشارة من بقايا الحق الذى جاء به المسيح عليه السلام فى إنجيله المنزل عليه قبل أن تتنازعه روايات الكتاب وقبل أن يتسرب إليه التحريف والتبديل .

ونعود فنقول بصراحة أن مخرجى الكتاب « كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس » لم يغظهم شيء مثلما غاظهم تمسكنا بورود البشارة بنبى الإسلام فى أسفارهم . فقد استبدت محاولة نفيهم لها فصولا مطولة من الكتاب المذكور . ونوجز للقارىء ملخصا وافيا لتلك المحاولة .

- **قالوا ، ويا لضعف ما قالوا :**

١- أن الكلمة اليونانية[١] هى هى « باراكليتس » ومعناه المعزى .

٢- لماذا يسعى بعض الكتاب[٢] لاثبات نبوات عن رسول الإسلام من الكتاب المقدس فى الوقت الذى يهاجمون فيه الكتاب المقدس ويتهمونه بالتحريف . ولماذا لا يتهمونه بالتحريف فى هذه الآيات التى يتصورون خطأ أنها تشير إلى رسول الإسلام؟!

٣- من المستحيل أن يكون الروح القدس هو رسول الإسلام .... لأنه جاء عن الروح القدس أو الفارقليط أنه روح ... ورسول الإسلام كان له جسد .

ولأن الأرواح لا يتزوجون ولا يزوجون لعدم وجود الجسد .. ومن المعروف أن رسول الإسلام تزوج وهو حى عدة مرات ..؟!

وأن المسيح قال سيرسل الروح القدس معزيا للتلاميذ وفعلا حل فيهم ورسول الإسلام لم يكن حينذاك موجودا .

وأن الروح القدس سيمكث إلى الأبد ورسول الإسلام مات ؟!

وأن الروح القدس يشهد للمسيح ويمجده ورسول الإسلام لم يشهد للمسيح بالألوهية . بل جعله مجرد عبد ورسول مثل باقى الناس والأنبياء ؟!

وهل يقبل المسلمون النتائج المترتبة على هذا ومنها أن السيد المسيح هو الذى أرسل رسول الإسلام .

ومنها أن الروح القدس لا يتكلم من ذاته بل يأخذ مما للمسيح فهل يقبل المسلمون أن يكون رسولهم يتكلم بوحى من السيد المسيح .. وفى هذه الحالة

---

(١) يقصدون كلمة « فارقليط » .　　(٢) يعنون الكتاب « المسلمين » .

يكونون – يعنى المسلمين – قد اعترفوا ضمنا بأن السيد المسيح هو الله وأن رسولهم هو رسول السيد المسيح[1].

● **دفعنا لهذه الشبهات :**

ونقول لمخرجى كتاب « الاستحالة » نعم نحن متمسكون رغم كل هذه المحاولات والتخويفات التى تثيرونها. متمسكون ومصرون بأن هذه البشارات لرسول الإسلام. ولن نتحمل فرضا واحدا مما فرضتموه مرتبا على هذا التمسك. ونرد عليكم شبهاتكم فنقول :

١– لو كانت الكلمة « فارقليط » هى « باراكليتس » كما تدعون فلماذا لم تكن هى الموجودة فى تلك الترجمات بدل هذه الكلمة الدخيلة وحتى لو كانت كما تدعون هى التى معناها « المعزى » فالمعزى = الفارقليط لأن الأوصاف التى وصف بها كل منهما ليس لها موضع إلا رسول الإسلام.

٢– نحن لا نقول أن كل ما جاء فى الكتاب المقدس باطل ومحرف. ولكن الذى نقوله، وقد أثبتناه بالدليل القاطع أن بعضه محرف وبعضه حق ومن الحق الباقى فيه هو « تلك المواضع » التى تبشر برسول الإسلام وحتى هى فقد أصابها نصيب من التحريف ولكنه لم يطمس كل معالم الحق الذى يفهم منها.

٣– ليست جسدية رسول الإسلام بمانعة من وصفه بالروح القدس، لأن المراد بهذا الوصف هى « النبوة والهداية » ونشير عليكم بدراسة المجاز اللغوى حتى لا تقعوا فى مثل هذه المآزق.

وما دام الأمر – كذلك – فمن السهل أن تدركوا أن الروح إذا جرت وصفا على إنسان فله أن يزوج ويتزوج .

أما كون روح القدس قد جاء وحل فى التلاميذ بعد خمسين يوما من رفع المسيح. فهذا يبطله ما جاء فى الكتاب نفسه من كون الروح القدس باق إلى الأبد. فأين هم تلاميذ المسيح الآن.

أما أن الروح القدس يشهد للمسيح. فقد شهد له رسول الإسلام بأنه عبده ورسوله. بل شهد له القرآن بما لم تتضمنه أناجيلكم بأنه وجيه فى الدنيا والآخر؟!

أما معنى أن الروح القدس لا يتكلم من عند نفسه بل يأخذ مما للمسيح . أن معنى هذا هو أن كلا من عيسى ورسول الإسلام صلى الله عليهما وسلم رسولان

---

(١) انظر كتاب : « استحالة تحريف الكتاب المقدس » ص ١٠٢ – ١٠٦ ط ثانية .

موصى إليهما كسائر الرسل. وقد صرحتم أنتم فى أناجيلكم كما نقلنا عنكم قبلا أن المسيح قال: وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» ونصوص أخرى كثيرة مبثوتة فى أناجيلكم تؤكد هذا المعنى. وليس معناه - يا سادة - أن المسيح هو صاحب الوحى حتى يكون هو:

الله... ؟!

وحتى يكون رسولنا هو:

رسول السيد المسيح ..؟!

ونعود فنضع أمامكم هذا النص مرة أخرى: «وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله».

ونقول لكم:

أما أن تسلموا لنا ولكم بـ« معطيات » هذا النص وهى:

١- المسيح عليه السلام (إنسان) ..

٢- موحى إليه من الله. فهو شيء. والله شيء آخر. وإذا سلمتم بهذه «المعطيات» فقد ضاقت هوة الخلاف بيننا وبينكم.

وأما أن ترفضوا هذه المعطيات. ومعنى هذا هو أنكم تكذبون كتابكم فكيف يستساغ لكم أن تسموه «مقدسا» ؟! وأنتم لا تثقون فيه ؟!

وبقيت ملحوظة واحدة جديرة أن يقف عليها القارىء وهى:

أن مخرجى كتاب الاستحالة يستشهدون على «تزوير إنجيل برنابا[١]» بمقال للأستاذ عباس محمود العقاد نشر فى جريدة الأخبار فى ١٩٥٩/١٠/٢٦ وعلى طريقة القوم فى بتر النصوص فقد نقلوا من مقال الأستاذ العقاد هذه الفقرات :

«إنما نشك فى كتابة برنابا لتلك العبارات، لأنها من المعلومات التى تسربت إلى القارة الأوروبية نقلا عن المصادر العربية. وليس من المألوف أن يكون السيد المسيح قد أعلن البشارة أمام الألوف باسم «محمد رسول الله» ولا يسجل هذا الإعلان فى

---

(١) إنجيل برنابا من الأناجيل المحرمة قراءتها عند النصارى، لأن فيه تصريحا بالاسم بمبعث محمد رسول الله ﷺ . وقد وجد مخطوطا باللغة الإيطالية. وترجم إلى الإنجليزية ثم نقله إلى العربية الدكتور خليل سعادة سنة ١٩٠٨ . ولما كان هذا الإنجيل يتعرض لذكر حقائق تختلف مع عقائد النصارى فقد حرمت الكنيسة قراءته. وهم يضمرون له عداء شديدا مع أن برنابا هذا من تلاميذ المسيح البارزين ..؟

صفحات الإنجيل. كذلك تتكرر فى هذا الإنجيل بعض أخطاء لا يجهلها اليهودي المطلع على كتب قومه ولا يرددها المسيحى المؤمن بالأناجيل المعتمدة من الكنيسة الغربية ولا يتورط فيها المسلم الذى يفهم ما فى إنجيل برنابا من المناقضة بينه وبين نصوص القرآن ...[1] ».

● **نقلوا هذه الفقرات لأنها تفيدهم فيما يأتى:**

١- أن الأستاذ العقاد الكاتب الإسلامى الذائع الصيت ينفى أن يكون فى الإنجيل بشارة برسول الإسلام. ويعتمد فى ذلك النفى على أن المسيح نفسه لم يبشر به، إذ من غير المألوف أن يبشر به أمام الألوف ولا يسجل هذا الإعلان فى الإنجيل؟

٢- ويفيدهم كذلك فى أن إنجيل برنابا مدسوس محدث لم يعرف أو لم يكتب إلا بعد القرن الخامس عشر الميلادى. لأن هذا هو رأيهم فى هذا الإنجيل.

وقد رجعت إلى ما كتبه الأستاذ العقاد فى المقال المشار إليه وقرأت - بوعى - المقال كله. وتبين لى أن الأستاذ العقاد قد كتب فى ذلك المقال ما لو صرح به مخرجو كتاب الاستحالة فى كتابهم لتهدم ما بنوه، ولما بقيت لهم حجة أو قل شبهة يتمسكون بها، لأن الأستاذ العقاد يعارض بقوة البرهان ما يثبته مخرجو الكتاب منذ عشرين عاما، ا كتبوه هم منذ عامين. ويظهر ذلك فيما يأتى :

أولاً : أن الأستاذ العقاد لم ينف أصل البشارة أساسا، وإنما الذى ينفيه هو أن يكون المسيح قد أعلن البشارة هكذا « محمد رسول الله » أى مصرحا بالاسم والرسالة على أن يكون الاسم المصرح به هو « محمد ».

على أن مخرجى كتاب « الاستحالة » قد تعمدوا تحريفا فى نص الأستاذ العقاد الذى تقولوه فقالوا: « ... ولا يسجل هذا الإعلان فى صفحات الإنجيل » بينما الذى قاله العقاد « .. ولا يسجل هذا الإعلان فى غير صفحات هذا الإنجيل »؟! والفرق بين الصياغتين واضح .؟!

ثانياً: يذهب مخرجو كتاب الاستحالة[2] أن إنجيل برنابا لم يكن موجودا حتي نهاية القرن الرابع عشر الميلادى. بينما يبطل العقاد هذا القول. وإليك نصه حرفيا من المقال المذكور :

---

(١) استحالة تحريف الكتاب المقدس ص ١٣٩ .

(٢) انظر (ص ١٣٥) .

« والحقيقة أن هذا الإنجيل لم يكن مجهولا قبل القرن الخامس عشر كما وهم بعض العلماء الأوروبيين، وتابعهم فى ذلك الدكتور خليل سعادة[1]، لأن الإشارة إليه وردت فى كتابات أوريجين وكلمنت ويوسبيوس وابرنيموس ولاردنر، ومنهم من اقتبس منه وروى عنه. فهو ولا ريب قد كان معروفا فى القرن الثانى للميلاد »؟!

العقاد يقول : إنجيل برنابا كان موجودا ومعروفًا فى القرن الثانى الميلادى.

ومخرجو كتاب الاستحالة يقولون لم يوجد ولم يعرف إلا فى القرن الخامس عشر الميلادى أى الفرق بين الرأيين هو اثنا عشر قرنا (١٢٠٠ سنة) وما هو بالفرق الهين. ونسأل فنقول من منهم هو المصيب، ومن هو المخطىء؟

ونقول أن المصيب هو العقاد لان الذين أشاروا إلى هذا الإنجيل واقتبسوا منه ورووا عنه عاشوا فى القرنين الثانى والثالث الميلادى. وهم من آباء المسيحية الأسبقين.

ولاشك عندنا أن مخرجى كتاب الاستحالة قد قرأوا مقال الأستاذ العقاد كله قبل أن ينقلوا منه ما نقلوا. فلماذا لم يذكروا – ولو تلخيصا – كل ما جاء فيه ويناقشوه مناقشة علمية ويثبتوا بطلان رأيه فى قدم إنجيل برنابا؟!

والذى لاشك فيه – أيضًا – أن قوة الدليل الذى بنى عليه العقاد رأيه هو وحده المسئول عن إغماض العين عما كتب ويا للمرارة ما كتب.

ثالثًا : أن العقاد مع إثباته لقدم إنجيل برنابا فإنه يتشكك فى بعض العبارات التي وردت فيه ولا يتشكك فيه كله. وهذا ظاهر حتى من الفقرات المنقولة فى كتاب الاستحالة . . .

رابعًا : أن الأستاذ العقاد يرجع السبب فى عداء الكنيسة لهذا الإنجيل لمخالفته للأناجيل الأخرى فى الحقائق التى يذكرها ولهذا لم تعتمده الكنيسة كما اعتمدت غيره من الأناجيل وننقل للقارىء نص العقاد فى بيان السبب الذى دعا إلى إضافة زيادات على إنجيل برنابا الحقيقى. وهو نص يلقى ضوءًا صافيًا ومفيدًا فى هذا المجال. يقول العقاد « ولهذا يخطر لنا أن الزيادات قد أضيفت بقلم كاتب لم يقصد ترويج هذا الإنجيل بين اليهود أو المسيحيين أو المسلمين، ولكنها زيدت لإلقاء الشبهة عليه ووقف سريانه بين طائفة من الطوائف، حذرا من ظهور نسخة أخرى تقل أسباب الشك فيها فيسهل قبولها والاستناد إليها »؟!

---

(١) هو مترجم إنجيل برنابا من الإنجليزية إلى العربية كما تقدم.

وبعد هذا الكلام الجميل نسأل: من هو المستفيد من تشويه سمعة إنجيل برنابا. ومن هم الذين يشوهون سمعته بالفعل ؟ وعلى ضوء الإجابة على هذا السؤال يعرف الذى قام بإضافة تلك الزيادات . أليس كذلك.

- **موقف النصوص الإنجيلية من دعوى عدم التناقض :**

لدعوى عدم التناقض فى نصوص الكتاب المقدس أهمية خاصة عند مخرجى كتاب الاستحالة، لأن هذه الدعوى – لو صدقت – لترتب عليها – عندهم – سلامة الكتاب المقدس – نفسه – من التحريف. ولو صدقت دعوى سلامته من التحريف لكذبت عقيدة المسلمين – حينئذ – ولتسرب الكذب إلى المصادر الإسلامية الوثيقة التى استقوا منها تلك « العقيدة » وفى مقدمتها القرآن الكريم.

فما هو موقف النصوص الإنجيلية من هذه الدعوى « الأم » إذن ؟!

والواقع الذى لا يجحد أن نصوص الإنجيل تثبت ذلك التناقض من وجهين :

الأول : تناقضها مع نفسها ..؟!

والثانى: تناقضها مع نصوص التوراة ..؟!

وإليكم الأدلة من واقع النصوص نفسها :

- **أولاً : تناقض النصوص الإنجيلية مع نفسها :**
- **شهادة حق .. شهادة المسيح ليست حقا .. ؟!**

فى إنجيل يوحنا وقع تناقض حول شهادة المسيح لنفسه . فمرة ينقل يوحنا عن المسيح أن شهادته لنفسه حق. ومرة ينقل عنه أن شهادته لنفسه ليست حقا. وإليكم النصوص :

« أجاب يسوع وقال لهم وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين أتيت . وإلى أين أذهب ... » إنجيل يوحنا الاصحاح الثامن آية (١٤) .

- **وقال المسيح فى الاصحاح نفسه آية (١٨) :**

« أنا هو الشاهد لنفسى. ويشهد لى الآب الذى أرسلنى ».

وجاء فى إنجيل يوحنا نفسه الاصحاح الخامس الآيتين (٣١-٣٢) قول المسيح الآتى :

« إن كنت أشهد لنفسى. فشهادتى ليست حقا. الذى يشهد لى هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق »؟!

هذا ما ورد فى إنجيل يوحنا. فأيهما هو الصحيح. حقية شهادة المسيح لنفسه أم عدم حقيتها ...؟! أليس هذا تناقضا .

● **المسيح لا يقبل شهادة من إنسان .. ويقبل شهادة من إنسان :**

جاء فى إنجيل يوحنا الاصحاح الخامس آية (٣٤) قول المسيح كما يرويه يوحنا :
« وأنا لا أقبل شهادة من إنسان » . ومعنى هذه الآية أن المسيح لا يقبل شهادة الإنسان أبدا. ثم جاء فى نفس إنجيل يوحنا الاصحاح الخامس عشر الآية (٢٧) قول المسيح الآتى وهو يتحدث مع تلاميذه.

« وأنتم تشهدون لى أيضاً، لأنكم معى من الابتداء » ..؟!

فكيف يشهد التلاميذ له وهم من « الإنسان » الذى يرفض المسيح شهادته له.

وأيهما الصحيح قبول المسيح شهادة الإنسان أم عدم قبولها له ؟! أو ليس هذا تناقضا ..؟!

● **المسيح له كل الدينونة .. المسيح ليست له دينونة :**

وجاء فى إنجيل يوحنا - أيضاً - إثبات كل الدينونة : لعيسى عليه السلام كما جاء فيه نفى تلك الدينونة عنه . وإليكم النصوص :

« لأن الآب لا يدين أحدا بل أعطى كل الدينونة للابن » ؟! الاصحاح الخامس آية (٢٢) .

« وأعطاه سلطانا أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان »؟! نفس الاصحاح آية (٢٧).

● **أما النصوص النافية لدينونة، المسيح فهى :**

« وأن سمع أحد كلامى ولم يؤمن بى فأنا لا أدينه، لأنى لم آت لأدين العالم، بل لأخلص العالم » يوحنا الاصحاح الثانى عشر آية (٤٧) « لأنه لم يرسل الآب ابنه ليدين العالم، بل ليخلص به العالم »؟! الاصحاح الثالث آية (١٧) .

فأيهما هو الصحيح إثبات الدينونة للمسيح ونفيها عن الله. أم نفيها عن المسيح واثباتها لله؟! أو ليس هذا تناقضا ..؟!

● **المسيح يضع السلام على الأرض .. المسيح لا يضع السلام بل النار والسيف :**

اشتهر عن المسيح عليه السلام بانه رسول السلام. والواقع أن الرسل جميعا رسل سلام لأن هدفهم واحد هو إقرار الحق. ومما ترويه الاناجيل عن السيد المسيح عليه السلام ما جاء فى إنجيل متى الاصحاح الخامس آيات (٣٩ - ٤٤) قوله :

« وأما أنا أقول لكم : لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر أيضاً . ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء . ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. من سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده ... أحبوا أعداءكم . باركوا لاعنيكم. احسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم ».

وجاء فى إنجيل متى نفسه الاصحاح العاشر آية (٣٤) ما يناقض هذا المبدأ تماما إذ يقول المسيح كما يروى متى فى الموضع المذكور : « لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الأرض. ما جئت لألقى سلاما بل سيفا »؟!

ويقول فى الآية الخامسة والثلاثين من نفس الاصحاح : « فإنى جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته »؟!

ويروى لوقا فى إنجيله الاصحاح الثانى عشر الآيات (٤٩–٥٣) ما هو أكثر تناقضا ومعارضة لمبدأ السلام الذى اشتهر به السيد المسيح عليه السلام. وإليكم نص لوقا حرفيا :

« جئت لألقى نارا على الأرض. فماذا أريد لو اضطرمت. ولى صبغة اصطبغها. وكيف انحصر حتى تكمل. أتظنون أنى جئت لأعطى سلاما على الأرض. كلا ..؟! أقول لكم. بل انقساما لأنه يكون من الآن خمسة فى بيت واحد منقسمين: ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة: ينقسم الأب على الابن. والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم. والحماة على كنتها والكنة على حماتها »؟! فهل يستقيم هذا الكلام: دعوى إلى السلام. ثم وضع النار والسيف والانقسام على الأرض.

أى المبدأين وضعه المسيح. وأى الكلامين هو الصحيح .. أليس هذا تناقضا يا هوه ...؟!

ونكتفى بهذا فى إثبات التناقض بين نصوص الأناجيل نفسها مع أن فيها الكثير جدا من هذا القبيل. وما أردنا إلا ضرب المثل فما هو إذن التناقض الواقع بين العهدين القديم والجديد؟! ذلك ما سوف نراه.

● **ثانيا : تناقض الأناجيل مع التوراة :**

وتصور هذا التناقض – قصدا للإيجاز المفيد – فى موضع واحد من الأناجيل فيه الدعوى والدليل .

جاء فى إنجيل متى الاصحاح الخامس ما يأتى :

« وقيل من طلب امرأته فليعطها كتاب طلاق . وأما أنا فاقول لكم ان من طلق امرأته إلا لعلة الزنا يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » آية (٣١) وما بعدها .

« أيضًا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك أما أنا فاقول لكم لا تحلفوا البتة . . . . » آية (٣٣ – ٣٤) .

« سمعتم أنه قيل عين بعين، وسن بسن وأما أنا فاقول لكم لا تقاوموا الشر . . » آيات (٣٨ – ٤١) .

أليس فى هذا نقض لشريعة موسى المعبر عنها بقيل للقدماء؟!

فالطلاق فى الموسوية جائز بلا قيد فابطلت النصرانية ذلك الجوار العام وحصرته فى علة الزنا .

وزواج المطلقة جائز فى الموسوية وهو فى النصرانية محظور بل هو زنا .

والحلف جائز فى الموسوية ممنوع فى النصرانية؟

والقصاص جائز فى الموسوية بل هو واجب . وقد الغيتموه فى النصرانية .

بل أن المسيح قد أحل السبت وعمل فيه . وهو عطلة أسبوعية فى الموسوية .

بل أنكم أوردتم على لسان المسيح تهجمه على الرسل السابقين عليه جميعا فقلتم أنه قال :

« إنى أنا باب الخراف . جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص » يوحنا الاصحاح العاشر آيتا (٧–٨) .

وفى نفس الوقت يستشهد المسيح بانه مكتوب عنه فى الأنبياء فإذا أبيتم أن يكون هذا، أو بعضه تناقضا فهو على الأقل نسخ وسواء كان تناقضا أو نسخا فانتم محجوجون به لأنكم رويتم عن عيسى عليه السلام قوله : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل » متى الاصحاح الخامس (١٧) .

ونحن لا نستبعد أن يكون هذا هو قول المسيح . بل يجب أن يكون قوله ولكن الذى نستبعده أن يخرج المسيح عن الناموس أو الأنبياء أو يقول : « جميع الذين أتوا قبلى هم سراق ولصوص »؟!

وحسبنا وحسبكم هذا . . والله نسأل – مخلصين – أن يهدينا إلى الحق الذى يرضاه . فهو وحده الذى يفصل بيننا فيما نحن فيه مختلفون . واعملوا على شاكلتكم فإنا عاملون . . .؟!

* * *

القسم الثالث

وثيقة : أى الاثنين أقدر . . . ؟ !

عرض . . ونقد

أى الاثنين أقدر ؟ عيسى أم محمد .. ؟!!

لقد استباح واضعو هذه الوثيقة لأنفسهم فى التهجم على رسول الإسلام محمد ابن عبدالله - ﷺ - ما لم يستبحه «واضعو الوثيقتين الأولى والثانية . وإن كانت الوثيقة الثانية «استحالة تحريف الكتاب المقدس» قد خطت خطوات فى هذه «الاستباحة» ولكنها لم تبلغ ما بلغته هذه الوثيقة[1] .

● **مدخل الهجوم :**

بدأت هذه الوثيقة بمدخل للهجوم على رسول الإسلام، قدمته بتمهيد أشارت فيه إلى بعض الحقائق التى يؤمن بها المسلمون والمسيحيون على حد تعبيرها . وبعد ذلك التمهيد القصير قال واضعوها[2] :

«ولكن إخواننا **المسلمون** يذهبون إلى أكثر من ذلك، فهم يضيفون أن بعد عيسي جاء محمد، وأنه خاتم الأنبياء، وأعظمهم، وأن دينه هو دين الحق، وأن من يتبعه فسوف ينجو من يوم الحساب، ويجيب المسيحيون ويقولون : لا . لأن عيسي هو خاتم الأنبياء، وأنه أعظمهم وأفضلهم، وبفضله - فقط - تنجو البشرية» .

ويردف واضعو الوثيقة فيقولون :

«لهذا يكون الفرق بين وجهتي النظر هو أن المسيحى يؤكد أن عيسى هو خاتم الأنبياء، فى حين أن المسلم يصر على العكس أنه محمد .. فلماذا **لا نقارن بين وجهتى النظر ونتقبل أعظمهما شأنا»** ؟! . أ - هـ

كان هذا هو المدخل . ثم بدأت أولى خطوات الهجوم كما يأتى :

● **مرحلة الولادة :**

قارن واضعو الوثيقة بين مولدى رسول الإسلام ﷺ وعيسى عليه السلام أما مولد عيسى فهو معجزة فائقة أكسبته طهارة وقداسة .

وأما مولد محمد ﷺ فاسمع ما يقوله عنه واضعو وثيقة المقارنة .

« .. أن **محمد** ولد عن أب اسمه عبدالله، وسيدة اسمها آمنة، ولم يكن هناك شيء عظيم يبشر بولادته . وظل بعد ولادته عدة سنوات . لم تحدث خلالها معجزة،

---

(١) وضعنا فى المقدمة تعريفا وافيا بهذه الوثيقة، يحسن بالقارىء أن يعود إليها قبل الأخذ فى القراءة هنا .

(٢) سنثبت النص كما هو وارد فيها بما فيه من أخطاء لغوية ونحوية مشيرين إليها بالبنط الثقيل .

حتى بلغ الأربعين عاما، حيث ادعى نزول الملاك جبريل عليه، وتحدثه معه، ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن هناك ما يبشر بأن محمدا سيكون نبيا من العظماء. وصحيح أن بعض الجهلة من المسلمين يروون القصص الخرافية حول ولادة النبى محمد (!) ولكن المسلم الذكى لا يجهل أنه لا يوجد فى القرآن مثل هذه الخرافات! وأن هذه الأساطير ألفت فيما بعد؟!!

ثم يتوجه واضعو الوثيقة إلى المسلمين بهذا النداء :

« فيا أيها المسلمون : أنكم تدعون أن القرآن كلام الله؟! لذلك فعليكم أن تعترفوا بأن ولادة المسيح كانت تمثل حادثا عظيما . . أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث »؟!

وحصيلة ما فى هذه الخطوة من مزاعم :

- كل من يولد من بشرين فهو وضيع آثم. ومن هؤلاء رسول الإسلام؟!
- ولادة رسول الإسلام لم تصحبها مبشرات . .؟!
- ومحمد رسول الإسلام – ﷺ لم يقم بمعجزات حتى بلغ الأربعين؟!
- رسول الإسلام أدعى أن جبريل نزل عليه وجاءه بوحي من الله . .؟!
- المسلمون أمام هذه المعجزات قسمان : جهلة يروون المعجزات حوله . . .؟!
- وأذكياء يدركون أنها ضرب من التخريف لخلو القرآن منها . .؟!
- المسلمون يدعون أن القرآن كلام الله فعليهم أن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى كما جاء فيه . .؟!
- المسيحيون لا يقبلون القرآن وإنما يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث . .؟!

ونواجه – الآن – النقطتين الأخيرتين – مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسي عليه السلام. ثم نقطة تنبؤ الإنجيل بها. مرجئين بقية النقاط قليلا فسيعود واضعو الوثيقة إليها – أيضًا – بعد قليل.

- **مطالبتنا بالاعتراف بعظمة ولادة عيسى :؟!**

يطالب واضعو الوثيقة المسلمين بأن يعترفوا بعظمة ولادة عيسى وقد بنوا هذه المطالبة على أساس أن المسلمين « يدعون أن القرآن كلام الله . »؟! يدعون هكذا. وما دام هذا القرآن المدعى (؟!) قد أشاد بحادث ولادة عيسى ابن مريم. فعلى المدعين، وهم المسلمون، أن يسلموا بعظمة تلك الولادة بناء على ادعائهم أن القرآن كلام الله؟!

ذلك ما يقوله واضعو الوثيقة وهم يحاورون خصومهم . . .؟!

وكان أدب الجدل والحوار الموضوعى يقتضى منهم – لو كانوا حقا موضوعيين فى حوارهم – أن يقولوا « يؤمنون » بدل « يدعون » لأن الإيمان بكون الله هو الذى أنزل القرآن – هو معتقد المسلمين وليس الادعاء كما يقول واضعوا الوثيقة الشيطانية الحاقدة وقصدهم من هذا « الشطط » أو قل: الحمق والسفه. أن يحرجونا فى حلبة الصراع. وأن يكون جوابنا واحدا من اثنين وعلى كليهما فنحن المدانون.

● إذا قلنا لا نعترف بما تطالبوننا به فقد خرجنا عن تصديق وحى الله إلينا. وهذه كارثة يتمناها واضعو الوثيقة الحاقدة ..؟

● وإذا قلنا نعترف قالوا فلم المكابرة والتمسك برسول الإسلام وها أنتم توافقوننا فى عقيدتنا.. وهذا إحراج يؤدى بنا إلى كارثة أخرى يتمناها واضعو الوثيقة ..؟!

ولسنا فى هذه وتلك – يا سادة – فى موقف المجادل الذى يتخير الرد لكى يفحم خصمه. كلا والله. ولكننا قوم مؤمنون بحقيقة نعلنها دائمًا ولا نخفيها ولا نخشى عقبي الجهر بها مهما كانت منزلتها عندكم فى حسابات الربح والخسارة أن إيماننا بأن مولد عيسى ابن مريم عبدالله ورسوله كان « معجزة » حقيقة لا يمارى فيها أحد.

ولن يحملنا جهل الجاهلين على التنكر لها مهما يرعوا فى أساليب المكر وحيل الاستفزاز، ومهما أنساهم حقدهم على رجل «آتاه الله من فضله، وكان فضل الله عليه عظيما» مهما أنساهم ذلك الحقد أدب الحوار وموضوعية الحديث.

إننا نؤمن بأن ولادة عيسى ابن مريم كانت معجزة. ولكنها معجزة قد صنعها الله ولم يصنعها هو. وهى دليل على قدرة الله لا على قدرة أحد سوى الله.

إننا نؤمن بجلال هذه المعجزة التى أيد الله بها عبده ومربوبه ومخلوقه عيسي عليه السلام، كما أيد غيره من الرسل بالمعجزات الباهرات. ومع إيماننا بهذا لا نضع عيسى عليه السلام إلا فى موضعه الذى وضعه فيه خالق الكائنات. عبد من عباد الله حملته سيدة بارة بإذن الله وأمر منه فعاش كما يعيش البشر فى طبيعتهم يأكل ويشرب ويصحو وينام ويشعر ويتألم وإن فضله الله على معاصريه بالوحى والرسالة..؟! ومع إيماننا بأن ولادة عيسي عليه السلام كانت معجزة .. فاعلها هو الله نؤمن بأن لله معجزات أخرى أدخل فى باب الاعجاز من المعجزة التى صاحبت ميلاده. فخلق حواء من آدم أدخل فى باب الاعجاز عند العقل من معجزة ميلاد عيسى عليه السلام.

ومعجزة خلق الله آدم أبا البشر أدخل فى باب الإعجاز عند العقل من معجزتى حواء وعيسى وإن كابر مكابرون ؟!

وكون عيسى هكذا ولد .. وكونه كان يحيى الموتى بإذن الله، ويبرىء الأكمة والأبرص بإذن الله: كونه - هكذا - فليس هو بأفضل من جميع الرسل. فضلا عن أن يكون إلاها. فالأفضلية لها معايير أخرى فى هذا المجال - كما ستعرفون - بعد قليل - وما من معجزة أيد الله بها عيسى عليه السلام الا وقد أيد بمثلها أو بما هو أكثر إعجازا منها رسلا آخرين. وقد ذكرنا من هذا القدر الكافى فى غير هذا الموضع فى الرد على مقال البابا شنودة المتقدم ذكره.

فلسنا نحن الذين نطالب بالاعتراف، لأننا مؤمنون بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر، لا نفرق بين أحد من رسله ونحن له مسلمون وعابدون؟

وإيماننا هذا - بكلياته وجزئياته - لا مجاملة فيه لأحد، ولا رهبة من أحد، وإنما هو إيمان لحسابنا الخاص، لأننا تلقيناه من مصدر صادق أمين منصف، عن صادق مصدوق، لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

ولو أننا أدرنا هذا السؤال - المطالبة بالاعتراف - على الذين وجهوه لنا. فهل نحن واجدون لديهم شجاعة أدبية يحميها رصيد صحيح من عقيدة قويمة أم الافلاس أو الشطط هو الذى سيكون سيد الموقف ..؟!

يحكى أن «بعوضة» جلست على طرف غصن من شجرة «جميز» ضخمة مترامية الأطراف. ثم أرادت أن تطير، وكانت تحسب أن طيرانها سوف يقتلع الشجرة من جذورها أو يحدث بها على الأقل - تلفا. فقالت تنصح الشجرة قبل أن تطير:

أيتها الشجرة تماسكى جيدا فقد عزمت على الطيران ..؟!

وكان رد الشجرة: وعلى أى وريقاتى أنت تجلسين ..؟!

وصدق الله العظيم القائل:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً * لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا *

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٧١ – ١٧٣] .

● **تنبؤ الإنجيل بولادة عيسى ..؟!**

لا تستغرب – أخي القارىء – من هذا العنوان، ولا تسيء الظن بنا أننا لم نفتره على واضعي وثيقة الحقد . فإن نصهم يقول بالحرف الواحد :

« أن المسيحيين لا يقبلون القرآن، ولكنهم يتقبلون الإنجيل الذى تنبأ بهذا الحدث ... » .

وموضع هذا النص هو الحديث عن عظمة ولادة عيسى . بل أن واضعي الوثيقة الحاقدة أشاروا إلى موضع ورودها فى الإنجيل[١] . فهاهم إذن يقولون أن الإنجيل تنبأ بذلك الحدث . أى ولادة عيسى عليه السلام ..؟!

وهذا كلام إن أخذته بالطول وجدته غير مستقيم . وإن أخذته بالعرض وجدته غير مستقيم . وإن أخذته بالطول والعرض معا وجدته غير مستقيم .

كيف ...؟!

لأن التنبؤ بشيء معناه الإخبار بأمر سيكون قبل أن يكون، ولا معنى للتنبؤ غير هذا فى أية لغة يعرفها الإنسان، لأن تنبأ : تفعل أى تعاطى النبأ قبل أن يكون . وهو قريب من « تصنع » الشيء تكلفه لأن الأصل فى الإخبار أن يكون عما كان . فإن كان عما يكون فهو تنبؤ وليس بإخبار قطعا .

وعلى هذا فإن « المتنبىء » لابد أن يكون سابقا فى الوجود على « المنبأ به » ضرورة .

وتطبيق هذا القانون على ما نحن فيه محتاج إلى هذا البيان :

أولاً : ولد عيسى عليه السلام ثم نشأ كما نشأ الأطفال حتى بلغ رشده .

ثانياً : أنزل الله وحيه على عيسى وأرسله رسولا إلى بنى إسرائيل . ووحى الله إلى عيسي هو المسمى « الإنجيل » كما سمى وحى الله السابق عليه على موسى « التوراة » وسمى وحى الله النازل على محمد ﷺ « القرآن » وهو آخر وحى لله .

وبعد هذا البيان نسأل واضعي وثيقة الحقد :

---

(١) إنجيل لوقا الاصحاح الأول الآيات (٢٨ – ٣٦) من العهد الجديد .

كيف يتنبأ الإنجيل – إذن – بولادة عيسى، وعيسى عليه السلام كان قبل أن يكون الإنجيل ؟

أيهما أسبق يا قوم عيسى أم الإنجيل ؟! قطعا لن يكون جوابكم أن الإنجيل أسبق وجودا من عيسي. مع أن هذا هو شرط التسليم لكم بهذا التنبؤ ..؟!

فإن قلتم أن الإنجيل أسبق ليصح لكم هذا التنبؤ. كنتم كمن يقول الأرض «فوق» والسماء «تحت» ومصير القائل بهذا معلوم؟! وإن قلتم – ولابدأنكم قائلون – أن عيسى – عليه السلام – أسبق فإن دعوى تنبؤ الإنجيل بولادته، تظل أكذوبة الأكاذيب؟!

وما دام عيسي عليه السلام كان أسبق وجودا من الإنجيل فحديث الإنجيل عن ولادته إنما هو تسجيل لحادث وقع كما تسجل «الوثائق التاريخية» وقائع التاريخ ولا مفر من هذا القول لأنه هو التعبير الحق المصار إليه.

وإذا وصلنا إلى هذه «الدرجة» فإننا نقول لكم:

إن القرآن الحكيم قد سجل حادث ولادة عيسى عليه السلام باعتباره حدثا عجيبا فيه لله معجزة. فهو لم يقصر فى هذا الشان.

فعلى أى وجه إذن التفرقة بين القرآن والإنجيل – هنا – بانه أحدهما تنبأ بها «الإنجيل» ولذلك فإن المسيحيين يتقبلونه. ولكنهم لا يقبلون القرآن.

أليس فى هذا ظلم منكم للقرآن وهو لكم منصف أمين ؟!

- **الناحية الفكرية :**

وكانت الناحية الفكرية – على حد تعبير الوثيقة – هى الخطوة الثانية فى الهجوم على رسول الإسلام. يقول واضعو الوثيقة فى وصف رسول الإسلام «نجد أنه بفعل ولادته كسائر البشر ورث محمد من البشر طبيعتهم الآثمة ... أما عيسى فكون ولادته معجزة فلابد وأنه ورث طبيعة طاهرة لا غبار عليها ...».

ومن الغريب أن واضعى الوثيقة مع زعمهم بأن رسول الإسلام لم ينزل عليه وحى بل هو أدعى ذلك أدعاء. مع هذا فإنهم عمدوا إلى آيات من القرآن الحكيم حملوها – ظلما وحقدا – على ذم رسول الإسلام ؟! وآيات أخرى منه حملوها – تعصبا وجهلا – على مدح عيسى عليه السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك هى المغالاة فى الدين التى نصحهم القرآن، بل نهاهم عنها كما تقدم فى سورة النساء فلم يسلم رسول السلام باعتباره فوق كل الأنبياء والرسل. وتلك المغالاة فى

الدين التى فرقت بين الرسل فى هذه الوثيقة بالنقد والتجريح والطعن وقبل ذلك ما تقدم فى كتاب «الاستحالة»[1] وما له عندهم من سبب سوى أنهم مولودون من بشرين آباء وأمهات. أما عيسى فلأنه مولود من أم بلا أب فهو سيد الجميع عند واضعى الوثيقة.

وإذا سلمنا لهم – جدلا – بأن أساس الولادة عن البشر عار يذم من أجله أنبياء الله ورسله. فإن لعيسى عليه السلام – فرضا – نصيب من ذلك الذم – لا محالة – لأنه ولد من أم بشرية. وإذا استحق محمد ﷺ، أو أى رسول آخر سوى عيسى عليه السلام ١٠٠٪ من الذم لأنه مولود من بشرين. فإن عيسى عليه السلام – إعمالا – لهذا المبدأ الغريب – ٥٠٪ من الذم على الأقل..؟!

ومن هذا يبدو لنا واضحا مدى تجنى واضعى الوثيقة على أنبياء الله ورسله – جميعا – إذ يلزم من هذا المقياس ذمهم جميعا بلا استثناء أحد منهم، مع التفاوت – طبعا – بين أنصباء الذم، بين الـ ١٠٠٪ والـ ٥٠٪ على الفرض الذى قدمناه..؟! لأن من لم يكن له أب منهم فله بالقطع أم..؟!

فهل أدرك واضعو الوثيقة شناعة هذه «المقولة» وما يترتب عليها من الإطاحة برسل الله جميعا ورميهم بالنقص، وهم المصطفون الأخيار.

• وعودة إلى المعجزات :

وتعود الوثيقة إلى المقارنة بين الرسولين محمد بن عبد الله وعيسى ابن مريم صلي الله عليهما وسلم: من حيث المعجزات. ويقولون: أن عيسي عليه السلام قام بالمعجزات فى حين أن محمدا ﷺ عجز عن ذلك..؟! ثم يردفون: صحيح أن المسلمين يقولون أنه قسم القمر نصفين، وعدة معجزات أخرى، ولكننا بالتعمق والدراسة نكتشف أن قصص هذه المعجزات كتبت بعد مضى قرون[2] من وفاة الرسول محمد..؟!

وهنا يفتح القوم بابا على أنفسهم لا يستطيعون إيصاده : فليسمعوا إذن ما نقول، وإن كان عندهم من علم فليخرجوه لنا :

يا قوم إننا لن نثير معكم موضوع المعجزات المادية التى وقعت لمحمد ﷺ. وإنما نقول لكم:

---

(١) انظر (ص٤) من هذه المواجهة.

(٢) هذا طعن خفى فى القرآن لمجىء هذه الحقائق فيه، فكأنهم يقولون أن القرآن نفسه قد كتب بعد وفاته عليه السلام بعدة قرون..؟!

إن محمدا الذى تدعون أنه لم يقم بمعجزات قط. مع أن عيسى عليه السلام قام بعدة معجزات :

فأرونا إذن أين هى معجزات عيسى الآن ...؟ صحيح أن من معجزاته – كما يقول القرآن الأمين– إحياء الموتى . فأين هم الموتى الذين أحياهم عيسى؟! أنهم ماتوا مرة أخرى ..؟!

وصحيح أنه كان يبرىء الأكمة والأبرص بإذن ربه. فأين هم الذين شفاهم عيسى عليه السلام من أمراضهم ..؟! لقد ذهبوا – جميعا – إلى الأرض التى منها خلقوا. وكان الموت هو مرض الأمراض أو جهيزة التى قطعت قول كل خطيب :

وما يقال فى معجزات عيسي، يقال فى معجزات سائر الأنبياء والرسل. ألم يلتئم البحر الذى فلقه موسى بعصاه فى نفس اليوم الذى انفلق فيه. أو لم تخمد نار إبراهيم التى جعلها الله عليه بردا وسلاما .. أو لم ينحسر الطوفان الذى غمر الأرض كلها تصديقا لدعاء نوح .. أو لم .. أو لم .. أو لم ..؟!

ومعجزات محمد عليه السلام التى هى من هذا النوع ومنها انشقاق القمر كما تقولون، أسدل الستار عنها وكانها لم تكن. لأن هذه المعجزات جميعا أدت المراد منها فى حينها وعند مشاهديها أو معاصرى مشاهديها لأن الخبر بها إذ ذاك بلغ حد التواتر: ثم أصبحت - بعد – خبرا من الأخبار. يصدق بها من يؤمن بالله صانعها لأنه يثبت له قدرة لا تعجز. ويتشكك فيها أو ينكرها من خلا قلبه من الإيمان أو ضعف إيمانه فى قلبه. أما استمرارها أو اعادتها فهو فى علم الله محظور محظور لأن الله لا يجريها إلا على يد رسول، وقد انتهى عصر الرسالات ...؟!

ولكن محمدا ﷺ، يتكلم وقد سكتت الرسل. وتبقى له معجزة المعجزات، وقد ذهبت كل المعجزات.

إن معجزة محمد ﷺ الباقية الخالدة خلود رسالته وخلود السموات والأرض هى: القرآن العظيم: المتلوة بكل لسان المحفوظة فى الصدور. التي لم ينل من الدهر، جديدة دائماً، ظاهرة دائماً يشهد لها بالفضل الأعداء قبل الأصدقاء. والمخالفون قبل الموافقين. إعجازها يدرك من بنائها وتركيبها، ومعانيها وهدايتها، واتساقها مع الفطر السليمة وموافقتها لمعطيات المعارف والعلوم، وشرحها لمظاهر الكون، وتقريرها لنواميس الحياة. تغدو وتروح فى سمو وشموخ كالشمس أو هى أثبت ظهورا لأن الشمس تشرق وتغرب وهى مشرقة أبدا لا غروب لها. سامية فوق كل نقد، مهيمنة فوق كل بيان .

قصت القصص فصدقت. وأرشدت إلى الحق فأصابت، وقررت فأحكمت، وأشارت إلى حقائق العلوم فوافقت. وها هى ذى تتحدى العصور والدهور فلا يزداد الفاقهون لها إلا يقينا، ولا الباحثون فيها إلا ثقة. لغتها لغة كل عصر، وهداها هدى كل حال، تتألق بالحق ويتألق الحق بها: تقنع العقول. وتمتع العواطف. وتغذى الوجدان، وتحفظ للإنسانية رصيدها الضخم من هداية السماء حيث لا أمين عليها غيرها ولا حارس لها سواها.

تلك هى معجزة محمد ﷺ الباقية ما بقى الدهر. فأرونا معجزة لرسول بقت بعد انتهاء دوره على الأرض، صالحة للفحص والدرس «الحضورى» .. أنه لا سبيل إلى ذلك إذا كان الرسول غير محمد. أما أن كان الرسول محمد ﷺ فنقول نعم أننا جاهزون. وتلك هى معجزته الصالحة للفحص والدرس الحضورى فأفحصوها وادرسوها، فإن كان الهدف هو الوصول إلى الحقيقة المحردة. فسترونها - بعد الفحص والدراسة الحضورية - محمدا الرسالة والرسالة ..؟!

● **وشهد شاهد من أهلها :**

فإن قلتم أن لنا بازاء القرآن كتابا مقدسا؟ قلنا لكم .. لا .. دعوا أمر هذا الكتاب المقدس فأنكم أول من تشكك فيه واتهمه بالزيادة والنقص وروايات الخيال والهوى والتناقض والتنافر ومجافاته للحقائق الإيمانية والعقلية.

وقد بدأ هذا الشك أو التشكك لديكم فى الكتاب المقدس منذ عهد الأب أوغسطين فى عصر ضارب فى القدم، فكان عند مطالعته التوراة يصطدم ببعض المشكلات النصية فيحتال على تبرير بعضها، ويرجع ما لا حيلة فيه إلى سبب إنساني(1) ، وحين تقدمت المعارف الإنسانية، وكونت الثقافة العقلية مزاجا فكريا عنيداً لدى بعض المثقفين الإنجيليين واصطدموا بما تقرره بعض نصوص الإنجيل من حقائق تأباها حقائق العلم الحديث أدرك بعض الآباء خطورة هذه المشكلة، ومنهم الأب روجى - والنقل هنا من كتاب «دراسة» الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة - والأب روجى قد نصب نفسه للرد على قراء الإنجيل. ولكنه حتى مع تلك

---

(1) ننقل هذه الحقائق من كتاب «الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة» تأليف الأستاذ موريس بوكاى الفرنسى الأصل. (طبعة دار المعارف سنة ١٩٧٧) . مترجمة إلى اللغة العربية .

المحاولات من جانبه ، فإنه يعترف كما يقول الأستاذ موريس بوكاى – أن فى الأناجيل نصوصا مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعبثية أو فاضحة »[1].

ويقرران معا: الأب روجى وموريس بوكاى. أن القراءة الكاملة لنصوص الأناجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين »[2].

ويقول الأستاذ موريس، وهو ما يزال على عقيدته النصرانية[*]، أنه فى دراسته الثانوية فى مدرسة كاثوليكية لم يكن يسمح لهم إلا بقراءة مقاطع مختارة من الأناجيل، وأنه بعد الوقوف على خطورة المشكلات التى تترتب على قراءة النصوص الكاملة للأناجيل، أدرك السر فى عدم اعطاء مدرسيهم لهم واجبات واسعة من الكتب المقدسة المسيحية. والسر كما يفصح عنه الأستاذ موريس هو أن تلك الكتب كان يمكن أن تقود الطلاب إلى طرح أسئلة على أساتذتهم يكون الرد عليها محرجا[3]. . . ؟!

وينقل الأستاذ موريس رأى الأب كانينجر الذى يقول فيه: لم يعد واجبا الأخذ بحرفية الأحداث الواردة فى الأناجيل عن السيد المسيح، فهى كتابات « ظرفية » أو « خصامية »[4]؟!

ويقول: ا. كولمان فى كتابه « العهد الجديد » فى نهاية حديث طويل أنهاه بقوله:

« أن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل: وبعد هذا، وما أن إلخ. وبالاختصار اطار الأناجيل المتوافقة كل هذا أدبى الطابع وليس له أساس تاريخى »[5].

ويوازن الأستاذ موريس بوكاى بين وجهة النظر عند هؤلاء الكتاب: روجى وكولمان، وكانينجر وغيرهم فى الاعتراف بهذا التناقض الذى تحفل به الأناجيل وبين وجهة نظر المجمع المسكونى للفاتيكان الثانى فى دستوره العقائدى عن التنزيل، والذى أعد فيما بين عامى ١٩٦٢ ، ١٩٦٥م وقد جاء فيه :

« أن كنيستنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائمين أن هذه الأناجيل الأربعة[6] التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد. تنقل بشكل أمين فعلا أقوال

---

(١) نفس المصدر ص ٦٥ .
(٢) نفس الموضع .
(٣) المصدر نفسه (٦٥) .
(٤) المصدر نفسه ص ٦٨ .
(٥) المصدر نفسه ص (٧٧) .
(٦) متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا .
(*) هذا كان حين صدور الطبعة الأولي من كتابنا هذا عام ١٩٨٠م. ثم اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه.

وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء . . »[١] .

فالكنيسة – إذن – تختلف جذريا مع أولئك الكتاب ولكن الأستاذ موريس ينتصر لرأى الكتاب فيقول :

« إذا نظر القارىء إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجامعى التراث الشفهى[٢] المنتمى إلى مختلف الجماعات . وإذا نظر إليها القارىء على أنها كتابات ظرفية أو خصامية[٣]، فإنه لن يدهش عندما يجد فى الأناجيل كل هذه العيوب التى هى علامة صنع الإنسان فى مثل هذه الظروف »[٤] .

- **أمثلة من الواقع :**

وكفانا ما تقدم من أقوال فى الوصف العام للأناجيل، مدحا أو قدحا فإن الذين تشككوا أن يكون ما فى الإنجيل « الهيا » أو حقيقة واقعة حملهم على ذلك التشكك وقائع وقفوا عليها فى الأناجيل أنفسها ونحن نذكر منها ما قالوه هم ولا نضيف شيئا إليه، لأن هدفنا هنا أن نبين آراءهم هم فى كتابهم المقدس.

ويأتى على رأس تلك « المحيرات » مسألة نسب المسيح . ويتنبه الأستاذ موريس إلى حقيقة يشترك فيها كل مطلع على إنجيلى متى ولوقا . ذلك أنهما اهتما ببيان نسب المسيح . فنجد لوقا يبتدىء النسب من آدم حتى يصل به إلى يوسف النجار خطيب مريم .

ومتى يبتدى النسب من إبراهيم ويصل به إلى يوسف النجار أيضا . وإذا أغمضنا النظر عن الاختلافات الجوهرية فى شجرتى النسب عند متى ولوقا فإن هناك مشكلة صعبة الحل جدا وهى :

أن عيسى عليه السلام ولد من أم « مريم » بدون وساطة لقاح أب فكيف إذن يستساغ أو يقبل أن يلصق نسب السيد المسيح برجل لم يعاشر أمه معاشرة زوجية قط . إنها مشكلة صعبة وحاشى أن يكون المسيح هو مملى هذه الشجرة لأى منهما فيدعى لنفسه أبا ليس هو أباه وليس له بأمه علاقة يكون ثمرتها هذا النسب .

---

(١) نفس المصدر ص ٧٩ .

(٢) اشارة إلى ان الأناجيل كتبت عن الرواية الشفهية بعد المسيح بزمن .

(٣) معنى الظرفية والخصومية هنا : الاهواء التى كانت تسيطر على مشاعر محررى الأناجيل .

(٤) دراسة الكتب المقدسة : المرجع السابق ص ٧٩ .

ويقول الأستاذ موريس تعليقا على هذا :

« تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوى عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولية والصحة . . هى مشاكل تحرج جدا المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنسانى . . . وبادىء ذى بدء يجب ملاحظة أن هذين النسبين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضرورى إعطاء المسيح نسبا وهو وحيد أمه وليس له أب بيولوجى . فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط »(١) .

ولا نطيل بالقارىء ونكتفى بالرأى الذى انتهى إليه الأستاذ موريس بوكاى فى نهاية نقده لموضوع نسب المسيح فى إنجيلى متى ولوقا . وإليك عبارته ذات الدلالة العميقة التى أنهى بها نقده .

« لاشك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية تكافىء الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى »(٢) .

ويستعرض الأستاذ موريس بعد هذا آراء الكتاب المسيحيين فى وجود الخيال والاختلاط والفوضى وعدم المعقولية فى روايات الأناجيل وخاصة فى الظواهر الآتية :

١- روايات آلام المسيح . ٢- ظهور المسيح بعد قيامته .

٣- صعود المسيح . ٤- أحاديث المسيح الأخيرة .

وأورد فى خاتمة هذا الفصل قوله :

« . . فخيالات متى » والتناقضات الصارخة بين الأناجيل ، والأمور غير المعقولة ، وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث ، والتحريفات المتوالية للنصوص . كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على اصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده . لكن هذه العيوب لا تضع فى موضع الشك وجود رسالة المسيح . فالشكوك تخيم فقط على الكيفية التى جرت بها »(٣) .

وأقول أن ما يقرره الأستاذ موريس هنا يتفق تماما مع عقيدة المسلم الذى لم يقل فى الإنجيل إلا ما يقوله الأستاذ موريس وأمثاله . وبهذا يتضح أن المسلم لم يتهجم على الإنجيل وإنما يضعه فى نفس الموضع الذى يضعه فيه المعتدلون المنصفون من أبنائه وشيعته .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة (ص ١٠٥) .

(٢) نفس المصدر ص (١١٦) . (٣) نفس المصدر ص (١٣١) .

فالكتاب المقدس عن هؤلاء أشبه ما يكون بعمل ملحمى روائى. تدور الصورة المجسمة فيه حول حادثة وقعت بالفعل، ثم نماها العمل الملحمى الروائى واستولدها كثيرا من الوقائع والأحداث، بل هى شبيهة عندهم بملحمة رولان قائد جيش شارلمان الذى كانت مهمته حماية حدوده ضد الشعوب المجاورة. لأن بين الحادثة - كما وقعت فى الحقيقة، وبينها كما يصورها العمل الروائى بونا شاسعًا. فهى واقعة صحيحة. وضخامة الرواية التى أخرجتها لا يمحو وقوع الحادثة[1].

ورسالة عيسى عليه السلام واقعة حقيقة لا يرتاب فيها مؤمن، ولكن كتاب الأناجيل أضافوا حولها الكثير مما لا تثبت صحته أمام معطيات المعرفة الحديثة والعقل الفاحص.

● **وشهد شاهد من غير أهله :**

لقد نقلنا فى إيجاز بالغ - بعض صور النقد الموضوعى الذى أبداه الأستاذ موريس بوكاى حول وقائع الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما نقل ما انتهى عليه الرأى عند بعض الكتاب المسيحيين الغربيين، وما أثر عن بعض آباء المسيحية القدامى مثل الأب أوغسطين عرضنا كل ذلك فى إيجاز شديد وأمانة خالصة. بل أننا قررنا أننا لا نرى فى الكتاب المقدس أكثر مما يراه فيه هؤلاء المعتدلون. والآن فلنعرض فى إيجاز وأمانة أيضًا شهادة الأستاذ موريس بوكاى للقرآن. وهى شهادة عادلة ومخلصة ما كنا نطمع فيها من مثله، وإنما يبدو أن الرجل باحث مجرد من كل هوى. ولهذا فإن شهادته فى الموضعين اتسمت بالاعتدال الرائع. وإليكم البيان :

● **صحة النص القرآنى وسموه على كل نقد:**

من الأمور المهمة التى طرقها الأستاذ موريس بوكاى فى كتابه العظيم هو ثبات صحة النص القرآنى سندا ومعنى. وفى ذلك يقول:

« صحة القرآن التى لا تقبل الجدل تعطى النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ولا يشترك مع نص القرآن فى هذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد »[2].

- يعنى التوراة والإنجيل - وقد تحدث باستفاضة عن طريق توثيق النص القرآنى فى مراحل جمعه المختلفة، وكونه كان محفوظا فى الصدور مكتوبا فى الألواح منذ لحظة نزوله حتى جمع فى المصحف الشريف.

---

(١) انظر نفس المصدر ص (١٣١) .
(٢) دراسة الكتب المقدسة : ص (١٥١) .

ويثبت فى الصفحات الأولى من كتابه المذكور سلامة النص القرآنى من حيث معناه مقارنا بمعطيات العلم الحديث، فيقول بالحرف الواحد :

« لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم، وذلك دون أى فكر مسبق، وبموضوعية تامة باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن، ومعطيات العلم الحديث. وكنت أعرف قبل هذه الدراسة، وعن طريق الترجمات أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية، ولكن معرفتى كانت وجيزة. وبفضل الدراسة الواعية للنص العربى[١] استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم فى العصر الحديث ».

ثم يقول مقارنا هذه الحقيقة ذات الدلالة الخاصة بما أسفرت عنه دراسته الكتاب المقدس بعهديه :

« وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول أى سفر التكوين، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا فى عصرنا »[٢].

وبعد أن يورد على الأنجيل مثلما أورد على التوراة نراه يقول :

« غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة، وتلك التى لا يحتملها التصديق، وتلك الأخرى التى لا تتفق والعلم، لا يبدو لى أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر، ولا يستطيع احد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية، وما نصيب الخيال والهوى فى عملية تحريرها، أو ما نصيب التحريف المقصود من قبل كتبة هذه النصوص، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التى أدخلت على الكتب المقدسة[٣] وأن ما يصدمنا حقا فى أيامنا هذه أن نرى المتخصصين فى دراسة النصوص يتجاهلون ذلك التناقض والتعارض من الحقائق العلمية الثابتة »[٤].

---

(١) هذه العبارة تحتمل معنيين. أحدهما أن يقصد المؤلف منها القرآن نفسه. والثانى أن يكون المراد منها الاطلاع على القرآن فى لغته العربية وليس عن طريق الترجمة .

(٢) نفس المصدر ص (١٣) .

(٣) يقصد : التوراة والأناجيل وملحقاتها .

(٤) نفس المصدر ص (١٤) .

● **اتفاق المعارف الحديثة مع مقررات القرآن :**

وينتقل الأستاذ موريس بوكاى إلى ذكر أمثلة متعددة أستقر عليها الوضع فى المعارف الحديثة والمعاصرة، تتفق تمامًا مع مقررات القرآن فيها. ونضع أمام القارىء ثبتا مجردا لتلك الأمثلة كما جاءت فى الكتاب المذكور، ثم نختار منها واحدا نذكره بالتفصيل منتهين إلى ما أنتهى إليه الطبيب والباحث المجرد الموضوعى من نتائج رائعة.

أما الثبت المجرد لتلك الأمثلة فهو على الوجه التالى :

خلق السموات والأرض - علم الفلك فى القرآن - تأملات عامة فى السماء طبيعة الأجرام السماوية - البنية السماوية - تطور العالم السماوى غزو الفضاء - الأرض - آيات ذات مرمى عام - دورة الماء والبحر تضاريس الأرض - الجو الأرضى - عالم النبات وعالم الحيوان - أصل الحياة - المادة بعض المعلومات - التناسل الإنسانى فى القرآن - القرآن والتربية الجنسية - طوفان نوح - خروج موسى من مصر ...».

هذه رءوس موضوعات تشير إلى بحوث ممتعة ومقنعة جدا ليس من الميسور إيجازها هنا.

● **معنى «أمشاج» فى القرآن الحكيم :**

ذكر الأستاذ موريس بوكاى ضمن الآيات التى تتحدث عن «التناسل الإنسانى» فى القرآن الحكيم قوله تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

[الإنسان: ٣]

وتحدث وهو طبيب عن معنى كلمة «أمشاج» الواردة فى الآية الحكيمة. وبعد نقله لآراء العلماء الأقدمين فيها، وهى محصورة فى اختلاط ماء الرجل بماء الأنثى، بين ما توصل إليه العلم الحديث فى هذا الشأن . فقال :

«يتشكل السائل المنوى من إفرازات مختلفة تأتى من الغدد التالية :

(أ) الخصيتان : يحتوى إفراز الغدة التناسلية للذكر على الحيوانات المنوية وهى خلايا مستطيلة مزودة بهدب طويل، وتسبح فى سائل مصلي.

(ب) الحويصلات المنوية : تخزن هذه الأعضاء الحيوانات المنوية وتقع على مقربة من البروستاتا، وتفرز إفرازا خاصًا.

(جـ) البروستاتا : وتفرز سائلا يعطى للسائل المنوى قوامه الغليظ، ورائحته الخاصة.

(د) الغدد الملحقة بالمسالك البولية، وهى الغدد المعروفة باسم كوبر، أو ميرى وتفرز سائلا جاريا، وغدد ليترى وتفرز المخاط.

تلك هى أصول هذه «المخاليط» الأمشاج التى يبدو فعلا أن القرآن يتحدث عنها[1].

ومعنى هذا أن العلم الحديث قد كشف عن المعنى الدقيق الذى أراده القرآن من كلمة «أمشاج» ولهذا فإن المعنى الذى وقف عنده القدماء وهو خلط ماء الرجل بماء المرأة يصبح متوازنا أمام حقائق العلم الحديث. فالنطفة هى وحدها «أمشاج» سواء خلطت بماء المرأة أو لم تخلط. هذا هو الصحيح لأن الكلمة نفسها جاءت فى الآية وصفها لـ«نطفة» وليس وصفا لها بعد مزجها بماء المرأة في الرحم :

● **مؤدى هذا التوافق بين العلم ومقررات القرآن :**

وقد انتهى الأستاذ موريس بوكاى من هذه الدراسة التى أثبتت التوافق التام بين مقررات القرآن ومكتشفات العلم الحديث إلى ما ينتهى إليه كل باحث موضوعى فى هذا الوحى الأمين. وندع القارىء يسمع بنفسه ما يقوله هذا الباحث المنصف.

«أن القرآن وقد استأنف التنزيلين اللذين سبقاه، لا يخلو فقط من متناقضات الرواية، وهى السمة البارزة فى مختلف صياغات الأناجيل، بل هو يظهر أيضًا ـ لكل من يشرع فى دراسته بموضوعية وعلى ضوء العلوم ـ طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة: بل أكثر من ذلك ـ وكما أثبتنا ـ يكتشف القارىء فيه مقولات ذات طابع علمى من المستحيل أن إنسانا فى عصر محمد ﷺ قد استطاع أن يؤلفها. وعلى هذا فالمعارف الحديثة تسمح بفهم بعض آيات القرآن التى كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن»[2].

ثم يقول فى نفس الموضع :

«.. لذا فمن المشروع تماما أن ينظر إلى القرآن على أنه تعبير الوحى من آلله وأن تعطى له مكانة خاصة جدا حيث أن صحته أمر لا يمكن الشك فيه وحيث أن احتواءه على المعطيات العلمية المدروسة فى عصرنا تبدو وكأنها تتحدى أى تفسير وضعى».

---

(١) نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٦ .

هذا قليل من كثير مما يصف به الباحثون الموضوعيون من غير المسلمين القرآن الحكيم.

أنه وحي لاشك فيه ، سام فوق كل نقد، حق لا باطل فيه. فهل يقال بعد ذلك أن محمدا ﷺ منتحل للقرآن، أو يقال أنه لم يأت بمعجزات. وأى معجزة يتطلبها البشر تفوق معجزة القرآن المتعددة الوظائف. المستمرة فى عطائها وهيمنتها فيما توحى به وتقرر. ذلكم هو الحق فليراجع الذين يكفرون بهذه الحقيقة أنفسهم. وليعلموا أن نكرانهم لهذا الحق الأبلج ليس بضائر محمدا ﷺ . ولكن أنفسهم يضرون.

- **موت محمد ، وحياة عيسى عليهما السلام :**

هذه هى الخطوة الرابعة والأخيرة فى سلم التهجم على رسول الإسلام عند واضعى وثيقة « أى الاثنين أقدر ..؟! عيسى أم محمد ..؟! » وبالرد عليها نكون قد آنهينا واجبنا فى هذه « المواجهة » للوثائق الثلاث التى تقدم التعريف بها فى المقدمة.

وهذه هى صورة الاتهام كما يصورها واضعو الوثيقة فى قولهم. « فقد مات محمد كمثل بقية البشر، فلقد ولد مثل البشر، ومات مثل البشر.. وبعد موته دفن وفنى جسده (!) مثل أجساد بقية البشر ..».

ثم يستشهد واضعو الوثيقة على استمرار حياة عيسى عليه السلام بالآيات الآتية:

﴿ **يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ... ﴾ [آل عمران : ٥٥] وقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام :

﴿ **وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ [مريم : ٣٣] وقوله تعالى حكاية عن عيسي أيضاً :

﴿ **وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ** ﴾ [المائدة : ١١٧] .

وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ومن الغريب حقا أن واضعى الوثيقة يعتبرون الموت إحدى صور العقاب الواقع من الله على الآثمين (!؟) .

ودفعا لهذا كله نقول فى إيجاز :

أننا لا نمارى فى موت كل مخلوق بلا استثناء أحد ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٦-٢٧] .

فرسول الله محمد ﷺ مات . أى نعم، مات كما مات من قبل رسل الله . ولكن موت محمد ﷺ لم يكن عقابا وقع عليه من الله لأنه آثم (!) بل لأن هذه هى سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

وعيسى أمات أم هو مازال حيا؟! ونشطر الحديث هنا ثلاث شطرات بحسب الأديان السماوية الثلاثة المعروفة الآن . اليهودية - المسيحية - الإسلام .

أما بالنسبة لليهودية فإن اليهود لا يعترفون - قط - برجل أسمه عيسى أو المسيح أرسل إليهم من عند الله - لقد خلت كل وثائقهم الدينية من الإشارة إليه كما يعترف بذلك الفيلسوف اليهودى دلفنسون بل أنه ليقول أن اليهود تعمدوا حذف ما يختص بعيسى عليه السلام من وثائقهم التاريخية حتى لا يسبب لهم ذكره مضايقات من اتباعه النصارى . ولهذا فإن يوسف القائد خلا تاريخه من النص عليه، وقد كتب تاريخ يوسف القائد عام ٧١م [١] .

إذن فمسألة حياة المسيح أو موته لا وجود لها فى الديانة اليهودية؟!

وأما النصرانية فاعتقادهم الجازم أن المسيح قتل وصلب بيد اليهود فهو إذن قد مات مقتولا مصلوبا . فإذا وازنا بين موت محمد ﷺ، وبين موت عيسى عليه السلام - كما يعتقد النصارى - ثم جاريناهم فى أن الموت عقاب فإن شدة العقاب الواقعة على عيسى تفوق بأضعاف مضاعفة نوع العقاب الذى وقع على محمد صلى الله عليهما وسلم فكلاهما مات . وأن كان الموت واحدا فإن الطرق المؤدية إليه مختلفة فعيسى - على عقيدتهم - مات مصلوبا قتيلا - أما محمد عليهما السلام فقد مات موتا عاديًا .

أن هذا الفرض يلزمهم بلا ريب إعمالا لمقياسهم الذى وضعوه أساسا فى المفاضلة .

ولن يستطيعوا أن يقولوا أن عيسي لم يصلب ولم يقتل . لأنهم لو قالوا هذا لما بقى لديهم من النصرانية شيء قط . فما النصرانية إلا صلب وقتل ؟!

---

(١) أنظر قصص الأنبياء للأستاذ النجار .

وإذ كان الواقع – لديهم – هو ذاك فعلام – إذن – يتخذون من محمد رسول الإسلام – ﷺ – منفذا للطعن فيه – أسلب القوم عقولهم ؟!

أم توهموا أن عقولنا هى المسلوبة ..؟!

وأما الإسلام فإن الأمر فيه مختلف عن اليهودية والنصرانية معا فعيسى عليه السلام حدث له أمران : توفية ورفع، ولكن أيهما أسبق هنا يأتى الخلاف :

فرأى يقول – وهو الأصوب والذى تؤيده النصوص – أن الله توفاه ثم رفعه.

ورأى يقول : أن الله رفعه. وهل توفاه فور الرفع، أم هو مازال حيا لم يمت. وسوف يموت قبل البعث. رأيان فى هذا الشأن.

والذى تنصره النصوص هو أن الله توفى عيسى ثم رفعه. لقول تعالى : ﴿ مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ .

والواو وأن كانت لمجرد العطف فاحتمال الترتيب فيها بين متعاطفيها إحدى دلالاتها : ويقوى إرادة الترتيب هنا قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام، « كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » ولو كان الرفع هو الذى حدث بلا وفاة لما صح قوله : « فلما توفيتنى » بل لقال : « فلما رفعتنى » وهذا لم يحدث فدل على أن الموت كان هو الأسبق من الرفع[1].

أما مسألة ادعاء النصارى – كما يعبر عنها واضعو الوثيقة بأن المسيح قام بعد ثلاثة أيام من قتله وصلبه. فهذا مدفوع بإحدى الآيات التى أرتضوها شاهدا لهم على ما يقولون وهى « السلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ».

وما دام واضعوا الوثيقة قد ارتضوا هذه الآية شاهدا فليسمعوا دلالتها إذ هى تهدم كل ما بنوه من أصل عقيدتهم : وهى :

أن المسيح قتل وصلب فداء للبشرية، ثم قام من قبره فجر الأحد وهو اليوم الثالث لقتله وصلبه. ومن هذا أخذ النصارى شارة الصليب، وعيد القيامة المجيد.

ونحن نقول لهم إن هذه الآية تنفى أن يكون المسيح قد قام من قبره على التسليم لكم بانه قد قتل وصلب، لأنها تفيد أن للمسيح يوم ميلاد واحد ويوم موت واحد، ويوم بعث واحد، فليس له ميلادان ولا موتان ولا بعثان. وتأملوا معنا جيدا..

يوم ولدت، ويوم أموت، ويوم أبعث حيًا[2].

---

(١) أطمع أن يكون هذا الفهم توجيها جديدا لهذه المسألة إذ لم أره لأحد !

(٢) وأطمع أن يكون هذا من الجديد فى الحوار – كذلك – إذ لم ينبه عليه أحد.

أما الآية الأخرى التى استشهدوا بها وهى قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ﴾ فما داموا هم قد ارتضوها شاهدا - كذلك - فليسمعوا دلالاتها : وهى : لا صلب ولا قتل وقع على عيسى عليه السلام، بل نجاه الله من ذلك كله، ورفع عيسى فوق مكرهم وكيدهم .

وهاتان الآيتان، هذه والتى تقدمتها دلالتهما هكذا :

« لا قتل ولا صلب، ولا ميلادان، ولا موتان ولا بعثان » فإذا رفضتم هذه « المعطيات » فما لنا معكم إلا هذا القول :

وليس يصح فى الأذهان شىء إذا احتاج النهار إلى دليل ؟ !

* * *

علامات استفهام ...؟؟؟

بدت لنا، ونحن نمارس حقنا فى مواجهة هذه الوثائق الثلاث. علامات استفهام من الأحرى إبرازها استكمالا لصور المواجهة نفسها وبعض هذه العلامات سنجيب عليه بأمانة، أما البعض الآخر فسنكتفى بمجرد تصوره، لأننا لا نملك الإجابة عليه، أو نملكها، ولكن بقاءه – هكذا – استفهاما – بلا جواب – هو الجواب نفسه ..؟!

وأولى علامات الاستفهام هذه، هى :

- **كيف بدأت هذه الوثائق؟ وكيف انتهت ..؟!**

الجواب :

- كان قصارى جهد الوثيقة الأولى أن تبرز أهم العقائد التى يخالف الإسلام فيها النصرانية، ثم تقيم الدليل على صحتها بآيات من القرآن نفسه كعقيدة سلامة الكتاب المقدس من التحريف، وعقيدة التثليث، وألوهية عيسى عبدالله ورسوله. وقد مارست الوثيقة نوعا خفيا من التعريض برسول الإسلام، وبعض العقائد الإسلامية التى ذهب إلى التدليل على صحتها؟!

- ثم بدأت الوثيقة الثانية – كتاب الاستحالة – بنفس القضايا التى أثارها البابا فى مقاله. ولكنها عمقت ووسعت دوائر الحديث عنها. ثم أضافت إليها قضايا أخرى لم ترد فى المقال. وأكثرت من سوق النصوص الإسلامية قرآنا فى الأغلب، وأحاديث شريفة، وأقوالا لمفكرين إسلاميين، وخاصة المفسرين، ثم عمدت إلى بعض صور العقائد والعبادات والمعاملات الإسلامية وادعت أنها تقوم على أساس «التثليث» النصرانى وقد سبقت مواجهتنا لهذه الادعاءات كلها فى مظانها.

وأبرز ما فى هذه الوثيقة التعريض برسول الإسلام، وببعض خصائص الإسلام نفسه. وقد تكفلت بتجسيم شأن هذا التعريض الجداول التى عقدها مخرجو كتاب الاستحالة للمقارنة بين موسى ومحمد، من جهة، وعيسى ومحمد من جهة أخرى. عليهم صلوات الله وسلامه جميعا، ثم المقارنة بين عقائد وتشريعات الأناجيل، وبين خصائص الإسلام وتشريعاته. والمقارنة بين مواضع فى التوراة وأخرى من القرآن الحكيم مدعين أن القرآن اقتبس تلك المواضع من التوراة، ومواضع من الأناجيل وأخرى من القرآن بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل ؟!

على أن وجه التعريض – هنا – قد كان سافرا إلى أبعد الحدود، ولكنه مغلف بغشاء رقيق من الحيطة والتذاكى.

وإذا كانت الوثيقة الأولى قد سبقت فى الترتيب الزمنى. الوثيقة الثانية فإن الوثيقة الثانية قد سبقت الوثيقة الثالثة فى الترتيب الزمنى أيضاً.

● وأبرز ما فى الوثيقة الثالثة هو التعريض برسول الإسلام. وهو تعريض وقح بلغ من السفاهة حدا ملحوظا. وقد أشرنا إلى أسس المقارنة الأربعة التى ابتكرتها هذه الوثيقة وأدارت الأمر عليها. وهذه المقارنات جميعا سواء ما ورد منها فى كتاب الاستحالة، أو وثيقة أى الاثنين أقدر؟! فان رسول الإسلام فيها هو « الخاسر » إذا كانت المقارنة بينه وبين موسى أو عيسى عليهم السلام. والقرآن هو « المدان » إذا كانت المقارنة بين القرآن والتوراة، أو القرآن والأناجيل ؟!

وبناء على هذا – وغيره – فإن الوثائق الثلاث تبنت فكرة التعريض بالإسلام ورسوله . هادئة فى الأولى – صاخبة فى الثانية، وقحة بذيئة فى الثالثة..؟ وهذا يسلمنا إلى علامة الاستفهام الثانية. وهى :

● **ما أوجه التشابه – بعد – بين هذه الوثائق الثلاث ..؟!**

والجواب :

أن أوجه التشابه بين هذه الوثائق الثلاث وثيقة العرى . وأبرزها أنها تحاول نصرة « شىء » على حساب « شىء » آخر. وأنها فى سبيل الوصول إلى هذه « النصرة » عدت على « سلاح » من أرادت خذلانه واستعملته لنصرة من أرادت نصرته. فما من وثيقة منها إلا وعدت على نصوص القرآن الحكيم. فأخذت منها ما توهمت أنه « ناصرها » وتركت منها ما اعتقدت أنه « خاذلها » بل أن فيها – جميعا – نصوصا وردت بعينها لم تخل منه وثيقة منها .

وهى حين عدت على تلك النصوص حرفت معانيها لتخضع لمرادها فى غير حياء أو ضبط. على أن الخط الفكرى هو الرابط لأطوار هذه الوثائق جميعا وأن اختلفت الأساليب الجزئية من وثيقة إلى أخرى مع ملاحظة أن الوثائق كلها، يخيل إليك[1] أن واضعها واحد ظهر فى أدوار مختلفة حسب خطة « المخرج » إذ أن الصراع فى الوثيقة الثالثة قد بلغ حد « الالتهاب » وقد ساعد عليه أنها لم توقع من أحد معين. فهى « قذيفة » أطلقها مجهول متوار فى الظلام، ولهذا فإنه استباح لنفسه ما لم تستبحه الوثيقتان الأولى والثانية لأن مصدريهما معلومان ؟!

---

(١) ونأمل أن يظل الأمر فى دائرة الخيال .

• **أما علامة الاستفهام الثالثة والأخيرة هي:**

ولماذا الإسلام والمسلمون ؟

نعم. لماذا الإسلام والمسلمون؟ هل هم أشر من فى الأرض؟ لكى يعلن ضدهم الجهاد المقدس، أو هل هم ظلموا أحدا فهو يثأر لنفسه ليقتص لها منهم قصاصا عادلا..؟!

أما كان أولى بهذه الجهود أن توجه لمحاربة الالحاد والفساد المستشرى فى الأرض؟! أما كان أولى بها أن توجه لمحاربة الفقر، والمرض، والجهل وهى ميادين فسيحة لكل جهد مبذول، وعمل مشكور؟! أكل من على الأرض صالح إلا المسلمون فهم المفسدون؟! أكل النظم عادلة مستقيمة إلا الإسلام فهو المعوج ؟!

لماذا هذا كله ضد الإسلام والمسلمين ، وهم يعترفون لغيرهم بأنهم أهل كتاب لهم حقوق لا تمس: وحرية اعتقاد وعبادة لا تصادر. أجزاء الإسلام على اعترافه هو التنكر له، وعلى عدله هو الظلم له، وعلى تسامحه هو التعصب ضده ..؟!

إن كان لابد للنصرانية أن تنمى أعداد متبعيها فهناك دول يبلغ سكانها الملايين كانوا نصارى فألحدوا. فعلى جهود المبشرين أن توجه إليهم لتعيدهم من إلحادهم إلى دين آبائهم، وهو هدف – لو تحقق – فالكسب فيه مشروع .

وهناك بقاع فى الأرض فيها من خلق الله الكثيرون، يعيشون هملا بلا عقيدة صحيحة فليولوا وجوههم شطرها، ويحولوا ميدان التنافس إليها . ولو أنهم فعلوا لما لامهم أحد .؟!

إن الذى لا نفهمه، ولا نقبله أن نسلب حقا نحن نقر « خصومنا » على مثله. ولا نرى لهم علينا إلا المعاملة بالحسنى، مادمنا على وجه الأرض أحياء. تاركين سلطة الفصل فيما نختلف فيه لله وحده. فهو وحده المختص به: ويوم يفصل ، تجف الأقلام، وتطوى الصحف، ويقضى بينهم بالحق. ويقال الحمد لله رب العالمين.

* * *

الفهـــرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٤/٢٢٣٨٩
الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977 - 225 - 202 - 3